نحو تأصيل إسلامي للتاريخ

الأمة المسلمة
بعد بعثة
محمد صلى الله عليه وسلم

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

إفريقيا

يراد لها أن تموت جوعًا

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود
الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة

الوفاء للطباعة والنشر

إفريقيا

يُرادُ لها أنْ تموتَ جوعًا

الطبعة الثانية

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

الطبعة الثالثة

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٧١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص . ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

نحو تأصيل إسلامي للتاريخ

الأمة المسلمة

بعد بعثة

محمد صلى الله عليه وسلم

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

إفريقيا

يراد لها أن تموت جوعًا

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود

الأستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى (سابقا)

الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة

الأستاذة المساعدة بقسم التاريخ الإسلامي
، طالبات ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى (سابقا)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ﴾[1]

إن العالم الغربى يريد لأفريقية أن تظل متخلفة ، فقيرة ، محرومة ، متناحرة ، متنازعة ، يحارب بعضها البعض ، ويقتل بعضها البعض ، ويقدم لها أدوات التدمير بسخاء بدلا من أن يقدم لها رغيف الخبز الذى تحتاجه !!

إن العالم الغربى ، يريد لأفريقية أن تموت جوعاً ، بل إنه قد خطط لذلك لو أراد ذلك العالم أن ينقذ إخواننا فى أفريقية من الموت جوعاً لفعل ، وما أعجزته الإمكانيات ، فالولايات المتحدة الأمريكية تنفق سنويا أربعة ونصف مليار دولار سنويا فى صناعة أطعمة الكلاب والقطط ، وهذا المبلغ يتجاوز مجموع الدخل القومى للقارة الأفريقية باستثناء الدول المنتجة للبترول .

ولكن حياة الحيوانات أهم لدى الولايات المتحدة من حياة الناس المسلمين !!! وإيطاليا تقتل آلاف من رؤوس البقر سنويا ، وتدفع عن كل رأس ٦٠٠ دولار لأصحابها ، للحفاظ على أسعار اللحوم ومنتجات الألبان .

كما أن الدول الأوروبية تلقى كل عام بأطنان من محاصيل التفاح فى البحر أو تدفنها فى الأرض للحفاظ على أسعاره . كما أن بعض الدول الأوروبية بدلا من تقديم لقمة الخبز للشعوب الأفريقية ، تقدم السلاح الوفير للأنظمة لدفاع عن نفسها .

إننا فى الوقت الذى نسمع فيه أن خطر المجاعة يهدد مالى وساحل العاج والسنغال والصومال وأثيوبيا ، لا تزال المشكلة الأساسية أمام المزارعين الأمريكيين هى التخلص من الفائض الكبير من القمح .

فهل بعد ذلك من دليل على أن العالم غير الإسلامى يريد لأفريقية المسلمة أن تموت جوعا ، بل إنه قد خطط لذلك[2] .

المؤلفان

---

(١) الأعراف : ٧٩ .

(٢) الأمة ، العدد ٥٢ ــ السنة الخامسة ، ربيع الآخر ١٤٠٥هـ ، ص ١٦ .



بسم الله الرحمـــن الرحـــيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين . محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فما له من مضل ، ومن يضلل فلا هادى له . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم . يقول الله تعالى : ﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾ [صدق الله العظيم] .

(أمّا بعد) : على ظهر أفريقية التى حباها الله من الخير ، الشيء الكثير ؛ عاشت أجيال عديدة من ذرية آدم عليه السلام ، فى سلام وأمن وطمأنينة ، تتمتع بأنعم الله الوفيرة ، وأهمها وأعظمها نعمة الإسلام .

وظلّت أفريقية هكذا سنوات طويلة ، لا يعلم عددها إلا الله عز وجل ، حتى سطا عليها عدو كافر ليس له وازع من خلق أو دين ، عدو فقد كل مقومات الإنسانية ، بل كل مقومات الحيوانية : ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[1] .

هذا العدو يتمثل فى جموع البرتغاليين والأسبان وغيرهم من أبناء أوروبا . ففى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، انطلق البرتغاليون والأسبان من الكنيسة مأذونا لهم فى تطويق العالم الإسلامى والإجهاز على كل إنسان مسلم يوحِّدُ الله رب العالمين .

---

(١) الأعراف : ١٧٩ .

وسارعت الدولتان ، البرتغال وأسبانيا ، إلى تثبيت أقدامهما ، فى المناطق التى تخصها[٢] .

وفى سنة ١٢٨٢ هـ تقريبا /١٥ نوفمبر ١٨٨٤ م عقد فى برلين مؤتمر بناء على طلب بسمارك مستشار ألمانيا ؛ وحضر هذا المؤتمر مندوبو ألمانيا ، والنمسا ، وبلجيكا ، والدانمارك ، والسويد وأسبانيا والبرتغال وانجلترا وفرنسا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وروسيا وإيطاليا .

وفى هذا المؤتمر تم تمزيق بلاد العالم الإسلامى بما فى ذلك أفريقية المسلمة ، بين تلك الدول الأوروبية الصليبية .

وفى أعقاب ذلك المؤتمر[٢] ، سارعت تلك الدول إلى تثبيت أقدامها ، كل فى المنطقة التى تخصُّها . ولجأت انجلترا وفرنسا وألمانيا إلى طريقة شيطانية فى اغتصاب أفريقية ، عن طريق إنشاء الشركات الاحتكارية ، وهى مؤسسات تجارية ذات رؤوس أموال ضخمة ، تقوم باحتلال وشراء الأراضى الأفريقية ، وتضع الاتفاقيات وتضع أسس الحكم فى المناطق الهامة التى لا تلبث الدول المُغْتَصِبة أن تضع يدها عليها ، بحجة حماية مصالحها الاقتصادية هناك ، وبهذه الوسيلة من التسرب للسيطرة باسم التجارة استطاعت الدول المُغْتَصِبَة ، أن تلتهم القارة الأفريقية . فقد قامت ألمانيا على سبيل المثال رغم دخولها السباق متأخرة ،

---

(١) عمد البابا إلى خريطة للكرة الأرضية ورسم فيها خطاً رأسيا يقطع المحيط من الشمال إلى الجنوب وقال إن الأراضى التى تقع إلى الشرق من هذا الخط من نصيب البرتغال ؛ أمّا التى تقع إلى الغرب فهى من نصيب أسبانيا . وقد عرف الاتفاق الذى تم بين أسبانيا والبرتغال بإشراف البابا سنة ٨٩٤ هـ /١٤٩٤ م باسم معاهدة توردسيلاس . ويسير خط التقسيم مع خط طول ٣٧ ، ٤٦ ، ٥° غربا (انظر الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان للدكتور محمد محمود محمدين ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٣ هـ . ص ١٩٢ .

(٢) جاء فى صلب قرارات المؤتمر : « كما قرر المؤتمر عدم إعلان دولة ما حمايتها على أية منطقة من مناطق القارة الأفريقية ، دون أن تؤيد هذه الحماية باحتلال فعلى لها ، على أن تقوم هذه الدولة بمهمة تقدم سكان هذه المنطقة ، وأن تقيم فيها حكومة عادلة » (السياسة الدولية وفلسطين ، تأليف د . محمد كمال الدسوق ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٩ - ٢١) .

بالتهام أفريقية الشرقية التى تعرف اليوم باسم تنجانيقا فى عام ١٢٨٤ هـ /١٨٨٤ م ، وأفريقية إلجنوبية الغربية فى عام ١٢٨٥ هـ /١٨٨٥ م ، والكميرون وتوجولاند فى عام ١٢٨٥ هـ /١٨٨٥ أيضا .

وأطبق المغتصب الكافر ، تحت شعار الصليب على صدر أفريقية المسلمة ، يستنزف شبابها وثرواتها وخيراتها ، ولم يتركها إلا بعد أن أجهز على الكثرة من المسلمين ، وأحكم القيد حول جيدها ، حتى لا تتحرر من التبعية له فكريا وعقديا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا وثقافيا .

وأفريقية المكبلة بالأغلال ، تجأر إلى الله سبحانه وتعالى أن ينتقم من كل من كان سببا فيما نزل بها ، كما تَمُدُّ يدها إلى إخوانها فى الإسلام الذين نسوها ، وتركوها نهبا مباحا لذلك العدو الغادر ، وإن كان اغتصاب أفريقية قد وقع فى وقت كان بقية العالم الإسلامى يتعرض لعدوان مماثل من قبل الصليبية واليهودية العالمية .

وقد يقول قائل ، إن أفريقية اليوم قد تحررت من الهجمة اليهودية الصليبية الشرسة ، وهذا من باب الوهم ، لأن العدو الغادر قد سحب جنود الاحتلال فعلا ، ولكنه ربط أفريقية به ، برباط التبعية الفكرية والعقدية والثقافية والسياسية والاجتماعية .

ومن هنا نرى من الواجب علينا ، بيان السبب الحقيقى فى المحنة التى تمر بها أفريقية اليوم ، وذلك من باب تشخيص الداء والدواء – بإذن الله – لمعرفة المخرج من هذه المحنة ، وما هو واجب المسلمين فى كل مكان حيال هذه المجاعة الروحية والمادية التى تعانى منها أفريقية المسلمة ، وذلك فى ضوء السنن الربانية الكونية التى تضبط حركة الكون بما فيه وما عليه طبقا لأوامر العزيز العليم .

المؤلـفان



الفصل الأول

ملامح رئيسية لتاريخ أفريقية منذ أقدم الدهور

إن بحثنا هذا ينصب على التعريف بأفريقية عبر التاريخ ، حتى نستطيع ـ بحول الله وقوته ـ أن نصل إلى تشخيص للداء الذى تعانى منه ، ونحاول ـ اعتمادا على الله وحوله وقوته ـ أن نشخص الدواء .

الفصل الأول

ملامح رئيسية لتاريخ أفريقيه منذ أقدم العصور

الجـــزء الأول

أفريقية قبل بعثة محمد ﷺ

إلى من ينتسب أبناء أفريقية ؟ وبأى دين كانوا يدينون ؟

أبناء أفريقية من سلالة آدم عليه السلام :

أفريقية جزء من أرض الله – عز وجل – وتبلغ مساحتها حوالى ثلاثون مليونا من الكيلو مترات المربعة ، وعليها يعيش ملايين البشر من سلالة آدم عليه السلام ، وعلى وجه التحديد ، فإنهم ينتمون إلى سام وحام ابنى نوح عليهما السلام[1] .

وقد عبر حام إلى أفريقية بعد حادثة الطوفان ، من منطقة الرافدين وأرض السوس ، عن طريق البحر ، عند منطقة بوغاز باب المندب ، أو عن طريق البر إذا صح افتراض الجغرافيين أنه كان هنالك معبر أرضى يربط آسيا بأفريقية فى ذلك الزمن البعيد .

أما ذرية سام بن نوح عليه السلام فقد وصلت إلى الشمال الأفريقى من جزيرة العرب والشام عن الطريق الذى يمر عبر سيناء إلى مصر ، وعلى أرض أفريقية حدث الاختلاط بين ذرية ابنى نوح عليه السلام . ومن هنا ، نخلص إلى نتيجة هامة تخالف ما ذهب إليه كتاب التاريخ فى القرن الأخير ، وهى :

أن إخواننا فى أفريقية من سلالة آدم عليه السلام ، وليسوا من ذرية

---

(١) لما رواه الترمذى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم » .

الحيوان ، الذى نشأ وتطور من الخلية الحية التى نشأت فى البرك والمستنقعات[1] انظر أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله ، الفصل الأول ، والفصل الرابع .

الإسلام أول دين تدين به أفريقية :

نوح عليه السلام رسول مسلم[2] ، وإلى الإسلام دعا ، وعليه ربى أبناءه ، وهذا يترتب عليه أن أبناء نوح كانوا مسلمين ، وعليه ربوا أبناءهم وعشيرتهم ، وذلك يعنى أن أول دين عرفته أفريقية ، وبه كانت تدين هو الإسلام ، وعلى أرض أفريقية ، كان يتنزل جبريل – عليه السلام – من السماء ، ليحمل رسالة الله رب العالمين إلى رسل الله فى الأرض ، ومن الرسل الذين كان لهم شرف حمل دعوة الله إلى الإسلام ورسالته على أرض أفريقية (مصر) ، « يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم السلام »[3] ، وكذلك « موسى عليه السلام »[4] .

ومن المؤكد أن هذه الدعوة إلى توحيد الله عز وجل ، قد انتشرت إلى البلاد المجاورة ، وأن باقى الشعوب الأفريقية كانوا على علم بها ، بدليل أن موسى

---

(١) موسوعة تاريخ العالم ، المجلد الأول ، معالم تاريخ الإنسانية ، المجلد الأول .

(٢) قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه : يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله ، فعلى الله توكلت ، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غُمَّة ، ثم اقضوا إلىّ ولا تُنظِرُون . فإن توليتم فما سألتكم من أجر ، إن أجرِىَ إلّا على الله ، وأُمِرْتُ أن أكون من المسلمين ﴾ [يونس : ٧١ : ٧٢] . انظر رسالتنا : « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ – الرسالة الأولى » ، وهى تثبت أن دين الله فى الأرض وفى السماء واحد ، وهو الإسلام ، وإليه دعا جميع رسل الله عليهم السلام والإسلام هو الدين الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره . وكل نبى كان يأخذ العهد والميثاق على أهله وذويه أن يعيشوا على الإسلام وبالإسلام ، وأن يدعوا إليه بنى آدم : ﴿ ووصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

(٣) ﴿ رب قد آتيتنى من الملك ، وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض ، أنت وليى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلما ، وألحقنى بالصالحين ﴾ [يوسف : ١٠١] .

(٤) ﴿ وقال موسى : يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ... وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق ، قال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ [سورة يونس ، آية ٨٤ – ٩٠] .

ومؤمن آل فرعون والفراعنة كانوا على علم بالرسالات السماوية التى وقعت فى جزيرة العرب فى قوم عاد وثمود ومدين ، والتى حمل لواءها هود وصالح وشعيب عليهم السلام ، فمن باب أولى أن يكون أهل أفريقية على علم برسالات السماء التى وقعت على أرض أفريقية ، حتى تقوم الحجة من الله عز وجل على أهل كل عصر من العصور . وهناك احتمال كبير ، أن هنالك رسالات سماوية قد وقعت فى أرجاء أخرى من أفريقية ، وإن كنا لا نملك بيانا بأسماء الرسل الذين حملوها أو الأقوام الذين بعثوا فيهم ، يؤكد ذلك قول الله – سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[1] .

---

(١) النحل آية : ٣٦ .

الجــــزء الثانـــى

أفريقية فى قبضة الاحتلال الأوروبى (رومية)

لقد عاشت أفريقية حرة مستقلة على مدار آلاف السنين ، لم نقرأ أو نسمع أنه قد سطا عليها عدو ليس له وازع من دين أو ضمير قبل القرن الثالث قبل الميلاد (باستثناء الغزو الأشورى والفارسى واليونانى لمصر) . هذا العدو هو دولة (الروم) التى بدأت تتحرش بأكبر دولة فى أفريقية هى دولة قرطاجة البحرية (تونس الحالية) التى كان لها نشاط كبير ، وكانت لها محطات تجارية كثيرة فى البحر المتوسط ، وعلى شواطىء وجزر شبه الجزيرة الإيطالية ، وجنوب أسبانية ، وعلى شواطىء آسيا الصغرى وفى جزر البحر الإيجى وقد أدى ذلك إلى اندلاع حروب بين قرطاجة ورومية تعرف باسم الحروب البونية الأولى (٢٦٤ - ٢٤١ ق . م) والحروب البونية الثانية (٢١٨ - ٢٠٢ ق . م) والحروب البونية الثالثة ، التى فى أعقابها وقعت قرطاجة الأفريقية (تونس) فى قبضة الاحتلال الرومى عام ١٤٦ ق . م وبعدها سقط الشمال الأفريقى فى قبضته .

ولكن ما هو السبب الذى دفع أوروبا (رومية) إلى أن تغتصب شمال القارة الأفريقية : مصر وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب ؟؟

السبب هو أن بلاد أفريقية كانت تغص بالخيرات والثروات ، كما أنها كانت ذات حضارة مادية لم تكن أوروبا قد وصلت إلى شىء منها .

وذلك يعني أن هدف أوروبا من احتلال بلاد أفريقيه كان اقتصاديا بالدرجة الأولى[1] . والمكان لا يتسع لسرد المعاملة البشعة واللاإنسانية التى عانت منها الشعوب المغتصبة على يد المغتصب الرومى[2] .

وقد بقي الشمال الأفريقى بما فى ذلك مصر ، فى قبضة الاحتلال الرومى ، حتى قيض الله للبشرية محمدا ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم فحرروها ، وأخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار ، وكان ذلك فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) .

---

(١) قصة الحضارة ، الجزء الثانى من المجلد الثالث ، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية ، ط ٢ ، ١٩٦٣ ، ص ٢٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٦ - ٣٩١ .

الجـــزء الثالـــث

أفريقية بعد بعثة رسول الله ﷺ

تحول ضخم فى حياة الشعوب الأفريقية

الإسلام يغزو قلوبها وأرواحها :

وبعد بعثة رسولنا محمد ﷺ ، هاجر كثير من المسلمين إلى الحبشة فرارا من اضطهاد قريش لهم ، وذلك بناء على توجيه رسولنا محمد ﷺ ؛ « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه »[(١)] . وذلك يعنى أن المسلمين الأوائل ، مثل السابقين عليهم كانوا يدخلون إلى أفريقية ، ويخرجون منها عن طريق موانيها الشرقية ، وهذا دليل بدوره ، يدل على أن أفريقية ، كانت معروفة للمسلمين ، ولم تكن مجهولة أو مظلمة أو سوداء ، ولم تكن متوحشة كما زعم المغتصبون من أبناء أوروبا ، الذين قاموا بالغزو العسكرى لأفريقية وغيرها من بلاد العالم الإسلامى تحت اسم الكشوف الجغرافية .

كما يعنى ذلك أيضا أن المسلمين الذين كانوا بالحبشة قد باشروا الدعوة إلى الله – لأنهم مأمورون بذلك – امتثالا لأوامر ربهم ، ولابد أنه قد أسلم من أسلم ، ومنهم النجاشى الذى صلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب عند موته[(٢)] .

---

(١) السيرة النبوية ، للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، ج ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٦ هـ ، ص ٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٩ ؛ وقال البخارى : (موت النجاشى ، حدثنا أبو الربيع ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ حين مات النجاشى : « مات اليوم رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أَصْحَمة » .

كما ورد ذلك فى الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه -: « أن رسول الله ﷺ نعى النجاشى فى اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى ، فصف بهم وكبر أربع تكبيرات »[١] .

وتنفيذا لتوجيهات الله عز وجل ، عرف رسولنا محمد ﷺ أن إخواننا فى أفريقية ، لابد وأن يبلغهم دين الله - عز وجل - وهو الإسلام ، ولابد وأن ترتفع على أرضهم راية لا إله إلا الله ، ولابد أن يحكمهم شرع الله عز وجل .

ولهذا فقد وجَّه رسول الله الرسالة المعروفة إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، يدعوه إلى الدخول فى دين الله - سبحانه وتعالى ؛ وجاء الرد حسنا جميلا ، يتناسب وتعطش هؤلاء الأخوة فى أفريقية إلى الإسلام ، يقول ابن كثير : « فقبل الكتاب ، وأكرم حاطب بن أبى بلتعة ، وأحسن نزله ، وسرحه إلى النبى ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين : إحداهما أم إبراهيم »[٢] .

وكانت مصر كبقية الشاطىءالأفريقى بجملته تخضع للاحتلال الرومى ، ومن هنا نستطيع أن نفهم ، لماذا تأخر عودة مصر إلى الإسلام ، إن المحتل الرومى كان يرى أن دخول الإسلام إلى مصر معناه تحرر أهل أفريقية من قبضته وضياع الكنز الثمين الذى يدر عليه الخيرات .

وهذه مسألة لابد وأن يفقهها المسلمون اليوم ، فالاحتلال طبيعته لم تتغير، إنه حريص على أن تعيش القارة الأفريقية وغيرها من القارات بلا إسلام حتى يسهل عليه استنزاف طاقاتها وخيراتها التى لا تستطيع الحياة بدونها[٣] .

---

(١) السيرة النبوية ، ج ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٣ هـ ، ص ٥١٤ .

(٢) ولهذه الرسالة مدلولان :

أولا : أن أفريقية لم تكن مجهولة للمسلمين الأوائل .

ثانيا : إحساس رسول الله ﷺ بواجبه نحو إخوانه فى الإنسانية ، الذين يسكنون أفريقية ، والمطالب هو وصحبه أن يخرجوهم من العبودية للعبيد إلى العبودية لله الواحد القهار .

(٣) وهذا ما يحرص عليه العالم غير الإسلامى وفى مقدمته أوربا وأمريكا وروسيا الآن .

ومن هنا كان لابد من تحرك جيوش الفتح الإسلامى من الجزيرة العربية ، صوب بلاد الشام ومنها إلى أفريقية لطرد المغتصب الرومى وإزالة العقبات التى تحول بين الناس وبين اختيار الدين الذى يريدون بملء حريتهم ،وبذلك تحررت بلاد الشام على يد محمد وصحبه ، كما تحررت مصر وأفريقية كلها[1] على يد صحابة رسول الله والتابعين رضوان الله عليهم (فتوح مصر وأخبارها ، لايدن ، فتوح مصر والمغرب ، القاهرة تأليف ابن عبد الحكم ، (أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم) .

إن ما واجهه صحابة رسول الله ﷺ من مقاومة فى مصر وبرقة وليبيا وبقية أفريقية لم يكن مصدره أهالى البلاد الذين كانوا يتطلعون إلى من يخلصهم من ظلم الروم ، حكام الدولة البيزنطية ، ولكن كان مصدره قوات الاحتلال الرومى نفسه ، الذى كان يقاتل عن وجوده ، وعن استغلاله ، وعن البقرة الحلوب التى كانت تجود عليه بكرة وعشيا ، والتى ظل يستنزفها حوالى سبعة قرون من الزمان[2] .

وفى اللحظة التى كسر المسلمون فيها شوكة الاستخراب الرومى بدأ الناس فى أفريقية يدخلون فى دين الله أفواجا ، لأنهم أدركوا أنهم باعتناقهم لهذا الإسلام ، دين الله فى الأرض وفى السماء ، سيتحرّرون من العبودية التى ظلّوا يرزحون تحت وطأتها زمنا طويلا .

فحينما دخلت جيوش الإسلام أفريقية ، لم تفرض الإسلام على أحد، وإنَّما تركت الناس أحرارا فمن أسلم منهم فهذا حظه ، وقد هداه الله ، ومن لم يسلم فقد خلصه الله على أيدى جند الإسلام من اضطهاد دولة الروم .

وواصل صحابة رسول الله ﷺ والتابعون نشر الإسلام فى أفريقية ، وما

---

(١) البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٩٧ وما بعدها .

(٢) وفى تاريخ فتوح مصر نجد المقوقس عظيم المصريين يصالح المسلمين باسم أهل مصر ، فى حين يعارضه قرس – ممثل كنيسة القسطنطينية (بيزنطة) – وكذلك كان فتح المغرب تحريرا لأهلها من ظلم الروم ، فلما قضى على سلطان الروم أخذ الناس فى المغرب يدخلون فى دين الله أفواجا .

أن جاءت نهاية القرن الأول الهجرى حتى كانت دعوة الله عز وجل قد بلغت أفريقية كلها ، وكانت الغالبية من سكانها قد تحررت من العبودية للرومان ، وأعزها الله بالإسلام(١) .

وفى عهد الدولة الأموية كانت أفريقية قاعدة إسلامية تنطلق منها الجيوش لنشر دين الله عز وجل ، فقد عبرت الجيوش الإسلامية الشمال الإفريقى إلى الأندلس ، حيث أسقطت حكم الطغاة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وبعد قيام الدولة العباسية فى بغداد ، واستمرار حكم الأمويين فى الأندلس ، تعرض الشمال الأفريقى لهزات سياسية ، أدت إلى قيام دويلات تنازع العباسيين والأمويين الخلافة ، ومن أخطر هذه الدويلات ، دولة الشيعة التى زعم مؤسسها أنه ينتسب إلى فاطمة بنت النبى محمد ﷺ(٢) .

---

(١) كان دستور الدولة الرومية ، يعتبر شعوب المستعمرات مواطنين من الدرجة الثانية الذين ليس لهم حقوق سياسية ، أو مواطنين من الدرجة الثالثة الذين يتمتعون ببعض الحقوق المدنية ، أو عبيدا ليس لهم أية حقوق على الإطلاق ، بل إن القانون الرومى كان يستنكف أن يطلق على العبد لفظة شخص ، فكان يسميه (إنسان غير شخص) ، هذا الإنسان غير الشخص لا حق له على نفسه ، وليس له أن يتزوج زواجا شرعيا ، أو ينجب أبناء شرعيين ، ولا حق له أن يقاضى من ظلمه ، أو يدفع عن عرضه ، والعبد يعاقب فى بدنه ، والحر يعاقب فى ماله ، والعبد يعذب قبل أن يدلى بشهادته ..

وهكذا نرى أن تجارة العبيد قد فرضتها أوروبا (دولة الروم) على الأمم منذ زمن بعيد ، وإن كانت قد سبقتها بلاد اليونان فى ذلك (انظر قصة الحضارة ، ج ٢ ، م ٣ ، ص ٣٦٦ - ٣٩١) .

(٢) قال القاضى عبد الجبار البصرى : اسم جد الخلفاء المصريين سعيد ، وكان أبوه يهوديا حداد نشابة ، وقال القاضى أبو بكر الباقلانى : القداح جد عبيد الله الذى يسمى بالمهدى كان مجوسيا ، ودخل عبد الله المغرب وادعى أنه علوى ولم يعرفه أحد من علماء النسب وسماهم جهلة الناس بالفاطميين . وقال بن خلكان أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدى عبيد الله جد خلفاء مصر ؛ ولذلك فقد أسقطه السيوطى ومن تبعه من قوائم تاريخ الخلفاء (انظر تاريخ الخلفاء ، ص ٤) ؛ وكانت لهم سفارات بالدول الأجنبية ، فقد وصلت الحملة الصليبية الأولى لبلاد الشام فى أواخر سنة ٤٩١ هـ/١٠٩٧ م ، ونجحوا فى إقامة قاعدتهم الصليبية الأولى ، وما إن وصل الصليبيون إلى أنطاكية فى ٤٩٢ هـ /١٠٩٨ م حتى وصلتهم سفارة من الأفضل بدر الجمالى ، وكان هو الحاكم الفعلى على عهد من يسمى بالخليفة الفاطمى أبى القاسم أحمد الذى لقب بالمستعلى يحمل عروضا خلاصتها أن يتعاون الطرفان من أجل القضاء على السلاجقة ، على أن يكون القسم الشمالى للصليبيين ، والجنوبى للفاطميين ، (سعيد عاشور ، بحوث ودراسات فى تاريخ العصور=

ومع ذلك فقد ظلت أفريقية فى عافية من دينها ، وكانت تعيش حياة ندية كلها رخاء .

= الوسطى ، بيروت ١٩٧٧م ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى ، ص ٥٢٤ ، دولة المرابطين ، ص ٣٩ ، ولم يستجب الصليبيون لعروض الفاطميين) .

الجـــزء الرابـــع

أفريقية منذ نهاية القرن التاسع الهجرى

ومع نهاية القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى تعرض الشمال الأفريقى لهجمات من قبل المسيحيين : الأسبان والبرتغال ، فى نفس الوقت الذى كانوا يحاولون فيه الإجهاز على الوجود الإسلامى فى الأندلس ، وذلك إدراكا منهم أن أفريقية رصيد ضخم للجيوش الإسلامية ، ولذلك فإنه لابد من شل حركة الشمال الأفريقى المسلم حتى لا يسرع إلى إعانة إخوانه فى الأندلس[1] .

ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا حاول الأسبان والبرتغاليون احتلال الشمال الأفريقى ، أثناء قتالهم مع المسلمين فى الأندلس ، ونستطيع أن نفهم لماذا احتلوا سبتة ومليلة ، عام ٨١٥ هـ تقريبا (١٤١٥ م) بل وأنشأ البرتغاليون مطرانية فى سبتة عام ٩٨٠ هـ تقريبا (١٥٨٠ م)[2] .

وفى الوقت الذى انهارت فيه الدولة الإسلامية فى الأندلس تحت ضربات الصليبيين ، أدركت رحمة الله الشمال الأفريقى ، فقيضت سلاطين آل عثمان الذين أدركوا الخطورة التى تكمن على العالم الإسلامى لو سقط الشمال الأفريقى فى أيدى الصليبيين بعد سقوط الأندلس فى أيديهم ، ولذلك فقد قام السلطان سليم الأول بتوحيد بلاد الشام ومصر وبلاد الحجاز تحت لواء الدولة العثمانية . وعلى عهد خلفائه أصبحت طرابلس وتونس والجزائر جزءا من الدولة الإسلامية ،

---

(١) مثلما حدث على عهد المرابطين ، حينما عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس عام ٤٧٩ هـ فهزم الفونسو السادس فى موقعة الزلاقة المشهورة ، (الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ١٤١ ، ١٤٢) .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد ١١ ، ص ٢٢٨ .

وأصبح البحر المتوسط والبحر الأحمر والبحر الأسود بحيرات إسلامية لا تجرؤ سفن الفرنجة على الاقتراب منها ، وحمى الله أفريقية من براثن الصليبيين ؛ بل إن سلاطين آل عثمان ومنهم سليم الأول رحمه الله ، حينما سمع أن مراكب البرتغاليين تريد أن تغزو البحر الأحمر من الجنوب ، وأنها هاجمت الموانىء الإسلامية لشرق أفريقية ، وهاجمت موانىء مصر وأنها تريد أن تهاجم موانىء الحجاز ، أسرع بجيوشه ، فحطم حلم البرتغاليين ، وسلم شرق أفريقية والبحر الأحمر وموانئه من هجمات البرتغاليين ، بل إن مراكبهم ما كانت تجرؤ على الدخول إلى البحر الأحمر على عهد سلاطين آل عثمان .

وهكذا كان الإسلام والدول الإسلامية كالدرع الواقى لأفريقية على مدار قرون طويلة من تاريخها .

وإذا كان شمال أفريقية (خلا بعض المناطق) وشرقها قد نجت بفضل الله ثم بفضل سلاطين آل عثمان من الاحتلال البرتغالى والأسبانى ، إلا أن غرب وجنوب أفريقية قد تعرضت لهجوم صليبى حاقد استهدف الدين والعرض والثروة ؛ استهدف كل شىء ؛ وكانت المقاومة ضارية ، لأن إخواننا فى أفريقية ، بعد أن لاحظوا أن المحتل يرفع الصليب على كل أرض يغتصبها ، أدركوا أن الإسلام هو المستهدف ، فقاوموا مقاومة باسلة ، ويوم أن تترجم كتب البرتغاليين والأسبان إلى اللغة العربية ، سيكشف عن بطولات إسلامية فى مواجهة هجمة صليبية تملك وسيلة رهيبة من وسائل الإبادة (البارود) ، التى لم يكن لإخواننا فى أفريقية بها عهد من قبل .

ولم يكن فى وسع الدولة العثمانية ، أن تقاتل فى جبهة أوروبا الشرقية وهى جبهة عريضة ، وفى نفس الوقت فى أفريقية ، ولذلك تركت أفريقيا عدا شمالها تواجه مصيرها . ولم ينس الصليبيون للدولة العثمانية أنها وقفت حجر عثرة فى سبيل تحقيق أحلامهم فى احتلال العالم الإسلامى ستة قرون أو يزيد ، ولذلك نراهم يخططون لإسقاط دولة الخلافة السياج الواقى للأمة الإسلامية ، وتقسيم بلاد العالم الإسلامى بين دول العالم الصليبى .

وقد تحقق لها ما أرادت ، فأسقطت السلطان عبد الحميد عام ١٣٠٨ هـ /١٩٠٨ م ، وفى عام ١٣٢٤ هـ /١٩٢٤ م أعلن رسميا إلغاء الخلافة ، وقد تحقق للعالم الأوربى الصليبى ما أراد ، ووقعت بلاد المسلمين ، بما فى ذلك ما تبقى من القارة الأفريقية فريسة للغزو الأوروبى (الفرنسى ، والإنجليزى ، والإيطالى ، والألمانى ، والأسبانى ، والبرتغالى) .

وما كان ليحدث ذلك لو ظلت بلاد العالم الإسلامى فى عافية من دينها ، لأن الباطل لا يغلب لقوة فيه ، ولكن يغلب لضعف جند الحق ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدُهُم شيئا ﴾[1] .

---

(١) آل عمران : ١٢٠ .

الجـــزء الخامـــس

أهم الدول الإسلامية التى قامت على أرض أفريقيـــة

ومن أهم الدول الإسلامية التى قامت على أرض أفريقية :

(١) مملكة غانا :

وقد امتد نفوذ هذه الدولة إلى شمال النيجر الأعلى وشماله الغربى ، حدودها الشرقية نهر النيجر والغربية نهر السنغال والشمالية الصحراء .

وقد سماها الفزارى الذى زارها عام ٢٠٠ هـ أرض الذهب[١] ، ولم تدون أخبارها إلا فى بداية القرن الثانى الهجرى عندما زارها الرحالة وهب ابن منبه عام ١٣٧ هـ .

وقد زارها المسعودى عام ٣١٢ هـ ، ثم الزهرى والبكرى الذى شهد أواخر أيامهم عام ٤٧٦ هـ ، عندما قام المرابطون بتوحيدها تحت زعامتهم[٢] .

ونظرا لأن ملامح الحضارة المادية هى التى تبقى أحيانا كثيرة ، فإننا

---

(١) أفريقية ، دراسة عامة وإقليمية ، تأليف د . أحمد نجم الدين فليجة ، مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية ، ١٩٧٨ ، ص ٣٩ – ٤١ وهو يعتمد على القفطى (جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد ولد ٥٦٨ هـ) ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٤٢ .

(٢) امبراطورية غانة الإسلامية ، تأليف د . إبراهيم على طرخان ، ص ٣ ، يقول الكاتب : إنه قد قامت دولة غانة الإسلامية بين النيجر والمحيط الأطلسى ، ويقول أنها كانت أعظم قوة سياسية فى السودان الغربى ، وأن نفوذها امتد إلى الشمال من القارة الأفريقية فى القرن الرابع والخامس الهجرى وذلك فى وقت معاصر للدولة العباسية .

مضطرون أن نتلمس بعض جوانب هذه الحضارة المادية لندرك مدى الرخاء الذى كانت عليه القارة الأفريقية .

ذكر جميع الرحالة أن غانة[١] عرفت الحديد وصناعة الأسلحة ، كما عرفت الذهب الذى يتاجرون به مع أهل الشمال ، ويبادلوه بالملح والسلع الأخرى . كانت دولة قوية اعتمدت على التجارة المنظمة ، قال البكرى : « إن أهل غانة لم يتعلموا التجارة فقط ، بل مارسوا فنونها ووضعوا قواعد للضرائب والرسوم الجمركية ، فمثلا كانت الحكومة تفرض دينارا من ذهب على كل حمل حمار من الملح يدخل المدينة » .

وفى موضع آخر يقول : « وفى وسع مليكها أن يجهز للقتال ٢٠٠,٠٠٠ محارب ، يحمل كل ٤٠,٠٠٠ منهم الرماح والنبال » .

وكل ذلك يعكس لنا حالة الثراء ، ونعمة الأمن والطمأنينة التى كان ينعم بها إخواننا المسلمون فى أفريقية ، كما يعكس لنا التقدم الحضارى الذى كانت عليه حياتهم .

(٢) مملكة مالى :

قامت عام ٦٤٠ هـ أى قبل انهيار الخلافة العباسية بقليل ، وقد اتسعت حدودها اتساعا كبيرا نحو الشرق ، حتى النيجر الأوسط ، كما اتسعت نحو الغرب فشملت أراضى السنغال الحالية عدا الأجزاء الممتدة فى الصحراء[٢] .

أشهر ملوكها كانكان موسى الذى سافر لحج بيت الله الحرام ومعه قافلة من أتباعه وحاشيته وجواريه قدروا بالمئات مارا بالقاهرة عام ٧٢٤ هـ حيث استقبلها سلطانها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأنزله القلعة وأكرم وفادته .

---

(١) وكانت عاصمتها فى موقع مدينة كمبى صالح إلى الشمال من باماكو الحالية ؛ أفريقية ، ص ٤٠ .
(٢) أفريقية ، ص ٤١ .

وقد سجل العمرى هذه الزيارة وأخبارها – التى بقى الناس يتحدثون عنها عشرات السنين – فى كتابه (الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك) . وكتب فصلا عن مالى واتساعها وغناها . وكتب حسن بن الوزان يصف الحياة العقلية فى تمبكتو : « أنها احتضنت عددا كبيرا من القضاة والأطباء ورجال الدين ، ينعم كلهم بمرتبات حسنة[1] ، يدفعها لهم الملك ، وفى البلاد إقبال عظيم على الكتب المنسوخة التى ترد من الشمال الأفريقى ، وتجار الكتب يربحون أكثر من تجار أى صنعة أخرى فى السوق » .

كما زار هذه المملكة الرحالة ابن بطوطة ووصف الرخاء والأمان والتجارة والصناعة وجميع مظاهر الحياة فى ذلك المجتمع .

ألا يعنى ذلك أن إخواننا المسلمين فى أفريقية كانوا فى ذروة التقدم الحضارى الفكرى والمادى ؟؟..

ألا يعنى ذلك أن الطرق إلى داخل وخارج أفريقية كانت آمنة ومطمئنة ؟؟ ألا يعنى ذلك أنها كانت مطروقة ، وأن المسلمين كانوا يعرفونها ؟

فهل يجرؤ أحد على أن يقول : إن الأوربيين قد اكتشفوا أفريقية . إننى آمل أن يقوم أساتذة التاريخ والجغرافية بمراجعة كتبهم ، ويصححوا أكذوبة الكشوف الجغرافية (حقيقتها ودوافعها) .

(٣) مملكة سنغاى :

يرجع قيامها إلى الشطر الأول من القرن السادس الهجرى . وقد قامت على نهر النيجر الأوسط ، واتخذ زعماؤها مدينة جاو (فى مالى الحالية) عاصمة لهم ، وأول زعمائها ضياء بن قس (٤٠٩ هـ تقريبا)/١٠٠٩ م .

وقد اهتم شعبها بالأدب والعلوم والتدوين بعد أن اعتنقوا الإسلام ،

---

(١) أفريقية ، ص ٤٢ .

وتعلموا[1] اللغة العربية وبعد إسلامهم امتدت حدودها لتشمل دولتى غانة ومالى ، واتسعت نحو الشرق إلى حدود (كانو) بين النيجر ورافده بنوى .

ومن ملوكها سنى على (٨٦٤ هـ تقريبا) ، واسكى العظيم واسمه محمد تورى (٨٩٣ هـ تقريبا) الذى مد مملكته فى الغرب والشمال ، ونظم إدارتها تنظيما لم يسبقه أحد من قبله ، ووحد كلمتها فى ظل الدين الإسلامى الذى قضى على العصبيات .

وبدأ حكم هذه المملكة يتدهور مع الهجمة البرتغالية على أفريقية ، عام ١٠٠٠ هـ .

(٤) مملكة كانم :

قامت فى أقصى الشرق حول بحيرة تشاد وامتد سلطانها إلى أراضى غانة ومالى فى الغرب ، قال عنها أحد الغربيين : (كانت فى القرون الوسطى أستاذة الحضارة السودانية ، وكانت تدين بالإسلام ، وتكتب بالحروف العربية)[2] .

كانت تسيطر على أهم الطرق التجارية التى تربط المنطقة بساحل البحر المتوسط عند فزان وبوادى النيل عن طريق دارفور . وصلت إلى قمة التقدم عام ٦١٠ هـ/١٢١٠ م — ٦٢٢ هـ/١٢٢٢ م .

(٥) دولة المرابطين :

ومن أهم الدول التى قامت بأفريقية دولة المرابطين ، التى امتدت حدودها من تونس شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا ، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا حتى حدود السودان جنوبا ، على عهد قائدها يوسف بن تاشفين .

وكان لهذه الدولة أسطول ضخم ، مسيطراً على مياه البحر المتوسط .

---

(١) عثر على شاهد قبر أحد ملوكها ، مكتوب عليه : باللغة العربية الفصحى : (هنا قبر الملك الذى أيد دين الله وأعزه أبو عبد الله محمد رحمه الله المتوفى عام ٣٩٤ هـ /١١٠٠ م ؛ أفريقية ، ص ٤٣ .

(٢) أفريقية ، ص ٤٤ .

وكان من فضل الله على الإسلام والمسلمين ، قيامَ هذه الدولةالتىأخرت سقوط الدولة الإسلامية فى الأندلس طوال أربعة قرون من الزمان[1] .

لقد كان أهل الأندلس فى عهد ملوك الطوائف يرون فى دولة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين أملهم الوحيد فى تخليصهم من ذلك الواقع المزرى ، ولم يخيب يوسف رجاءهم ، فجاز إلى الأندلس ، والتقى مع الفونسو السادس ، وانتصر عليه فى موقعة الزلاقة عام ٤٧٩ هـ/١٠٨٦ م .

وما لبث أن جاز يوسف جوازا آخر بعد الزلاقة فى الأندلس ، لتوحيد كلمة المسلمين حينما اكتشف أن ملوك الطوائف غير مخلصين لدينهم وبلادهم ، فقسم منهم يتعامل مع الأعداء ضد إخوانه المجاورين له ، أو ضد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وقد تم له ذلك وبذلك استطاع يوسف بن تاشفين أن يحقق الوحدة التى انفصمت عُراهَا بعد سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس ، فامتد سلطان دولة المرابطين من السودان جنوبا إلى البرانس شمالا ؛ ومن المحيط الأطلسى غربا حتى حدود تونس شرقا[2] .

---

(١) فى عام ٤٢٢ هـ /١٠٦٤ م سقطت خلافة بنى أمية فى الأندلس ، وإذا بنا أمام عشرين دولة مستقلة فى عشرين مدينة أو مقاطعة ، ومما زاد الأمر سوءا تناحر وتخاصم هذه الإمارات مما أضاف إلى ضعفها ضعفا وجعلها غنيمة سهلة لممالك النصارى فى الشمال ، ومن علامات هذا الضعف سعيهم من أجل كسب رضا ملك قشتالة (الفونسو السادس) الذى أرهقهم بالإتاوات حتى أصبح له عمال يجبون له الأموال من ملوك الطوائف ؛ دولة المرابطين ، تأليف د . سلامة محمد سلمان الهرفى ، ص ٤٤ .

(٢) دولة المرابطين ، تأليف سلامة محمد سلمان الهرفى ، منشورات المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥ م ص ٥٥ - ٥٧ .

الجــزء الســـادس

ثـــروة أفريقيـــة

أفريقية الثريــة يراد لها أن تموت جوعــا

هل يمكــن لقارة مثــل أفريقية التى

تذخر بكل هذه الثروات أن تموت جوعــا ؟؟

من المســئول ؟ حتى لا ننســـى !

على الرغم من إمكانيات أفريقية وطاقاتها العظيمة ، الكامنة فى مواردها الطبيعية والبشرية ، فلا تزال معظم أقطارها متخلفة اقتصاديا ، ويعانى سكانها من الفقر والتخلف الحضارى ، حيث ينطبق عليها قول الشاعر العربى :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمولا

فما تحمله هذه القارة فوق سطحها وما تحت سطحها من ثروات وطاقات ، لم ينتفع أهلها منها ، بل سخروا على حملها لينتفع بها أناس غرباء عنها ، دخلوها عنوة ، وبدأوا ينهبون تلك الثروات ، وينقلونها إلى بلدانهم ، دون أن ينتفع سكان القارة إلا بالنذر اليسير ، وحتى بعد خروج ذلك المغتصب الغريب من أرض القارة مكرها بقى المنتفع الأكبر ، والمسيطر على معظم الإنتاج وأسواقه الدولية ، متحكما بالأسعار التى يحددها هو ، تركها وهى متخلفة ومتعثرة فى إنتاجها واقتصادها .

وعلى سبيل المثال : تمتلك هذه القارة ١٧٪ من مجموع الأراضى الزراعية فى العالم - ولا يزال الكثير من أهلها يعانون من الجوع ونقص الغذاء - كما تمتلك ٢٣٪ من مناطق الأعشاب والمراعى ، ونصيب الفرد الأفريقى من مواشى هذه المراعى يعادل ٧ أضعاف نصيب الفرد فى أوروبا ، ومع ذلك فمدى استفادة الأفريقى من هذا العدد الهائل من حيوانات الرعى لا تساوى إلا نسبة ضئيلة مما يستفاده الفرد الأوربى بذلك العدد القليل الذى ينتشر فى مراعيه . كما تمتلك القارة ٢٧٪ من الأراضى الصالحة للزراعة فى العالم لا تزال غير مستغلة بسبب إمكانية السكان الضعيفة . وينتشر فوق سطحها ١٨٪ من مساحة الغابات فى العالم ، عمل الاحتلال على استغلال معظمها دون العمل على إعادة بنائها .

وعلى الرغم من تلك المساحة الواسعة من الأراضى الزراعية من القارة نجد أن نسبة مساهمتها فى الإنتاج الزراعى العالمى لا تتعدى ٤٪ فقط ، مع العلم بأن أفريقية تمتلك ١٢٪ من العمال الزراعيين فى العالم .

وبالنسبة لثروات ما تحت السطح ، نجد أن القارة تمتلك كميات كبيرة من احتياطى المعادن فى العالم ، ففيها من الكروم والكوبالت ما يعادل ٩٠٪ من احتياطى العالم ، وهناك ٥٠٪ من احتياطى النحاس والماس والذهب ، ومن ١٥ - ٣٠٪ من معادن البوكسايد والحديد والمنجنيز والفوسفات والبترول .

وعندما ترك المحتل الأوروبى أرض القارة لأهلها ، تركها وهى تفتقر لرأس المال ، والأيدى العاملة الفنية ، ولطرق مواصلات جيدة صالحة طول العام - وهى عقبات كبيرة تعانى منها دول القارة المستقلة فى طريق العمل على الإنتاج الأفضل والاستفادة الأكبر .

وقد رسم المحتل الأوروبى لكل قطر من أقطار قارة أفريقية سياسة اقتصادية

---

(١) هذه الإحصائيات مأخوذة عن كتاب أفريقية دراسة عامة وإقليمية ، تأليف دكتور أحمد نجم الدين فليجة ، ص ٢٢١ - ٢٢٦ .

معينة ، كان الهدف منها استفادته هو دون أهل القارة ، وبقيت آثار تلك السياسة يعانى منها شعب أفريقية حتى الآن ، ومنها سياسة تخصص كل قطر فى إنتاج سلعة أو سلعتين وإذا تعددت فثلاث ، وقد ترتب على هذه السياسة ظهور مشاكل كثيرة لا يزال يعانى منها الاقتصاد الأفريقى للتخلص من ارتباط اقتصاده مع دول الاحتلال – القديم والحديث – واضطراره للاعتماد على سوق الدول الصناعية الكبرى .

ولتوضيح هذه الحقيقة نورد الأمثلة التالية على اعتماد دول القارة على إنتاج عدد محدود من السلع تجعلها تحت رحمة السوق الأوربية وغيرها من أسواق الدول الصناعية .

أقطار تعتمد على محصول واحد فى صادراتها	النسبة المئوية من مجموع قيمة الصادرات	نوع السلع المصدرة
ليبيا	٩٩,٨٪	بترول خام
غامبيا	٩٧٪	فول سودانى ومنتجاته
موريشيوس	٩٦٪	سكر
زامبيا	٩٣٪	نحاس
زنجبار	٨٦٪	قرنفل
تشاد	٨٣٪	قطن
السنغال	٧٨٪	بذور زيتية
النيجر	٧٥٪	بذور زيتية
ليبريا	٦٩٪	خامات حديد
الجزائر	٦٩٪	بترول
غانة	٦٩٪	كاكاو

أقطار تعتمد على محصولين	النسبة المئوية من مجموع قيمة الصادرات	نوع السلع المصدرة
رواندا	٨٥٪	بن + قصدير خام
سيراليون	٨٥٪	ماس + قصدير خام
الصومال	٨٤٪	حيوانات + موز
السودان	٨١٪	قطن + بذور زيتية
أوغندة	٧٧٪	بن + قطن
أنجولا	٧٠٪	بن + ماس
أفريقية الوسطى	٧٠٪	ماس + قطن
فولتا العليا	٧٠٪	حيوانات + قطن
الكونغو الشعبية	٦٩٪	أخشاب + ماس
مصر	٦٩٪	قطن + منسوجات
توجو	٦٨٪	فوسفات + كاكاو
أثيوبيا	٦٨٪	بن + جلود

أقطار تعتمد على ثلاث سلع	النسبة المئوية من مجموع قيمة الصادرات	نوع السلع المصدرة
جابون	٨٢٪	بترول + منغنيز + أخشاب
نيجيريا	٧٨٪	بترول + زيوت نباتية + كاكاو
ملاوى	٧٥٪	شاى + تبغ + زيوت نباتية
الكمرون	٦٩٪	بن + كاكاو + المنيوم

ونتيجة لتلك السياسات التى رسمها الاحتلال الأوروبى لمعظم أقطار القارة فإنها قد سببت ولا تزال فى تخلف القارة الاقتصادى والاجتماعى ، على الرغم من طاقاتها الهائلة ووفرة المواد الخام والأرض والطاقة البشرية . ولإثبات هذه الحقيقة نورد الحقائق التالية :

(١) لا تساهم أرض القارة - التى تؤلف ٢٥٪ من مساحة اليابسة - ولا سكانها - الذين يبلغ مجموعهم ٩٪ من مجموع سكان المعمورة - إلا بنسبة ٢٪ من الإنتاج العالمى . وإذا ما علمنا أيضا أن جنوب أفريقية بسكانها الذين يكونون ٦٪ من مجموع سكان القارة ، تنتج لوحدها ما يقارب إنتاج القارة ، ذلك نتيجة لسيطرة البيض وارتباطهم المباشر مع الاقتصاد الأوربى ، وحصولهم على رؤوس الأموال الأجنبية بسهولة وبدون أية شروط .

(٢) أن ٣٠٪ من اقتصاد أفريقية يعتمد على الأنشطة الاقتصادية الزراعية ، بينما نجد أن هذه النسبة تنخفض إلى ٣٪ فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا .

(٣) لا تكون قيمة الإنتاج الصناعى سوى ٨٪ فقط من قيمة الإنتاج الكلى ، مع العلم بأن القارة الأفريقية تمتلك نسبة عالية من المعادن الخام ونسبة عالية من وفرة الطاقة المائية الرخيصة غير مستغلة إلا بنسب ضئيلة جدا .

(٤) يعتمد الاقتصاد الأفريقى بالدرجة الأولى على صادرات السلع التى هى فى معظمها مواد خام زراعية أو معادن تصدرها لتستورد بدلها منتجات صناعية . حيث أن ٢٢٪ من قيمة الفعاليات الاقتصادية للقارة ترجع للواردات ، و٢٥٪ للصادرات . مع العلم بأن التجارة الداخلية بين أقطار القارة لا تؤلف ٢٪ من مجموع قيمة السلع الداخلة فى التجارة . وهذا يعنى أن الإنتاج الاقتصادى للقارة مرتبط ارتباطا كبيرا بالأقطار الخارجية ، وخاصة بريطانيا ودول الجماعة الاقتصادية الأوربية .

(٥) إذا ما قدرنا قيمة الإنتاج الأفريقى السنوى بحوالى ٥٠ ألف مليون دولار ، فلا يصيب الفرد الواحد سوى (١٥٠) دولار سنويا . وإذا ما قورن بما

يصيب الفرد بأقطار متقدمة فى العالم نجده (٣٠٠٠) دولار للفرد سنويا فى الولايات المتحدة وأكثر من (١٥٠٠) فى كل من فرنسا وانجلترا .

(٦) تشير الإحصائيات بأن معدل نمو الاقتصاد الأفريقى السنوى للفترة من ١٩٦١ - ١٩٧٠ م قد بلغ ٥٪ فقط . وبالمقارنة مع نمو السكان السنوى الذى يبلغ حوالى ٢,٥٪ ، فهذا يعنى أن معدل دخل الفرد الأفريقى لم يزد عن ١,٤٪ . وهذا ناتج عن اعتماد الاقتصاد الأفريقى على إنتاج الخامات دون تصنيعها بالإضافة للعوامل الأخرى .

إن أفريقية تعتبر كنز كبير عظيم يزخر بأنواع المعادن التى لم يكتشف إلا جزء يسير منها ، ومع ذلك فهى تساهم الآن بـ ٪ الإنتاج العالمى من المعادن . وهذا جدول يبين ضخامة الإنتاج الأفريقى بالنسبة للإنتاج العالمى[١] :

(١) أفريقية ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

عـام ١٩٧٥ م

المواد الخام	العالم	أفريقية	نسبة إنتاج أفريقية٪
البتـــرول	٢٦٤٦,٢٩٠,٠٠٠ طن م	٢٤٠,٣٠٠,٠٠٠ طن م	٩,٢
اليورانيـــوم	١٩,٧٩٣	٤,٦٠٠	٢٣
الحديـــــد	٥٠٠,٢٠٠,٠٠٠	٣٩,٢٧٢,٠٠٠	٨
انتيمـــونى	٧٢,٦٠٠	٢٦,٤٤٤	٣٦
بوكسايت	٧٥,١٨٠,٠٠٠	٨,٥٩٤,٠٠٠	١٠
كروم	٣,٦٦٠,٠٠٠	١,٢٨٣,٥٠٠	٣٥
النحـــاس	٧,٣٠٠,٠٠٠	١,٥٨٦,٠٠٠	٢٣
الـــذهب	٩٧٦,٠٠٠ كجم	٧٥٠,٨٣٦ كجم	٧٧
الماس صناعى	٣٠,٨٣٠,٠٠٠ قيراط	٢٠,٢٢٩,٠٠٠ قيراط	٧٥
ماس زينة	١١,٨٧٠,٠٠٠	٧,١٤٨,٠٠٠	٧٠
المنجنيـــز	٩,٣٢٠,٠٠٠	٣,٥٨٧,٠٠٠ طن م	٣٠
القصديـــر	١٧٥,٦٠٠	١٤,٧٠٩	٨
الفوسفـــات	١١٨,٥٠٠,٠٠٠	٢٤,١٨٠,٠٠٠	١٩
الـــزنك	٥,٤٣٠,٠٠٠	٢٢٧,٤٠٠	٤

هذه الثروات التى تضمها أفريقية بين جوانحها لا يستفيد منها أهل أفريقية ، إنما يستفيد منها الغرباء المغتصبون ، الذين يسمون زورا وبهتانا بالعالم المتحضر .

وحينما نقول زورا وبهتانا ، فذلك ما يؤكده موقف ذلك العالم غير الإسلامى مما يحدث فى أفريقية ، إنهم يتركون أهلها يموتون جوعا ، دون أن يمدوا لهم يد المساعدة بل يمكن القول بيقين إنهم هم الذين خططوا لذلك !

الفصل الثـــانى

غزو واغتصاب أفريقية
تحت ستار ما تسمى الكشوف الجغرافية

* أوربا تتستر بما تُسمَّى الاكتشافات الجغرافية لاغتصاب أفريقية وغيرها من أرض الله .
* العالم ومنه أفريقية كان معروفا لدى المسلمين الأوائل قبل قيام أوربا بما تسمى الاكتشافات بزمن طويل .
* محمـود شاكر يكشف فى مقالة (الكشوف الجغرافية) عن حقيقتها ودوافعها .
* الرحالة والمؤرخون والجغرافيون المسلمون ، يجوبون العالم منذ أقدم العصور ويكتبون عنه قبل أوربا بزمن طويل .



الفصل الثانى

غزو واغتصاب أفريقية
أكـذوبة
الاكتشافات الجغرافيـة

اعتاد الدارس والقارىء للمراجع التاريخية والجغرافية ، أن يقرأ أن كثيرا من بلاد العالم – ومنها أفريقية ، وآسيا ، وما يسمى فى عصرنا (بالأمريكتين) وبعض الجزر فى البحار والمحيطات ، كانت مجهولة للإنسان من ذرية آدم – عليه السلام – وأن الذين أخذوا زمام المبادرة وكشفوا هذه المجاهيل هم أبناء أوروبا ومنهم الأسبان والبرتغاليون والإنجليز والهولنديون .

وأن أوروبا حينما اكتشفت هذه المجاهيل وجدت فيها أناسا يعيشون حياة بدائية ، لا تكاد تختلف عن حياة إنسان – ما سموه أيضا – بالعصور الحجرية ، أو عصور ما قبل التاريخ ، ولذلك فإحساسا منها – من أوروبا – بمسئوليتها أمام التاريخ ، قررت أن تحتل هذه البلاد ، لكى ترتقى بهذه الأمم والشعوب فى سلم الحضارة .

وهذا كله من باب الأكاذيب التى لم تجد من يتصدى لها ويبين حقيقتها – وإن وجدت – فلا تكاد تجد لها صدى كبيرا لدى من يتعرفون على تلك الحقيقة نظرا لقلة عددهم ، فى مقابل الأعداد الضخمة من بنى آدم الذين يتخرجون من دور العلم ، وقد لقنوا تلك الأكاذيب على أنها حقائق لا تقبل المناقشة أو التشكيك .

ومن الكتابات الجيدة التى تصدت لهذا الموضوع (مقالة للشيخ محمود شاكر) بارك الله فى عمره ، عن الكشوف الجغرافية حقيقتها ودوافعها .

ونظرا لأن من طبيعة الإنسان النسيان ، وأن الله سبحانه وتعالى أوجب علينا التذكير بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وذَكِّر فَإِنَّ الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ .

فإنّني بعد الاستعانة بالله ، قد قررت كتابة مقالة أخرى انطلاقا من المقالة التى كتبها الأستاذ محمود شاكر ، وقبل ذلك انطلاقا من المصادر الإسلامية ، لفضح الأكاذيب التى بثتها أوروبا فى ثنايا المصادر والمراجع ، وربت عليها الكثير من بنى آدم ، وهى اكتشاف البلاد المجهولة من العالم ، وأن إنسان تلك البلاد كان يعيش معيشة لا تختلف عن الحيوانات المتوحشة ، وأنها هى التى أخذت بيده إلى سلم الحضارة . مع بيان وجه الحقيقة : وهى أن ذلك العالم لم يكن مجهولا من قبل . وأن إنسانها من ذرية آدم كان أكثر تحضرا وتمدينا من هؤلاء الذين يعيشون على أرض الله من ذرية آدم عليه السلام .

فالمصادر الإسلامية تبين لنا أن :

آدم أبو البشر كان عملاقا ، وطوله ستون ذراعا :

إن أكمل صورة للخلق الإنسانى ، هى الصورة التى خلق الله – سبحانه وتعالى – عليها آدم عليه السلام[1] ، فقد كان آدم عليه السلام عملاقا ، طوله ستون ذراعا ، وكان خلقه من قبضة قبضها الله سبحانه وتعالى من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود ، ومن ذلك الخبيث والطيب والسهل والحزن[2] ، كما بين لنا ذلك رسولنا محمد ﷺ .

وكان آدم – عليه السلام – نبيا مكلما[3] ، أى أنه كان يتصل بالله – سبحانه وتعالى – اتصالا دائما عن طريق الوحى ، كما كان نبيا مسلما ، يعرف

---

(١) قال رسول الله ﷺ : « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا ، ثم قال اذهب فسلم على أولئك من الملائكة ، واستمع ما يجيبونك فإنّها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن » . [رواه البخارى فى باب الاستئذان ؛ فتح البارى ، ج ٦ ، ص ٣٦٢ وما بعدها] .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) لما رواه ابن حبان فى صحيحه عن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله ، كم الأنبياء ؟ قال : « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا » . قلت : يا رسول الله كم الرسل ؟ قال : « ثلاثمائة وثلاثة عشر ، جم غفير » ، قلت : يا رسول الله ، من كان أولهم ؟ قال : « آدم » . قلت : يا رسول الله ، نبى مرسل ؟ قال : « نعم ، خلقه الله بيده ، ثم نفخ فيه من روحه ، ثم سواه مثلا » . [البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٨٩] .

ربَّه وإلهه ودينه الذى لا يقبل الله من الأولين والآخرين غيره – كما أنه كان قمة فى الحضارة الإنسانية ، وهو الوحيد الذى عاش فى عالم يرنو إليه المسلم ببصره صباح مساء ، ألا إنه عالم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ﴾[1] . لقد عاش آدم فى الجنة فترة ، لا يعلمها إلا الله – عز وجل – ثم أنزل إلى الأرض ابتلاء وامتحانا : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا ، فإما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[2] .

وكان آدم – عليه السلام – أيضا عالما : ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلها ﴾ . لقد علمه الله سبحانه وتعالى علم كل شيء : ﴿ خلق الإنسان . علمه البيان ﴾[3] ، لأن الله قد استخلفه فى الأرض ، ومن رحمة الله – سبحانه وتعالى – أن زود آدم بكل مقومات الخلافة التى تمكنه من أداء ما كلفه الله سبحانه وتعالى به ، بعد أن سخر الله سبحانه وتعالى له ذلك الكون الذى نعيش فيه : ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[4] . لقد علم الله آدم عليه السلام كيف يصنع ثوبه ويستر عورته ، وعلمه أيضا كيف يرعى الأنعام ، ويستفيد بألبانها وأشعارها وأوبارها ولحومها وجلودها ، كما علمه صناعة السفن وركوب البحار ، وعلمه كيف يهتدى بالنجوم فى ظلمات البر والبحر ، كما علمه اتخاذ المسكن والأثاث ،

---

(١) البقرة : ٣٥ .

(٢) البقرة : ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) الرحمن : ٣ ، ٤ .

(٤) الجاثية : ١٣ .

إن الرجوع إلى آيات الله سبحانه وتعالى ، تؤكد لنا أن الله سبحانه وتعالى هو الذى سخر لآدم وبنيه الشمس والقمر ، وهو الذى سخر لهم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لهم الليل والنهار ، وسخر لهم البحر ليأكلوا منه لحما طريا ، كما سخر لهم ما فى السموات وما فى الأرض ، بل إنه سبحانه وتعالى كان يسخر الجبال يسبحن مع داود عليه السلام ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ﴾ . [الأنبياء : ٧٩] . انظر أيضا إبراهيم : ٣٢ ، ٣٣ ؛ النحل : ١٣ – ١٤ ؛ الحج : ٩٥ ؛ العنكبوت : ٦١ ؛ لقمان : ٢٠ ، ٢٩ ؛ فاطر : ١٣ ؛ الزمر : ١٣ ؛ ص : ١٨ ، ٣٦ .

إلى غير ذلك من العلوم التى تنفعه فى دنياه وأخراه[1]

ويهمنا هنا أن نذكر (أن الأرض التى صور بعض أبناء آدم من سكان أوروبا أنهم قد اكتشفوها ، قد ذللها الله - سبحانه وتعالى - لآدم وذريته : ﴿ هوالذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾[2] . وكون أن الله سبحانه وتعالى قد ذللها ، واستخلف آدم وذريته فيها ، فلابد وأن آدم - عليه السلام - كان على علم بكل جزء من أجزائها ، لأنه مكلف من قبل الله - سبحانه وتعالى - بالنزول إليها والعيش عليها هو وذريته فترة الحياة الدنيا .

وهذه قضية مهمة جدا لفهم حقيقة ما تسمى بالكشوف الجغرافية .

نزل آدم إلى الأرض هو وزوجه ، ومَنَّ الله عليهما بالذرية الكثيرة ، وكان منها الصالح والضال . يُذكر من هذه الذرية « ابنى آدم » وقصتهما مبسوطة فى القرآن[3] ، وكثر نسل آدم - عليه السلام - على الأرض ، يدل على ذلك ما ورد عن الصادق المصدوق محمد - ﷺ - أنه قال فيما يرويه ابن عباس - رضى الله عنه -: « بين آدم ونوح - عليهما السلام - عشرة قرون ، كلهم على الإسلام »[4] .

هذه القرون العشرة ، قد تكون عشرة أجيال - أى حوالى عشرة آلاف سنة - لأن الأجيال الأولى كانت تعمر حوالى ألف سنه ، مثل آدم ونوح عليهما

---

(١) انظر : (أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ) ، الرسالة الأولى دار الوفاء - المنصورة ، دار طيبة - الرياض .

(٢) تبارك : ١٥

(٣) المائدة : ٢٧ - ٣٣ .

(٤) البداية والنهاية ، للإمام الحافظ ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٠١ . إن دراسة تاريخ الإنسان ، وتاريخ الدين الصحيح الذى ارتضاه الله سبحانه وتعالى لبنى آدم على هذا النحو ، يبين فساد مناهج التعليم عموما ومناهج التاريخ القديم على وجه الخصوص ، التى ربت أبناء آدم على أن بداية الخلق الإنسانى هى الخلية الحية ، التى نشأت فى البرك والمستنقعات ، وأن الدين من اختراع العقل البشرى (انظر سلسلة أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ .

السلام ، وقد تكون (١٠٠٠) عام ، إذا حسبنا القرن بمائة سنة ، وقد يضاف إلى هذه القرون العشرة التى كانت على الإسلام ، قرون أخرى لم تكن على الإسلام ، كما قال بعض المفسرين . (البداية والنهاية ، الجزء الأول ، ص ١٠١) .

وجاء وقت استطاع الشيطان فيه أن يجتال أبناء آدم عن دينهم ، فأرسل الله إليهم نوحا – عليه السلام – يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وبعد ألف عام إلا خمسين من الدعوة إلى الله ، سخر الله الطوفان ، فأهلك المكذبين من ذرية آدم – عليه السلام – ونجى الله نوحا ومن معه ، وكان لنوح ثلاثة أبناء : سام وحام ويافث لما رواه الترمذى عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ أنه قال : « سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم » توجه سام إلى جزيرة العرب ، وتوجه حام إلى أفريقية ، وتوجه يافث إلى أوروبا ، ومعهم بعض المسلمين الناجين من الطوفان ، ليعمروا هذه الأجزاء من الأرض ، ويتناسلوا ، ويربوا أبناءهم وذراريهم على الإسلام ، ومن هذه الحقائق يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية :

(١) أن الله قد خلق الأرض ، وأنزل إليها آدم وذريته ، وليس من المتصور أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل آدم إلى أرض لا يعرف عنها شيئا ، أو لا يعرف عن جزء من أجزائها شيئا ، لأن الأصل أن آدم هو الذى ربى أبناءه على الإسلام ، وعلمهم مما علمه الله – عز وجل – وأنه لابد وأنه قد أعطاهم معلومات عن الأرض ، التى سيعيشون عليها ، وواجبهم من ناحية إقامة دين الله عليها ، وذلك يستلزم علم أبناء آدم بالأرض وأجزائها (قاراتها) التى سيعيشون عليها .

(٢) أن أول دين عرفته الأرض هو الإسلام ، وأنه الدين الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره (انظر أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله ، الفصل الرابع) .

(٣) أن القارات – كما يقول الجغرافيون – كانت بينها معابر أرضية أخرى غير الموجودة حاليا أحدها عند بوغاز باب المندب ، وكان يربط أفريقيا

بآسيا ، وآخر عند جبل طارق وكان يربط أوروبا بأفريقيا ، وذلك يعنى أن العبور من قارة إلى أخرى كان ممكنا عن طريق البر ، وكان ممكنا عن طريق البحر ، أى أن الارتباط بين القارات كان قائما منذ القدم .

(٤) إذا وُجد أى إنسان على أية بقعة من الأرض ، فهو من ذرية آدم عليه السلام ، وليس من عنصرٍ أو سلالة أخرى غير سلالة آدم عليه السلام ، وهو إما أن يكون على الإسلام ، أو أن الشيطان قد اجتاله عن دينه ، وذلك يعنى أيضا أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل رسلا إلى كل بقعة من بقاع الأرض كان عليها أناس من ذرية آدم ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾[1] ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾[2] . وهذا يعنى أن القارتين المغتصبتين ، واللتين أطلق عليهما اسم مغتصبيهما (أمريكا نسبة إلى أمريكوس الفلورنسى) كان يعيش عليها أناس من ذرية آدم عليه السلام قد أرسل إليهم رسل ، فمنهم من أسلم ومنهم من كفر ؛ وإن كُنَّا لا نستطيع أن نحدد من هم الرسل ، ولكن من المعلوم أن الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر ، جم غفير ، والمذكور أسماؤهم فى القرآن خمسة وعشرون وهم الذين أرسلوا فى مناطق محددة ، أرض الرافدين وأرض السوس وأرض الجزيرة العربية ومصر وبلاد الشام ، والباقى من الرسل لابد وأن يكونوا قد أرسلوا فى بقاع أخرى من الأرض ، قد تكون فى وسط وجنوب أو شرق أفريقيا وقد تكون فى المنطقة التى سميت أمريكا الشمالية والجنوبية وقد تكون فى الجزر ، المهم أن الله – سبحانه وتعالى – لابد وأن يكون قد أقام الحجة على أهل كل عصر وعرصات .

إذن ادعاء أهالى أوروبا أنهم قد خرجوا فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ليكتشفوا مناطق وقارات لم تكن معروفة من قبل ، فهو من باب

---

(١) النحل : ٣٦ .

(٢) فاطر : ٢٤ .

الادعاء الذى لا يقوم على أساس ، فكل بلاد العالم كانت موجودة ومعروفة للناس .

(٥) أن إنسان ما يسمى بالعصر الحديث ، هو أضعف بنية من الإنسان الأول ، وهو آدم عليه السلام ، وليس من وجه للمقارنة ؛ كما أنه أقصر عمرا ، ما بين الستين والسبعين ، وليس من وجه للمقارنة ، وأقل تدينا ، فآدم عليه السلام نبى مكلم ، ولا وجه للمقارنة أبدا ، كما أن جميع أهل الجنة من ولد آدم يدخلون الجنة على صورته . كما أن آدم علمه الله علم كل شيء ، وبالتالى علمه آدم لذريته . فمثلا قوم نوح عليه السلام كان لديهم علم بالطب ، يتمثل فى معرفة أطوار الجنين : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾[1] وعلم الفلك : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ﴾[2] وعلم بطبيعة الأرض : ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطا . لتسلكوا منها سبلا فجاجا ﴾[3] .

من هنا نوجه نصيحة إلى أبناء آدم ، الذين نسوا فضل الله ونعمه ، وهم من نسل أبناء آدم ، ولكن الشيطان قد اجتالهم عن دينهم الذى أخذ الله عليهم العهد به : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾[4] أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويرجعوا إلى ربهم والدين الذى كان عليه أباهم .

---

(١) نوح : ١٤ .
(٢) نوح : ١٥ - ١٦ .
(٣) نوح : ١٩ - ٢٠ .
(٤) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣ .

قرائن أخرى تؤكد

أولا : أن المسلمين قد زاروا أفريقية والهند والصين وغيرها من البلدان ، وجابوا البحار والمحيطات وما فيها من جزر ، وأنهم كانوا يتجولون بينها ، ويقيمون بين ظهرانى أهلها ، وأنهم سلكوا طرقا برية وبحرية مطروقة ومعروفة قبل ما تسمى باكتشافات أوروبا الجغرافية ببضعة قرون .

ثانيا : أن الكثير من أهالى تلك البلاد كانوا مسلمين بدليل تولى ابن بطوطة القضاء فى دلهى ، وجزر الملاديف .

ثالثا : أوروبا قد اعتمدت فى تعرفها على البلاد التى لم تكن تعرفها ، على المعلومات التى قدمها لها الجغرافيون والمؤرخون والرحالة المسلمون .

ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر :

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى الموصلى) :

وهو رحالة عربى مسلم وجغرافى مشهور . غادر بغداد عام ٣٣١ هـ ، فجاب العالم الإسلامى من المشرق إلى المغرب ، وكتب فى ذلك مصنف المسالك والممالك حوالى عام ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) والذى نشره مستشرق هو ده غوى de Goeje فى المجلد الثانى من المكتبة الجغرافية Bilet-Geagr-Arab

الاصطخرى[٢] (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصْطخرى المعروف بالكرخى عربى مسلم ، جغرافى مشهور ، عاش فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) له كتاب بعنوان (المسالك والممالك) نشره أيضا

(١) ما تسمى دائرة المعارف الإسلامية ، ط جمادى ١٣٥٢ هـ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، م ٢ ، ص ٢٥٦ ، ونحن نورد هذه الأخبار نقلا عن مرجع حريص على طعن الإسلام وتشويه التاريخ الإسلامى ، من باب وشهد شاهد من أبناء أوروبا على سبق المسلمين الجغرافيين والمؤرخين وغيرهم إلى معرفة العالم .

ده غوى فى المجلد الأول من المكتبة الجغرافية العربية وقد حققه محمد جابر عبد العال الحسينى ، ١٣٨١ هـ) .

البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد) :

عربى مسلم ، ولد عام ٣٦٢ هـ . ذهب فى حداثة عهده إلى الهند . له كتابات (الآثار الباقية فى القرون الخالية) ، و(تاريخ الهند) .

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على الهذلى المسعودى :

ولد فى الثلث الأخير من القرن الثالث الهجرى ببغداد ، وتوفى عام ٣٤٦ هـ بمصر .

زار بلاد فارس ٣٠٢ هـ ، والهند سنة ٣٠٤ هـ وسرنديب (سيلان) ، ورحل إلى الصين عن طريق البحر ، وقبل ذلك كان فى فارس وكرمان سنة ٣١٩ هـ ، وطاف البحر الهندى ، ورحل إلى ما وراء أذربيجان وجرجان ، وزار أفريقية ، وكتب عنها كتاب لم يبق منه إلا (مروج الذهب ومعادن الجوهر)[١] الذى يعتبر حجة على سبق المسلمين على أوروبا فى معرفة أفريقية ، وحجة على الرخاء والثراء الذى كان ينعم به إخواننا من أهل أفريقية الذين يعانون اليوم من الموت جوعا وعطشا .

كتب المسعودى ما شاهده فى زيارته لشرق أفريقية ، لمدة ثلاث سنوات (اعتبارا من ٣١٢ هـ) انطلاقا من عمان عبر البحر الأحمر ، حيث انتقل من هناك إلى جنوب القارة الأفريقية .

---

(١) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، مطبعة دار السعادة ، مصر ، ١٣٨٤ م ؛ أفريقية ، ص ١٩ - ٢٠ ، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان ، تأليف د . محمد محمود محمدين ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٥٢ .

سبق المسعودى فى هذا المضمار ، وهب بن منبه الذى دون الكثير من أخبار شعوب وممالك أفريقية عام ١٣٨ هـ تقريبا فى كتابه (قصة الهجرة العظمى) . وكذلك الفزارى أبو إسحاق إبراهيم الذى زار دولة غانة قبل عام ٢٠٠ هـ وسماها أرض الذهب . وهذا دليل على الأمن والرخاء الذى كانت تنعم به تلك البلاد .

وهذا دليل على أن أفريقية كانت غنية وكانت معروفة ، وكانت آمنة ، وأن الذين أفقروها هم أبناء أوروبا ، وأن الذين أجاعوها هم أبناء أوروبا ، وفيه دليل أيضا على الأمانة التى يتصف بها أفراد الرعية ، والرحمة التى كان عليها الحكام .

وفى رحلة ثانية زار المسعودى شعوب أفريقية الغربية وممالكها[١] . ووصف الأقوام الذين سكنوا شرق أفريقيا وداخلها « ومساكن الزنج من الخليج المتشعب من أعلا النيل إلى بلاد سفالا (قرب ميناء بيرافى موزمبيق ولواق واق (الساحل الجنوبى من موزمبيق) ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطنهم فى الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ ، أودية وجبال ورمال » . ثم يصف أراضى مملكة الوقليمى الذين بنوا عاصمتهم فى أقصى الجنوب من أرض سفالا حيث يقول : (أقاصى بحر الزنج هو بلاد سفالا وأقاصيه بلاد الواق واق وهى أرض كثيرة الذهب ، كثيرة العجائب ، خِصْبَة حارة دوابهم البقر ، وليس فى أرضهم خيل ولا إبل ، ولا يعرفونها وكذلك لا يعرفون البَرْد أو الثلج . والزنج مع كثرة اصطيادهم لما ذكرنا من الفيلة وجمعهم لعظامها غير منتفعة من ذلك فى آلاتها ، وإنما تتحلى بالحديد بدلا من الذهب والفضة ، والغالب على أقواتهم الذرة ، ومن غذائهم العسل واللحم)[٢]

وذكر المسعودى (أن أقاصى بلاد الزنج إليها يقصد مراكب العمانيين والسيرافيين) (ص ٦)[٣].

(وجزائرهم فى البحر لا تحصى كثرة ، ومن بعض تلك الجزائر جزيرة بينها وبين ساحل الزنج نحو من يوم أو يومين ، فيها خلائق من المسلمين يتوارثها ملوك من المسلمين ، يقال لها قنبلو ؟) (ص ١٧)[٤].

---

(١) يعتبر ابن خلدون : المسعودى إمام المؤرخين وحجة الجغرافيين (انْظُر العبر وديوان المبتدأ والخبر).

(٢) نشره ده سلانى σ......$\Sigma\lambda\alpha$ $\Delta\sigma$ عام ١٨٥٧ م .

(٣) أفريقية ، ص ٢٤ ؛ أفريقية تحت أضواء جديدة ، ص ١٤٢ .

(٤) أفريقية ، ص ٢٠ ؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر فى تحف الأشراف والملوك ج ١ ، ص ٦ وما بعدها ، ص ٢ ، ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م ، ص ١٥ ، ص ١٧ .

وذكر المسعودى من القبائل الأفريقية (البجة) وهى قبائل نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر ، وفى أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد) (ص ١٨) .

الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله) :

ابن إدريس الحمودى ، عربى مسلم . ولد عام ٤٩٣ هـ/١١٠٠ م بسبتة ، وتوفى عام ٥٦٠ هـ/١١٦٦ م بعد أسفار طويلة استقر فى بلاط الملك النورماندى روجر الثانى فى بالرمو ، وقد أتم فى بالرمو قبيل وفاة هذا الملك (٥٤٨هـ/١١٥٤م) وصفه للكرة الأرضية المصنوعة من الفضة فى كتابه المشهور باسم (كتاب رُجّار) أو (الكتاب الرّجارى) أو (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) (نشره دوزى ودى جوجة لايدن ، ١٨٦٦ م) ، وهو الكتاب الذى نشر بعضه مع إحدى وسبعين خريطة ، فى مقدمتها خريطة مستديرة للعالم[1] ، موضح عليها الأقاليم السبعة المعروفة ، ومنها أفريقية مع وصفها . وصنَّف الإدريسى لغليوم الأول (١١٥٤ – ١١٦٦ م) كتابا كبيرا فى الجغزافية عنوانه (روض الأنس ونزهة النفس) أو كتاب (الممالك والمسالك) ولم يبق من هذا الكتاب إلا مختصر فى مكتبة حكيم أوغلو على باشا بأستانبول (رقم ٦٨٨) ، وقد طبع مختصر بسيط لكتاب رجار فى روما حوالى عام ١٥٩٢ م بعنوان (نزهة المشتاق فى ذكر الأمصار والأقطار) و(البلدان والجزر والمدائن والآفاق) . ويعتبر كتابه أعظم مصنفات ما تسمى بالعصور الوسطى فى الجغرافية .

مخطوطات الكتاب للأسف ، فى مكتبات باريس (مخطوطتان) ، اكسفورد (مخطوطتان) ، واستانبول (مخطوطة واحدة فى أيا صوفيا) .

ابن بطوطة :

شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى ، ولد فى

---

(١) ذكر شخص اسمه جوتييه مكانة الإدريسى (أبو عبد الله محمد ، توفى ٦٥٠ هـ ، له كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق) وما قدمه بقوله : (إن الشريف الإدريسى الجغرافى كان أستاذا للجغرافيا فى أوروبا بطليموس ، إذ لم يكن للعالم فى ذلك اليوم مصور عن الأرض إلا ما رسمه وانظر أفريقية ، ص ١٩ .

طنجة عام ٧٠٣هـ/١٣٠٤ م وتوفى عام ٧٧٦ هـ/١٣٦٨ م . طاف معظم بقاع العالم المعروف فى زمنه ، وقد ترك لنا كتابا هو (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب أسفار)[1] وفيه وصف لرحلته الأخيرة عام ٧٥٢ هـ/١٣٥٢ م إلى السودان الغربى وتجواله فى مملكة مالى ، ووصل إلى تمبكتو التى كانت عاصمة للحضارة الإسلامية فى ذلك الوقت ، ثم توغل شرقا إلى النيجر ، حيث أنه هو أول من ذكر أن النيجر يسير إلى الشرق . وكان قبل ذلك قد زار شرق أفريقية ، (بربرة ومقديشو وممباسا وكلوا وصوفالا) وزار مدنها الواحدة بعد الأخرى[2] ، وقد رجع إلى مراكش عن طريق واحتى غات وتوات (جغرافية أفريقيا ، تأليف د . فتحى محمد أبو عيانه ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٣) .

وهذا دليل على سبق المسلمين على أوروبا فى معرفة معظم بقاع العالم ، ودليل أيضا على الأمن الذى كان عليه الطريق ، وكانت عليه القارة الأفريقية ، كما يدلنا ذلك أيضا على الثراء الذى كانت عليه القارة الأفريقية (التى تموت جوعا فى القرن الرابع عشر الهجرى) .

ولقد أنتجت أسرة ابن بطوطة عدة قضاة ، منهم الرحالة نفسه فهو وليد أسرة عريقة فى الاشتغال بالعلوم الشرعية .

درس العلوم الدينية وتفقه فيها ، وفى سن الحادية والعشرين سافر ابن بطوطة وحده من طنجة لأداء فريضة الحج ، وفى الطريق زار قاضى الإسكندرية فنزل عند أحد علمائها المسمى برهان الدين ، ولقد توسم فيه برهان الدين حب التجوال وأوصاه إن ذهب إلى الهند أو السند أو الصين أن يزور أفرادا سماهم له ، وهنا يتجلى اهتمام الرحالة المسلم بالدين وعلماء الدين فى كل صحيفة من كتابه .

---

(١) نشر دار التحرير ، مصر ، ١٣٨٦ هـ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٤ هـ /١٩٦٤ م ص ٦٨٢ وما بعدها ؛ أفريقية ، ص ٢٥ .

وقد زار ابن بطوطة القسطنطينية فى حاشية الأميرة اليونانية زوجة السلطان محمد أوزبك ، ومن الفلجا اخترق خوارزم وبخارى وأفغانستان فى طريقه إلى الهند وولى القضاء فى دلهى . واشترك بعد سنتين فى بعثة سياسية إلى الصين ، وصل إلى جزر الملاديف حيث ولى القضاء مدة عام ونصف ، ووصل من هناك إلى الصين عن طريق جزيرة سيلان والبنغال والهند الأقصى ، ثم رجع إلى بلاد العرب عن طريق جزيرة سومطرة . وكما أوردنا ، زار تمبكتو ومالى ثم رجع إلى مراكش عن طريق واحتى غات وتوات ، وكانت له رحلة طويلة وأخرى إلى بلاد الزنج بأفريقية عام ٧٥٣ و٧٥٤ هـ .

حسن بن الوزان (ليو الأفريقى) :

ولد فى غرناطة عام ٨٩٣ هـ/١٤٩٣ م ، من أصل مغربى ، عاد مع أهله إلى المغرب ، وأقاموا فى فاس . قاده حب الاطلاع إلى الترحال مع التجار الذين يتاجرون مع بلدان جنوب الصحراء المجاورة فى غرب أفريقية .

كتب عن دولة سنغاى والمناطق المجاورة لها فى مالى ، والهوسا وبورنو وعما شاهده فى رحلاته فى أفريقية التى بدأت عام ٩١٠ هـ/١٥١٠ م .

أسره القراصنة الأوربيون ، وأخذوه إلى البابا ليو العاشر ، الذى أبقى على حياته للاستفادة من رحلاته ومذكراته .

كتب كتابا سماه : (تاريخ ووصف أفريقية) كان مصدرا من المصادر التى استقى الأوربيون منها معلوماتهم(١) .

---

(١) نشر بالإيطالية عام ١٥٥٠ م ، ثم ترجم إلى الإنجليزية عام ١٦٠٠ م .

ويقول بوفيل Bovill أنه قبل قدوم العرب لم نكن نعرف الكثير عن أفريقية جنوب بلاد المغرب فنحن مدينون بمعلوماتنا عن التاريخ المبكر لداخل القارة إلى فئة قليلة من المؤلفين والرحالة من أهمهم المسعودى وابن حوقل وابن خلدون (تاريخ كشف أفريقية واستعماره) ، تأليف د . شوقى الجمل ، ص ٤٧ ، أفريقية ، ص ١٩ .

البكرى (أبو عبد الله عبد الله بن عبد العزيز بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو ، ابن أبى مصعب) :

ولد فى قرطبة عام ٤٣٩ هـ/١٠٣٩ م وتوفى فى قشتالة عام ٤٩٤ هـ/١٠٩٤ م وهو أقدم جغرافى أندلسى له (معجم ما استعجم) ومن أهم ما كتب (المسالك والممالك) الذى أتمه عام ٤٦٨ هـ/١٠٦٨ م ، وقد نشر[١] منه الجزء الخاص بالممالك والأصقاع التى تمتد ما بين النيل شرقا والمحيط الأطلسى غربا ، ومن البحر المتوسط شمالا والسفانا جنوبا .

خصص جزءا كبيرا من كتابه للحديث عن أفريقية الغربية وملوكها تحت عنوان (تذكرة النسيان فى أخبار ملوك السودان) . وفيه يذكر عن (مملكة غانا) بأنها احتكرت تجارة الذهب ، واهتم ملوكها بالحفاظ على أسعاره : (كل كتلة من الذهب يجدها المنقبون يبعثون بها توا للملك يحرزها لنفسه ، أما التبر فيتركه لشعبه يتصرف فيه كيف يشاء ، ولولا احتياطه هذا لكثر الذهب فى الأيدى ، ولقلت قيمته تبعا لكثرته) .

« الاعتراف سيد الأدلة » :

الكتاب من أبناء أوروبا يؤكدون الحقائق السابقة . من هؤلاء الكتاب اغناطيوس بوليا نوفتش كراتشكوفسكى Istoria Arabskoi Gergraficheskou literatury, Moskovo-Liningrad, 1957. فى كتابه الذى نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، جزءان ، الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية ، ١٩٥٧ .

وفى الجزئين اعتراف واضح وصريح من الكاتب غير المسلم بسبق المسلمين الأوائل فى مجال الكشوف الجغرافية ، وأنهم قد جابو البحار والمحيطات وعرفوا بقاع الأرض قبل أوروبا بزمن موغل فى القدم ، وأنهم كانوا يعتمدون فى رحلاتهم على أدوات ملاحية متطورة .

---

(١) أفريقية ، ص ٢٤ .

والاعتراف كما يقولون سيد الأدلة ، فها هو كراتشكوفسكى فى الجزء الثانى من كتابه ، ص ٥٦٣ يذكر :

« وعندما وضع فرامورو Framauro مصوره الجغرافى فى فى عام ١٤٥٧ م (٨٥٠ هـ) ذكر أن ملاحا عربيا (أى مسلما) أبحر حوالى عام ١٤٢٠ م (٨٢٠ هـ) من المحيط الهندى حول القارة الأفريقية فظهر بالمحيط الأطلنطى » .

« وقد شاهد فاسكوداغاما Vasco da Gama فى عام ١٤٩٧ ــ ١٤٩٨ م (٨٩٧ هـ) سفنا عربية إلى الشمال من موزمبيق تحمل البوصلة بيت الأبرة) وخارطات بحرية وعلى إحدى هذه السفن وجد فاسكوداغاما مخطوطات عربية بعث بها إلى الملك مانويل Manoel . اما مواطنه الشهير البوكرك Albuquerque فإنه يدين بفتوحاته (أى غزوه لبلاد الإسلام) فى منطقة عمان والخليج الفارسى إلى خارطة بحرية من عمل ربان عربى ماهر يدعى عمر) بل ويقول فى مذكراته أن ملّاحا مسلما وقع فى أسر البرتغاليين عند جزيرة سقطرى (كان ربانا عظيما ذا معرفة جيدة بهذا الساحل وقد أعطاه مرشداً للطرق البحرية (Routier) مبينة عليه جميع موانى مملكة هرمز وهو من وضع ربان آخر يدعى عمر كان قد صحبه ذلك الربان فى البحر » .

« ومن تقرير رفعه البوكرك إلى ملك البرتغال أول أبريل ١٥١٢ م (٩١٢ هـ) نعرف أنه قد بعث إلى الملك بصورة منقولة عن خارطة كبيرة عملها ربان أصله من جاوه (مسلم) ويظهر فيها رأس الرجاء الصالح وأملاك البرتغال (أى البلاد التى اغتصبتها البرتغال فى أفريقية) ... والبحر الأحمر ، وبحر فارس وجزائر الملوكاس والطرق البحرية لأهل الصين وأهل فرموزا ، وقد بينت الخطوط والطرق التى تسلكها السفن كما تبين عليها أيضا الأجزاء الداخلية لتلك البلاد ، وكتب الأسماء بالحروف الجاوية ، وقد أرسلت فى طلب رجل من أهل جاوة يعرف القراءة والكتابة ليفسرها لى ... » ، المرجع السابق ص ٥٦٣ .

وفى الجزء الأول أورد كراتشكوفسكى الحقائق التالية :

أولا : « فمارينو سانودوه Marino Sanudo وهى إحدى

الشخصيات الاوروبية النشطة فى القرن الرابع عشر الميلادى (الثامن الهجرى) قد زوّد مصنفه ، (كتاب الأرض المقدسة) بخارطة للعالم لتوضيح فكرته المبتكرة التى ترمى إلى محاصرة العالم الإسلامى حصاراً اقتصاديا : وهذه الخارطة على هيئة دائرة مركزها أورشليم » ص ٢٦ .

وهكذا يتضح لنا الهدف اليهودى الصليبى من وراء ما أسمته المراجع بالكشوف الجغرافية : **هذا الهدف هو محاصرة العالم الإسلامى والإجهاز عليه** ، (انظر أيضا ص ٢٧٢ من نفس المرجع) .

ثانيا : « أن نشاط الفزارى (حوالى ١٧٠ هـ) ومعاصريه كان بلا شك فاتحة عهد جديد فى تطور الفلك والجغرافيا الرياضية عند العرب ، وكان هو ما شاء الله أول من **وضع الأسطرلاب بين العرب** » **ص ٧٢** .

ثالثا : « وهكذا فمهما بدا الأمر غريبا اليوم فإن النظرية الجغرافية العربية قد لعبت دوراً هاماً فى كشف العالم الجديد (أى اغتصاب أوروبا للعالم الذى اعتبرته جديداً ولم يكن كذلك بالنسبة للمسلمين) » ص ٧٥ .

رابعا : « أكبر رياضى وفلكى فى النصف الأول من القرن [١] هو محمد بن موسى الخوارزمى (ترك) ترجمة يمكن اعتبارها أول رسالة أصيلة فى الجغرافيا الرياضية عند العرب وشاملة لجميع العالم المعروف لهم » ص ٨٠ .

« وقد صنف الخوارزمى عقب وفاة الخليفة المأمون بين عامى ٢٢١ هـ = ٨٣٦ م و ٢٣٢ هـ = ٨٤٧ م مصنفا يطلق عليه اسم « صورة الأرض » (ص ٩٩) » .

« فقد وضع كتابه فى الجغرافيا على هيئة زيج ، أى جداول فلكية ، وتبدأ الجداول بعد البسملة مباشرة على هيئة عمودين فى كل صفحة مع تبيان المواقع الجغرافية للأماكن الكبرى التى يصل عددها إلى خمسة وسبعة وثلاثين موضعا ، وهى موزعة على الأقاليم المختلفة بحسب الابتعاد التدريجى من خط الزوال الابتدائى الذى يمر بجزر السعادة (الخالدات = الكنارى) فى أقصى الغرب من أفريقيا .

---

(١) الثالث الهجرى .

ويتلو جدول المدن جدول الجبال، ثم يلى ذلك وصف البحار فالجزر ويشمل القسم الأخير منها ، وهو أوسعها ، وصفا للأنهار فى كل إقليم » . ص ١٠٠ .

« هذا ويسترعى النظر بصورة خاصة تقسيم الخورازمى للأقاليم السبعة حسب درجات العرض » ص ١٠١ .

« وبالرغم من أن العرب (يقصد المسلمين) قد كشفوا فى القرن التالى للخوارزمى عن وجود نقاط عديدة مأهولة على الساحل الشرقى لأفريقيا وفى الهند وجنوب شرقى آسيا » ص ١٠١ .

فهل بعد ذلك يجرؤ إنسان على الزعم بأن تلك المناطق كانت مجهولة بالنسبة للمسلمين وأن الأوربيين هم الذين كشفوا لنا ذلك العالم .

أما الأهمية الكبرى فتنالها دون منازع خارطة للنيل التى يتضح منها أن مجراه كان معروفا جيدا فى ذلك الوقت (أى نهاية القرن الثانى الهجرى أى قبل ما تسمى الاكتشافات الأوربية بسبعة قرون حسب شهادة أبناء أوروبا » ص ١٠٢ .

خامسا : « وقد اقتدى عرب المغرب بإخوانهم عرب المشرق فلم يقصروا اهتمامهم على المشرق وحده الذى ربطه بالعرب (يقصد المؤلف بالعرب المسلمين) تاريخ طويل من العلاقات ، بل جهدوا أيضا فى التعرف على الغرب والكشف عن بلاده غير المعروفة لهم » ص ١٣٦ . وعرب الاندلس رغما من خوفهم من المحيط الأطلنطى الذى اقترن فى أذهانهم ببحر الظلمات الرهيب قد قاموا بمحاولات عديدة للكشف فيه .

« ويروى لنا المسعودى خبر إحدى تلك المغامرات فى عبارات موجزة مع الإشارة إلى مصنف » ص ١٣٦ وما بعدها .

ولنا هنا تعليق ، أليس فى هذا دليل لا يقبل الشك على أن المسلمين الأوائل ، كما رحلوا لنشر دعوة التوحيد فى بلاد الشرق فإنهم قد قاموا بنشر دعوة لا إله إلا الله فى بلاد الغرب .

ومعنى ذلك أن المسلمين الأوائل قد وصلوا إلى ما يطلق عليه اسم

الأمريكتين والدليل أن الأسبان حينما وصلوا إلى هناك وجدوا سكانا لهم حضارة فمن أين أتوا ؟ ومنذ متى ؟ وما هو الدليل ؟.

قام شخص يسمى دكتور بارى فل بأبحاث يتتبع من خلالها أصول هذه الحضارة التى كانت موجودة قبل أن يصل كولمبس إلى ما يسمى بالعالم الجديد (الأمريكتين) . ونشر نتيجة أبحاثه فى كتابين ، الأول تحت عنوان « أمريكا قبل الميلاد » (١٩٧٦) . والثانى « قصة حياة أمريكا » (١٩٨٠ م) وقد حاول الكاتب أن يثبت فى كتابه الأول والثانى أن عربا من الشمال الأفريقى قد وصلوا إلى ما يسمى بالعالم الجديد فى الألف سنة الأولى قبل ميلاد المسيح ، مع غيرهم من الأقطار الأخرى مثل أيرلندا ، ومن الجزر الاسكندنافية ، ومن الصين ومن اليابان واستراليا ونيوزيلندا .

« ويجمع الدكتور فل فى كلا الكتابين من الأدلة عددا كبيراً من المكتشفات الأثرية ، والآثار المعمارية ، والمقارنة اللغوية ، والرموز ، ليقدم الأدلة على نظريته المتعلقة بأمريكا الشمالية ذات التاريخ الممتد ما يزيد على ألفى عام من السفر والترحال والاتجار وكذلك التبادل الثقافى مع ثقافات وحضارات كانت قائمة فى فترة وصول الرحالة والمسافرين .

ومن هذه الأدلة ما عثر عليه فى حوض نهر الكولورادو المعروف بـ منحنى الحوض الكبير ، من نقوش وكتابات شبيهة بالكتابات التى وجدت فى جميع أنحاء الولايات الجنوبية الغربية والمعروفة بالكتابة الدودية .

هذه الكتابات تتشابه إلى حد كبير مع الأبجدية البربرية والسابقة للعربية فى ليبيا . كما أنها تشبه الخط الكوفى والنسقى والمغربى للكتابة العربية .

من هذه الكتابة لفظة « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ، « بسم الله » وأسماء عربية أخرى شائعة .

ومن النقوش عثر على حسابات رياضية وأسماء لحاجيات وأشياء عادية يومية ، وكذلك خرائط حفرت على الصخر لرحلات وأسفار (انظر مقالة :

« الدراسات العلمية التاريخية تؤكد : العرب اكتشفوا أمريكا قبل كولمبس » ، تأليف نور الدين دوركى .

سادسا : وفى صفحة ١٣٨ ، ١٣٩ يقدم المؤلف قرائن كثيرة تثبت أن التجارة عن طريق البحر مع الهند وأرخبيل الملايو والصين كانت قائمة بين أهالى تلك البلاد والمسلمين ، وأنه كان فى ميناء كانفون بالصين جاليات إسلامية ، وأن المسلمين كانوا يعرفون (خمير Khmer) وهو الاسم القديم لكمبوديا .

وتثبت أيضا أن المسلمين كانوا يعرفون الطريق البرى الذى يخترق آسيا الوسطى إلى الصين ، وأنهم جابوا كثيرا من المناطق ومنها روسيا الحالية ص ١٣٩ ، وسواحل أفريقية ص ١٤٣ .

سابعا : يورد المؤلف ص ١٤٣ ، ص ٢٣٧ حديثا يؤكد أن مرشدى فاسكودى غاما فى المحيط الهندى كانوا من العرب المسلمين . انظر أيضا الفصل الخامس وما بعده وكلها تؤكد معرفة المسلمين وسكناهم للبلاد والقارات التى اغتصبتها أوروبا لتطويق العالم الإسلامى للإجهاز على الإسلام والمسلمين .

فهل يجرؤ أحد على الزعم بعد ما قرأنا على أن أوروبا قد اكتشفت عالماً كان مجهولا لبنى البشر (انظر أيضا ص ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١) .

وفى صفحة ٢٠١ وما بعدها أورد المؤلف كلاما عن كتاب ابن حوقل « كتاب صورة الأرض » (٣٦٧ هـ = ١٩٧٧) تثبت أن العالم كان يعتبر عالماً إسلامياً ، وأنه كان معروفا « إقليما إقليما وصُقعاً صقعا وكورة كورة » . يقول المؤلف : « من هذا يتضح أن ابن حوقل قد حصر اهتمامه على وجه التقريب فى وصف دار الإسلام » . ولكنه كان يتجاوز فى حالات معينة بالطبع نطاق العالم الإسلامى ص ٢٠٣ .

« يجب الاعتراف بأن ابن حوقل هو الخبير الأول فى شئون المغرب ... ويتضح هذا بصورة أقوى من خلال المخطوطة التى نشرها كرامرس ، ففيها يرد وصف مفصل لمنطقة البجة وتاريخهم ولإرتريا Eritrea مع ذكر ما لا تقل عن مائتين من قبائل البربر . ويصف الواحات ، ص ٢٠٤ وتقدم المادة التى

جمعها لوحة طريفة لحضارة العالم الإسلامى فى ذلك العهد . فهو قد التقى مثلا فى سجلماسة بجنوبى مراكش بتجار عراقيين من أهل البصرة والكوفة المقيمين هناك ، ويمكن الحكم على مدى اتساع معاملاتهم التجارية من أنه قد أبصر صكا بدين على أحد سكان واحة أودغشت بداخل أفريقيا قيمته اثنان وأربعون ألف دينار (ص ٢٠٤) .

ثامناً: أورد المؤلف حديثا عن البيرونى (٣٩٠ هـ = ١٠٠٠ ميلادية) ومؤلفاته تؤكد معرفته وعلمه الدقيق بأرض العالم الإسلامى (ص ٢٤٥ وما بعدها) كما أورد معلومات من كرديزى وكتابه زين الأخبار ٤٤٠ هـ ، ص ٢٥٨ ، وعن : الرازى ، والرحالة إبراهيم بن يعقوب ، والمحدث الأندلسى المشهور ابن عبد البر النمرى القرطبى (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) الذى خلف كتابا فى الأثنوغرافيا بعنوان : القصد والأمم فى التعريف بأصول العرب والعجم . وبه معلومات عن أهل الصين وعلاقتهم بسكان الملايو (ص ٢٧٣) .

كما ذكر المؤلف أيضا أحمد بن عمر العذرى (٣٩٣ - ٤٧٨ هـ) وكتابه « نظام المرجان فى المسالك والممالك » ص ٢٧٣ وما بعدها ، وأبا عبيد عبد الله البكرى ص ٢٧٤ ، وكتابه المسالك والممالك (٤٦٠ هـ) ، وكتابه « معجم ما استعجم » (ص ٢٧٦ وما بعدها) والإدريسى (ص ٢٧٩، وما بعدها) وكتابه نُزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (ص ٢٨٠) وابن بطوطة (ص ٤٢١) الذى قال عنه المؤلف : « وهو نفس الرحالة الذى لا يستغنى عن الرجوع إليه أى باحث يود الخوض فى تاريخ الأورو الذهبى وآسيا الوسطى والذى رغما من هذا تقف رواياته عن الصين والهند فى مستوى واحد مع « أسفار السندباد » وعجائب الهند .... ومن المستحيل إنكار أنه كان آخر جغرافى عالمى من الناحية العملية ، أى أنه لم يكن نقالة اعتمد على كتب الغير بل كان رحالة انتظم محيط أسفاره عدداً كثيراً من الأقطار ، وقد جاوز تجواله مقدار مائة وخمس وسبعين ألف ميل (ص ٤٢١) .

تاسعا : وذكر المؤلف أيضا ليون الأفريقى وكتابه وصف أفريقيا ، ص ٤٥٠ وفى الجزء الثانى فى الكتاب أكد الكاتب أن فاسكوداغاما قد وفق فى

الإفادة من تجربة العرب العملية ، « فالمؤرخ البرتغالى باروش Barros يذكر فى كتاب آسيا البرتغالية أن فاسكوداغامـا التقى فى مالندى Malindi بمسلم من كجرات يدعي المعلم كانا Malem Cana وجد لديه عدد كبير من الخارطات والآلات . هذا وقد تمكن البحاثة فى بداية القرن العشرين من الكشف عن شخصية « المعلم كانا » هذا ، الذى دلّ فاسكو دا غاما على الطريق من مالندى Malindi إلى قاليقوت Calicut بالهند (على ساحل ملبار) (ص ٥٦٣) .

وهكذا رأينا أنه لا خلاف بين المصادر الإسلامية وغير الإسلامية فى أن مرشد فاسكوداغاما كان « مسلما » سواء كان ابن ماجد أم كان غيره ، ولا خلاف بين هذه المصادر أن البرتغاليين فى رحلاتهم تلك كانوا يعتمدون على الخارطات والآلات التى سبق المسلمون إلى إعدادها منذ زمن بعيد وسادوا به — بفضل الله البر والبحر .

أورد الكاتب نصا منقولا عن قطب الدين النهروالى (٩١٧ - ٩٩٠ هـ) « والذى يرجع تأليفه إلى ما بعد خمسين عاما بالتقريب من ذلك الحادث الخطير » أى وصول « البرتغاليين لطريق الشرق » لقد حفظ لنا قطب الدين فى كتابه عن فتح العثمانيين لليمن « البرق اليمانى فى الفتح العثمانى » رواية هامة عن ظهور البرتغاليين فى المحيط الهندى ؛ وكان هذا الحادث الخطير لا يزال عالقاً بأذهان المتقدمين فى السن فى عهد قطب الدين . كتب قطب الدين يقول : « وقع فى أول القرن العاشر (ابتداء من عام ١٤٩٥) من الحوادث الفوادح النوادر دخول البرتغال اللعين من طائفة الفرنج الملاعين إلى ديار الهند وكان طايفة منهم يركبون من زقاق سبتة (مضيق جبل طارق) .... إلى أن خلص منهم غراب (سفينة صغيرة) إلى بحر الهند ، فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر إلى أن دلهم شخص ماهر من أهل البحر يقال له أحمد بن ماجد صاحبه كبير الإفرنج وكان يقال له الأملندى (أى الأميرال) وعاشره فى سكره فعلمه الطريق فى حال سكره وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان (أى الساحل الأفريقى) وتوغلوا فى البحر ثم عودوا (أى إلى ساحل الهند) فلا تنالكم الأمواج ، فلما فعلوا ذلك

صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم فكثروا فى بحر الهند ..... فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهبا ويأخذون كل سفينة غَصْبا إلى أن كثر ضررهم على المسلمين وعّم أذاهم على المسافرين فأرسل السلطان مظفر شاه بن محمود شاه بن محمد شاه سلطان كجرات يومئذ) ٩١٧ - ٩٣٢ هـ) إلى السلطان الأشرف قانصوه الغورى (٩٠٦-٩٢٢هـ = ١٥٠١- ١٥١٦ م)، يستعين به على الإفرنج » صفحة ٥٧٠ - ٥٧١ .

وهكذا يتضح لنا أن المسلمين المعاصرين للهجمات البرتغالية على العالم الإسلامى على أنها هجمات صليبية تستهدف الأمة المسلمة ودينها وعقيدتها ، وأنها ما كانت لتجرؤ على التجول فى تلك البحار والأماكن إلا بمعاونة بعض أبناء العرب والمسلمين ، كما تثبت أيضا فضل السبق الذى كان للمسلمين فى معرفة واستيطان تلك البلاد قبل أوروبا بقرون عديدة ، وتثبت أيضا التزييف والتحريف الذى تعرض له تاريخ اغتصاب العالم الإسلامى ، وصُوِّر على أنه تاريخ اكتشافات جغرافية لبلاد لم يكن يعرفها المسلمون ويستوطنونها قبل أوروبا بقرون طويلة .

الفصل الثالث

أوربا تغتصب أفريقيـــا



الفصل الثالث

أوربا تغتصب أفريقية المسلمة

تمهيد

اغتصاب أرض الإسلام فى أفريقية والأندلس يقترن بإسقاط الدولة العثمانية

لقد شهد نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) نجاح الهجمة الصليبية الشرسة فى استئصال شأفة المسلمين فى الأندلس (٨٩٢ هـ) ، وشهد أيضا الصليبيين وقد أخذوا زمام المبادرة فخرجوا من بلادهم يحاولون الوصول إلى المناطق التى عرفوها والتى لم يكن يعرفونها من قبل ، لتطويق العالم الإسلامى والسيطرة عليه ، ولرد المسلمين كفارا حسدا من عند أنفسهم لكى يضمنوا لأنفسهم الانتفاع بخيرات الآخرين ، دون وجود من يعكر عليهم صفوهم .

وهنا حقيقة لابد وأن يدركها المسلمون وهم على أبواب بعث إسلامى يأخذ زمام المبادرة بإذن الله – لا أقول ، ليذبحوا ، أو يقتلوا ، أو يغتصبوا ، كما فعل غيرهم . فالتاريخ لم يعرف عنهم ذلك إنما يعرف عنهم أنهم خرجوا – ويجب أن يخرجوا – لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، وليقيموا حكم الله ، فإذا قام حكم الله ، لم يكن هنالك غصب ، أو قتل ، أو سرقة أو نهب . لأن قيام شريعة الله ، وقيام حكم الإسلام يعصم من ذلك كله ، ويعصم من الانحراف .

وما تعانى منه البشرية اليوم ، أو قبل اليوم إلا بسبب غياب حكم الله عن حياتها .

إن العقبة الكؤود التى وقفت وتقف أمام استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، وسرقة الشعوب وثرواتها ، وتكبيلها بالقيود ، هو الإسلام ، ومن هنا يمكن أن نفهم ، السبب الكامن وراء الحقد الدفين الذى تموج به قلوب أعداء الإسلام ، وحرصهم الشديد على أن لا تعرف الأمة الإسلامية حقيقة إسلامها ، أو أن تعود إليه مرة أخرى ، أو تعمل على إقامته فى حياة البشرية مرة أخرى .

ولذلك كانت العقبة الكؤود الباقية فى وجه أعداء الإسلام بعد احتلال الأندلس ، هو دولة آل عثمان ، التى قدر الله – سبحانه وتعالى – أن تحمل لواء دعوة الإسلام إلى أوربا الشرقية وغيرها من بلاد الكفر . ولقد كان ذلك من فضل الله على أبناء تلك البلاد ، الذين أسلموا لينضموا إلى قوافل المسلمين من أبناء آدم – عليه السلام – فيتحقق لهم بذلك خيرى الدنيا والآخرة .

وحينما نقول عقبة كؤود ، لأن الدولة العثمانية بفضل الله ، كانت سياجا متينا وحيدا وباقيا لبلاد الإسلام – بعد الله عز وجل – بل إنها أخرت – بفضل الله – سقوط بلاد المسلمين فى أيدى الصليبية والصهيونية العالمية لمدة ستة قرون على الأقل . كان أثناءها البحر المتوسط والبحر الأحمر والبحر الأسود بحارا إسلامية ، لا تجرؤ أية سفينة من سفن الفرنجة على الاقتراب منها .

وحينما قام البرتغاليون بمهاجمة شرق أفريقية وموانىء الجزيرة العربية ، وخاصة موانىء الحجاز ومصر .. سارع السلطان سليم الأول – رحمه الله – لضم تلك البلاد إلى دولة الخلافة توحيدا لجهود المسلمين فى مواجهة الهجمة اليهودية الصليبية الشرسة .

ونجحت – بفضل الله – جهود السلاطين العثمانيين فى كسر حدة الهجمة الصليبية الشرسة على بلاد الإسلام ، وهذا ما لم تغفره أوروبا قط لسلاطين الدولة

العثمانية التى أخرت اغتصابهم لمركز العالم الإسلامى قرونا طويلة عديدة ، ومن هنا نستطيع أن نفهم الحقد - الذى تكنه أوروبا - بما فيها مفكريها بوجه خاص لدولة آل عثمان الإسلامية ، ونستطيع أن نفهم لماذا شوهوا تاريخ الدولة العثمانية فى أذهان الأمة الإسلامية (ولنا عودة إلى هذا الموضوع مرة أخرى إن شاء الله) .

ولكن - كل شىء بقدر - وجاء الوقت الذى استطاعت فيه الصليبية العالمية ، ومن ورائها الصهيونية العالمية ، إسقاط دولة الخلافة ، وبدأ تقسيم الغنيمة أو التركة ، تركة ما أسموه (بالرجل المريض) ، ممثلة فى كل البلاد التى كانت تشكل جزءا من الدولة العثمانية على عهد آل عثمان .

الجـــزء الأول

أكذوبة الاستعمار (الاستخراب)

ما قامت به أوروبا هو اغتصاب لأفريقية المسلمة وليس استعماراً :

إن سقوط دولة الخلافة العثمانية ، كان نذيرا بسقوط العالم الإسلامى برمته فى أيدى أعداء الإسلام والإنسانية ، الصليبية واليهودية العالمية . ودخول تلك البلاد فى فترة حالكة السواد من تاريخها بوقوعها فى براثن الصليبية العالمية . والعجيب أن كتب التاريخ تطلق لفظة (استعمار) على الاغتصاب الأوروبى وغير الأوربى للأراضى والأمم وثرواتها .

وفى هذا مغالطة لغوية ، وتسمية للأشياء بغير مسمياتها ، فلفظة استعمار مشتقة من اللفظ (عَمَرَ) و(عَمَّرْتُ الخراب فهو عامرٌ أى معمورٌ ، ومكان عَمِرٌ أى عامر) . وقوله تعالى : ﴿ واستعمركم فيها ﴾ أى جعلكم عُمَّارها[1] .

وما وقع من الأوربيين وغيرهم من أعداء البشرية ، لم يكن من باب التعمير ، ولكنه كان من باب التخريب ، الذى ينجم عن الغصب ، غصب كل شيء حتى الإنسان نفسه .

ومن هنا فإن إطلاق كتب التاريخ المعاصرة وغيرها ، للفظة استعمار على ما قامت به أوربا وغيرها لبلاد الإسلام، غير صحيح، ومن هنا يجب أن تستبدل اللفظة بلفظة أخرى تنطبق مع ما فعلته أوروبا وغيرها ببلاد الإسلام ، مثال ذلك : الاغتصاب الأوربى وغيره لأرض الإسلام أو الاستخراب .

---

(١) مختار الصحاح ، للإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ترتيب محمود خاطر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٤٥٤ .

مثال ذلك اغتصاب أوربا (فرنسا) للجزائر ، لقد اتبعت فرنسا فى الجزائر سياسة (الفرنسة) أو الإدماج . وأصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية قرارا بعد الاحتلال بنحو عشرين سنة باعتبار الجزائر أرضا فرنسية وتطبيق القوانين الفرنسية بها دون منح أهلها الحقوق السياسية . وهكذا أصبحت الجزائر أرضا وسكانا ملكا لفرنسا . وقسمت الجزائر إلى محافظات على رأس كل منها حاكم فرنسى ، ثم جعلت على رأس الإقليم حاكما فرنسيا عاما [1].

وأخذت فرنسا تنشر بين السكان دعايتها المسمومة ، وتشككهم فى عروبتهم وإسلامهم . وتزعم بكل وقاحة وإصرار أن الجزائر جزءا لا يتجزأ من الوطن الفرنسى لا يمكن أن ينفصل عنه ، وهكذا نكبت الجزائر بشر أنواع الاحتلال كله .

إنّه الاغْتصاب فى عالم الإنسانية ، وخاصة منذ القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) الذى بلغ مبلغا من العنف والقسوة ، جعله يسيطر على حياة الأمم والشعوب ، ويوجه الإنسان ، ويتحكم فى مصيره .

مثال ذلك الاغتصاب اليهودى لأرض الإسلام فى فلسطين ، والاغتصاب الروسى لأرض الإسلام فى تركستان ... والاغتصاب الأوربى لأفريقية المسلمة ، وللأرض التى لم تكن معروفة للأوربيين ، والتى سميت باسم الأمريكتين .

هذا الغصب الذى يسمونه (استعمارا) باق طالما هنالك دول قوية ودول ضعيفة ، وطالما أن حكم الله غائب عن حياة الأمم والشعوب ، والغصب هو السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة ، أو جماعة منظمة من الناس على مساحة

---

(١) وهكذا يتضح للعالم أن المحتل الأوروبى كان يتصور أنه بمقدوره اغتصاب هذه الأوطان على مدار الزمان ، ومن هنا كان حرصه على إقامة نظام حكم يربط تلك الأوطان بعجلته بعد تنحية شريعة الإسلام ورجالات الإسلام عن حكم تلك البلاد ، لأنه أدرك أن الإسلام إذا ظل مسيطرا على عجلة الحياة فى تلك الأوطان ، فسرعان ما تستعيد قوتها ومجدها فتطرد المحتل الغاصب الدخيل . وهذا ما حدث فعلا فى الجزائر ، ونجح المسلمون بعد جهاد طويل من طرد المغتصب الدخيل . ومن هنا لجأ المحتل إلى حيلة أخرى تتمثل فى تربية أجيال من أبناء المسلمين سلم إليها زمام الحكم فى تلك الأوطان ، وقد ربطها برباط التبعية السياسية والاقتصادية والفكرية ...

من الأرض – بما فيها وعليها من خيرات وثروات – لم تكن تابعة لهم ، أو على سكان تلك الأرض ، أو على الأرض والإنسان معا .

ولقد شهد العالم منذ القدم اغتصابا قام به اليونان ، والروم ، واغتصابا لأمم وشعوب قام به الصليبيون والتتار والمغول فيما يسمى بالعصور الوسطى ، ولكن البشرية نكبت فى العصور الحديثة بأبشع ألوان الغصب الذى لم تعرفه فى تاريخها .

والغصب قد شمل العالم كله بعد أن وضعت المخترعات الحديثة فى خدمة الأهداف الإجرامية لما تسمى بالدول الكبرى . فلم تعد المحيطات ولا الجبال بعائق يعوق حركة الانقضاض على الشعوب الآمنة .

وأصبحت الامبراطوريات فى العصر الحديث تبعا لذلك تمتد فى كل ركن من أركان المعمورة .

رأينا كلا من البرتغال وهولاندة تسيطر على مساحات شاسعة متناثرة فى أفريقيا وآسيا وما سموها أمريكا .

وشاركت الشعوب والشركات فى العصر الحديث الحكام فى الغزو والتوسع ، وشمل الغصب بواسطة الشركات فى القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى أقطارا عظيمة مثل الهند وجنوب أفريقيا ، وقامت شركات فى القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) باغتصاب أجزاء شاسعة من القارة الأفريقية .

وحاول أبناء المغتصبين أن يبرروا جرائمهم ، فزعموا وهذا من باب الكذب والخداع – بأن الاغتصاب الذى سموه بالاستعمار ، أنَّه رسالة تُؤديها الشعوب المتحضرة نحو الشعوب المتخلفة ، وأصحاب هذا الرأى يكذبون على أنفسهم قبل أن يكذبوا على غيرهم ، فهم أدرى الناس بالفظائع التى ارتكبها المغتصبون ، فلقد كانت أوربا ومن سار على نهجها ، هم العدو الأول للشعوب ، استغل ثرواتها وداس مقدساتها ، وباع مستقبلها ، وحطم معنوياتها ، باع أفرادها رقيقا فى سوق النخاسة ، وامتهن حرماتها . وبغى المحتل الغاصب وطغى ولم يحترم آدمية أفريقية ولا أعراضها .

وسنقصر حديثنا فى الجزء الثانى على ذكر بيان بعض المناطق والأوطان الأفريقية التى وقعت فى قبضة المغتصب الأوربى .

الجـــزء الثانـــى
الاغتصـــاب الأوروبى لأفريقيـــة

(١) المناطق التى اغتصبتها أسبانيا[1] :

« سيطرت أسبانيا على أجزاء من الساحل الأفريقى المواجهة للبلاد التى احتلتها فى الجانب الثانى من المحيط الأطلسى » .

« ففى عام (٨٧٦ هـ تقريبا) ١٤٧٦ م استولت على جزر الكنارى لاستعمالها محطات لسفنها التى تعبر المحيط . كما احتلت بعد القضاء على الوجود الإسلامى فى الأندلس على مليلة وسوسة وصفاقس والجزائر ووهران ثم جلت عنها فى نهاية القرن (الثانى عشر الهجرى الثامن عشر الميلادى) وبقيت محتفظة بسبتة ومليلة التى وهبتها ؟؟؟ لها البرتغال من قبل » .

« ومن المراكز التجارية التى احتفظ بها الأسبان كمحطات للعبور إلى الساحل الغربى للمحيط الأطلسى ، وشحنت الرقيق منها هى جزيرة (فرناندويو) ، كما استولت أسبانيا على مقاطعة أفنى فى الساحل الأفريقى المقابل لجزر كنارى ، ثم توسعت جنوبا فاستولت على منطقة ريودورو الصحراوية الساحلية » .

« وكان الأسبان قد احتلوا المناطق التى لم تكن معروفة لهم من قبل والتى وصلت إليها سفن كولومبس وأمريكو منذ سنة ١٤٩٢ م (المكسيك وبيرو

(١) هذا الجزء مأخوذ عن كتاب أفريقية دراسة عامة وإقليمية ، تأليف د . أحمد نجم الدين فليجة ، جامعة بغداد ومؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٧٨ ، ص ٧٤ - ٨٣ .

وفلوريدا وأجزاء كبيرة من أمريكا الجنوبية عدا البرازيل) » .

(٢) المناطق التى اغتصبتها فرنسا :

« اقتصر نشاط الفرنسيين على أجزاء صغيرة من غرب أفريقية كمجرى نهر السنغال ومجرى النيجر ، وكان السبب فى ذلك انشغالهم بالبلاد التى احتلوها فى العالم الجديد بالنسبة لهم (كندا وجزر البحر الكاريبى) وتطلعهم إلى المنطقة الشمالية من أفريقية المقابلة لهم والمطلة على البحر المتوسط والممتدة من المحيط الأطلسي حتى مصر » .

« كانت أول حملة عسكرية قام بها الفرنسيون فى الشمال الأفريقى هى حملة نابليون عام ١٧٩٨ م ، على مصر ، لأهمية موقعها على طريق الهند والشرق ولكنهم لم يستقروا فيها سوى ثلاث سنوات ، إذ إنهم اضطروا إلى الرحيل عنها تحت ضغط المقاومة الإسلامية لشعب مصر ؛ ولنا عودة إلى هذا الموضوع إن شاء الله » .

« وبعد ثلاثين سنة شن الفرنسيون حربا على الجزائر لاحتلالها ، وقد نجحوا فى ذلك عام ١٢٣٠ هـ تقريبا (١٨٣٠ م) وأجبروا سلطانها (الداى)[١] على التوقيع على شروط أعدوها بأنفسهم . قاوم سكان الجزائر جنود الاحتلال ومنعوهم من التوغل إلى الداخل ، ونظموا حركة ترأسها المناضل الجزائرى الأمير عبد القادر[٢] . تمكن هذا المناضل من إقلاق فرنسا واضطرارها لعقد معاهدة معه ، فاعترفت بسلطة الأمير على مناطق واسعة من الغرب الجزائرى . وبعد أن سيطرت فرنسا على الجزء الشرقى بالقوة وجهت أنظارها إلى الجزء الغربى الذى يسيطر عليه الأمير سيطرة تامة ، وبعد خسائر كبيرة وصعاب جمة استطاع الفرنسيون وبعد قتال سبع سنوات مارسوا فيه شتى أنواع التخريب وحرق

---

(١) ويعتمد كتاب أفريقية على كتابين : السياسة الفرنسية فى الجزائر ، تأليف جلال يحيى ، ص ٣٥ . وما بعدها ؛ شمال أفريقية فى العصر الحديث ، تأليف زاهر رياض ، ص ٩٥ .

(٢) أفريقية وهو يعتمد كما ذكر على : جلال يحيى ، السياسة الفرنسية فى الجزائر ، ص ٢٥ وما بعدها .

المحاصيل والمزارع تمكنوا من السيطرة على كل التراب الجزائرى بعد أن كلفهم ذلك (١٥٠) ألف جندى[١] ، ثم اتجهت أنظارهم إلى المغرب الذى كان سلطانها مولاى عبد الرحمن يساعد جيوش الأمير الجزائرى ويؤيده تأييدا كاملا . فبدأ الزحف على المغرب من البر والبحر بعد رفض المغرب طرد الأمير عبد القادر أو سجنه فكان النصر للفرنسيين وتوقيع معاهدة طنجة عام ١٢٤٤ هـ (١٨٤٤ م) ثم ما تسمى بمعاهدة الحماية عام ١٣١١ هـ (١٩١١م)».

« وتنافست فرنسا وانجلترا وإيطاليا للاستيلاء على تونس[٢] التى كان يحكمها البايات الموالين للدولة العثمانية ، والذين أغرقوا الدولة بالديون كما فعل إسماعيل فى مصر . ازداد التدخل الأوربى فى شئون تونس[٣] المالية يزداد يوما بعد يوم ، وكلَّما أرادت فرنسا الانقِضَاض على تونس منعتها انجلترا وإيطاليا . ظل هذا الحال حتى انعقد مؤتمر برلين الذى خول فرنسا احتلال تونس ووافقت عليه كل الدول لقاء ترك انجلترا تحتل قبرص ومصر ، وترك إيطاليا تحتل طرابلس . فبدأت فرنسا عام (١٣٨١ هـ تقريبا ١٨٨١ م) احتلال تونس من البر الجزائرى والبحر المتوسط وأجبرت باى تونس على توقيع ما يسمى بمعاهدة الحماية الفرنسية لتونس . وعلى أثر هذا الاحتلال وتوقيع المعاهدة ثار الشعب التونسى الذى قابلته فرنسا بشدة ، وشنت حربا ضروسا انتهت بسيطرة فرنسا سيطرة تامة على هذا القطر العربى المسلم » .

« أما فى أفريقية الغربية فحتى عام ١٢٨٠ هـ (١٨٨٠ م) لم تسيطر فرنسا سوى على مخرج نهر السنغال ، ولم تتوغل إلى الداخل أكثر من بضعة كيلومترات . وكذلك بالنسبة لجابون حيث كانت نقاط الساحل عبارة عن

---

(١) وهذا يؤكد أن ما قامت به أوروبا هو اغتصاب للبلاد والأوطان عن طريق الغزو العسكرى المسلح .

(٢) وهكذا تنافست الأمم على تقسيم بلاد العالم الإسلامى بعد إسقاط الخلافة .

(٣) وهذه هى سياسة الدول غير الإسلامية التى تقوم على إغراق هذه الدول بالديون ذات الأرباح المركبة ، لتقع فى براثن الأخطبوط الغربى فيفعل بها ما يرغب ويشتهى .

مراكز لتجميع الرقيق وشحنهم بالبواخر . كما سيطرت على ساحل الكمرون ونقاط من ساحل العاج » .

« ولما بدأت فرنسا بعد هذا التاريخ وبعد عقد مؤتمر برلين فى التوسع نحو الداخل جابهت مقاومة عنيفة من الأفريقيين وخاصة مناطق غرب أفريقية التى كان يسيطر عليها رؤساء مسلمون أمثال (أحمدو شيخو) زعيم قبائل التوكولور و(ساموري) زعيم قبائل الماندنجو . وعلى الرغم من ذلك استطاعت فرنسا بسط نفوذها بالقوة على أجزاء واسعة من غرب أفريقية فى نهاية القرن (الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى) وكذلك على جزء من حوض الكونغو (جمهورية الكونغو برازافيل) وتوسعت نحو الداخل وسيطرت على ما يعرف الآن باسم جمهورية أفريقيا الوسطى عام ١٢٨٩ هـ (١٨٨٩ م) حيث ربطت هذا الإقليم بأقاليم غرب أفريقية التى سيطرت عليها وكان آخرها إقليم النيجر عام ١٣١١ هـ (١٩١١ م) وفى نفس الوقت اتجهت فرنسا نحو شرق القارة ، فاحتلت جزيرة جزيرة مدغشقر عام ١٨٨٦ م (١٢٨٦ هـ) وقبلها إقليم جيبوتى (الصومال الفرنسى) » .

(٣) المناطق التى اغتصبتها بريطانيا :

« كانت بريطانيا كفرنسا طامعة فى الحصول على أكبر مساحة من أفريقية وفعلا تم لهما ذلك لقدرتهما الحربية وخاصة البحرية . فلم يحل القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) حتى كانت بريطانيا قد نجحت فى احتلال الجنوب الأفريقى وشرقه حتى البحر المتوسط عبر مصر والسودان . كما أن بريطانيا لم تدع فرنسا تمتلك لوحدها جميع المناطق الساحلية فى غرب أفريقية وهى مناطق مهمة بالنسبة لتجارة الرقيق فى البداية ومناطق استغلال أكثر أهمية فى النهاية ولم تقبل فرنسا ذلك من انجلترا بسهولة بل بموجب شروط منها انسحاب انجلترا من مصر ، فأصبحت لانجلترا مناطق نفوذ تمتد من سيراليون حتى الكاميرون » .

« تبدأ قصة الاحتلال البريطانى لجنوب أفريقية عام ١٢٩٥ هـ (١٨٩٥ م) وهو العام الذى نزل فيه الانجليز أقصى جنوب القارة واحتلوا إقليم الكاب

الذى كان تحت سيطرة البوير (سلالة الهولنديين) الذين هاجروا من أوروبا إلى هذا الإقليم عام ١٠٥٢ هـ (١٦٥٢ م) هربا من الاضطهاد الدينى ولإيجاد مناطق رزق جديدة احتل الانجليز هذا الإقليم بسهولة وبدون مقاومة تذكر . واضطر البوير للزحف إلى الداخل واصطدموا مع قبائل المنطقة من البانتو فتقدموا وأسسوا دولة البوير ، وجمهورية الأورنج الحرة ، وجمهورية السنغال ، وفى عام ١٢٥٣ هـ (١٨٥٣ م) اتحدت جمهورية الأورنج والترنسفال مكونتان جمهورية جنوب أفريقية »[1] .

« وبعد أن اكتشف الذهب فى الترنسفال عام ١٢٨٦ هـ (١٨٨٦ م) تحرك كل من بول كراجر – رئيس جمهورية الترنسفال وسيسل رودس – رئيس وزراء مستعمرة الكاب (رأس الرجاء الصالح)؛ أراد الأول توحيد جنوبى أفريقية تحت زعامة البوير للسيطرة والاحتفاظ بهذه الثروة ، بينما أراد الثانى اتحادا فيدرالى مستقل ولكنه مرتبط مع بريطانيا. بدأ الصراع بين الطرفين على أرض أفريقية ومكن رودس بريطانيا من السيطرة على بتشوانا لاند بعد فشله من ضم إقليم البوير . وامتد نفوذه إلى روديسيا الشمالية عام ١٢٩١ هـ (١٨٩١ م) وقد تغلغل الأجانب وأكثرهم من الانجليز فى أقاليم البوير للبحث عن المعادن فأراد رودس إحلال هؤلاء محل حكومة كراجر ولكنه فشل فى حملته عام ١٢٩٦ هـ (١٨٩٦ م) وبعد فشل هذه المطامع عملت بريطانيا جديا فى احتلال المنطقة وشنت حربا ضروسا ضد البوير وجمهوريتهم وبقيت الحرب مستمرة حتى سيطر البريطانيون على جمهوريتى البوير والأورنج عام ١٣٠٢ هـ (١٩٠٢ م) فأصبحت جميع مناطق جنوب أفريقية تحت السيطرة البريطانية وباسم اتحاد جنوب أفريقية المتكون من الكاب وناتال والأورنج والترنسفال » .

« وقبل ذلك وفى عام ١٢٨١ هـ (١٨٨١ م) أعلنت بريطانيا ما تسمّى حمايتها على مصر ، وقضت على ثورة عرابى[2] بعد أن سبق واشترت حصة مصر

---

(١) أفريقية وهو يعتمد على كتاب : جنوب أفريقية ، تأليف زاهر رياض ، من ص ٥٩ إلى ٦٢ .

(٢) الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، عبد الرحمن الرافعى . وهذا بداية الاحتلال الفعلى لأرض مصر ، الذى سمى باسم (الحماية) . وهذا من قبيل تسمية الأشياء بغير مسمياتها للتدليس على الشعوب ، =

من أسهم قناة السويس . وفى عام ١٢٩٩ هـ (١٨٩ م) سيطرت بريطانيا على إقليم السودان بعد القضاء على مقاومة المهدى عام ١٩٨٥ هـ (١٨٨٥ م) » .

« كما احتلت بريطانيا الساحل الصومالى عام ١٢٨٤ هـ (١٨٨٤ م) (كما يزعمون) ، وأعلنتها مستعمرة بريطانية عام ١٢٩٥ هـ (١٨٩٥ م) وفى عام ١٢٩٤ هـ (١٨٩٤ م) ، أعلنت الحماية على أوغندة وفى نهاية الحرب العالمية الأولى واندحار ألمانيا أصبحت بريطانيا مسيطرة على تنجانيقا لإدارة شؤونها من قبل عصبة الأمم[٢] ، فأصبحت بريطانيا تسيطر على القسم الشرقى للقارة » .

« أما فى غرب أفريقيا فكما ذكرنا بدأ التدخل البريطانى بالسيطرة على مواقع على الساحل لأغراض تجارية جاء بعدها التغلغل نحو الداخل وإعلان النفوذ واغتصاب المناطق بعد كفاح طويل ضد قبائل المنطقة (الفولانى) فظهرت عام ١٣١٤ هـ (١٩١٤ م) مستعمرة نيجيريا ، وقبلها فى عام ١٢٧٤ هـ (١٨٧٤ م) أعلنت بريطانيا حمايتها على ساحل الذهب ، وتغلغلت نحو الداخل حتى شملت عام ١٣٠١ هـ (١٩٠١ م) جميع أراضى غانة الحالية وبعد خروج ألمانيا خاسرة من الحرب العالمية الثانية ضمت بريطانيا القسم الغربى من مستعمرة توجو إلى غانة »[٣] .

« وفى عام ١٢٠٨ هـ (١٨٠٨ م) أعلنت بريطانيا استعمارها لسيراليون وبسطت نفوذها على الداخل . كما سيطرت عام ١٢٤٣ هـ (١٨٤٣ م) على إقليم غامبيا وأعلنتها مستعمرة تابعة للتاج عام ١٢٨٨ هـ (١٨٨٨ م) » .

= والمراد بالحماية هنا هو انفراد الانجليز باغتصاب أرض مصر دون أن يكون لمجرم آخر الحق فى ادعاء الحق فى المشاركة فى اقتسام خيرات الفريسة المغتصبة .

(١) هكذا صور المجرمون اغتصابهم لكينيا على أنه شراء ، فالسلطان يبيع جزءاً من أمته !!

(٢) أو عصابة الأمم . فعصابة الأمم هى التى أعطت لبريطانيا الإذن باغتصاب تنجانيقا !! ولا نخال الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، باستثناء الدول المسلمة ، إلا امتداد لعصبة الأمم . ولنا عن هذا مقال إن شاء الله .

(٣) هكذا الأمم من سقط المتاع !! فهى تابعة للتاج البريطانى .

(٤) المناطق التى اغتصبتها ألمانيا :

« بدأ النفوذ الألمانى فى أفريقية مبكرا مع بداية نفوذ الدول الأوربية الأخرى كانجلترا وفرنسا والبرتغال . كان نفوذا محدودا لانشغال ألمانيا بوحدتها ، وترسيخ أسس هذه الوحدة التى استمرت حتى عام ١٢٨٣ هـ ١٨٨٣ م) سيطرت بعدها على جنوب غرب أفريقيه وعلى الكميرون وتوجو فى غرب أفريقية وعلى تنجانيقا فى شرق أفريقية »[١]

« وما أن حل عام ١٣١٩ هـ (١٩١٩ م) حتى تفسخت ممتلكات ألمانيا نتيجة لاندحارها فى الحرب العالمية الأولى وعقد معاهدة فرساى . تنازلت ألمانية عن مستعمراتها وتقاسمتها كل من بريطانيا التى أخذت الكميرون الغربى الذى ضمته إلى نيجيريا وتوجو الغربى الذى ضمته إلى غانة ، كما سيطرت على تنجانيقا فى شرق أفريقية . وأخذت فرنسا الباقى من الكميرون وتوجو . كما تنازلت بريطانيا على أجزاء من غرب تنجانيقا وهى رواندا وبوروندى ومنحتها إلى بلجيكا . أما إقليم جنوب غرب أفريقية (ناميبيا) فانتدبت بريطانية بموجب المعاهدة البريطانية لحكمه ، ثم آل هذا الانتداب إلى حكومة جنوب أفريقية العنصرية التى بقيت متمسكة به على الرغم من إلغائه عدة مرات من قبل هيئة الأمم المتحدة » .

(٥) المناطق التى اغتصبتها إيطاليا :

« تأخر دخول إيطاليا إلى أفريقية بسبب ضعفها والانقسامات الداخلية فيها . وبعد وحدتها اتجهت أنظارها إلى الشمال الأفريقى ، ولكن نفوذ فرنسا القوى منعها من ذلك . لذلك نراها تتجه إلى الحبشة التى لا تزال حرة لم يدخلها النفوذ الغربى ، فاستولت على ميناء مصوع عام ١٢٨٥ هـ (١٨٨٥ م) ، ثم استولت على منطقة الصومال (الصومال الإيطالى سابقا) . وبعد مساعدة إيطاليا ملك الحبشة (منليك الثانى) فى استلام الحكم ، اعترفت الحبشة بسيطرة إيطاليا على كل إقليم أرتيريا ، ولكن إيطاليا لم تكتف بإقليم أرتيريا بل أرادت السيطرة على

---

(١) أفريقية ، ص ٧٤ - ٨٣ .

الحبشة كلها ، ولكن الأحباش منعوهم من ذلك وطردوهم من أراضيها وأراضى أرتيريا » .

« وبعد هزيمة إيطاليا فى الحبشة أرادت أن تستعيد كرامتها فساعدتها فى ذلك الدول الأوربية (فرنسا وانجلترا) حيث هاجمت ليبيا عام ١٣١١ هـ (١٩١١ م) » .

« وفى عام ١٣٣٥ هـ (١٩٣٥ م) عندما تولى موسولينى حكم إيطاليا عمل على زيادة النفوذ الإيطالى فى أفريقية التى لم يبق فيها جزءاً خاليا من السيطرة الأوربية سوى الحبشة ، فعاد إليها بقوة السلاح وأخضعها لسيطرة إيطاليا ثانية » .

« وفى عام ١٣٤٠ هـ (١٩٤٠ م) دخلت إيطاليا الحرب العالمية الثانية منحازة إلى ألمانيا فهاجم الحلفاء ممتلكاتها فى شرق أفريقية وشمالها ، وكان نتيجة ذلك أن دخل إقليم أرتيريا المسلم مع الحبشة[1] فى اتحاد قررته هيئة الأمم المتحدة ووضع الصومال تحت الوصاية الدولية لمدة عشر سنوات استقل فى نهايتها ١٣٦٠ هـ تقريبا (١٩٦٠ م) وفى عام ١٣٥٢ هـ (١٩٥٢ م) أقرت هيئة الأمم المتحدة منح الاستقلال لليبيا بأقاليمها الثلاثة برقة وطرابلس وفزان حيث كان الإقليمان الأولان برقة وطرابلس تحت وصاية إنجلترا والأخير فزان تحت وصاية فرنسا » .

(٦) المناطق التى اغتصبتها بلجيكا :

« وقد احتلت بلجيكا المنطقة التى سماها مؤتمر برلين الكونغو الحرة فى أفريقيا ، وقد أنشأ الملك ليوبولد الثانى جمعية تسمى الجمعية الأفريقية الدولية عام ١٢٧٦ هـ (١٨٧٦ م) . كما نشأت الرابطة الدولية للكونغو لاستغلال ثروات الإقليم » .

---

(١) وهكذا سلم حكام الحبشة الصليبيون إقليم أريتريا المسلم لأصدقائهم من الصليبيين وبهذا تكاتف الأعداء ، فى داخل أفريقية وخارجها للقضاء على كيان أريتريا المسلمة . ولنا عودة إلى هذا الموضوع إن شاء الله .

« ولقد عانى أهالى هذه المناطق من سكان أفريقية معاناة شديدة والدليل على ذلك أن عدد السكان تناقص تناقصا كبيرا نتيجة تفشى الأمراض بسبب سوء الحالة الصحية والتغذية حيث كان الأهالى يجبرون على زراعة محاصيل نقدية فى الأرض التى أعطى الملك امتياز استغلالها لشركات أجنبية »[1]

---

(١) عن كتاب أفريقية دراسة عامة وإقليمية ، ص ٧٤ – ٨٣ .

الفصل الرابـــع

هل تغيرت أفريقية فى عهد الاحتلال الأوربى ؟؟

نعـــــم

ولكن من الأحسن إلى الأسوأ !!



الفصل الرابع

هل تغيرت أفريقية فى عهد الاحتــلال ؟؟

« نقول نعم تغيرت ... ولكن إلى الأسوأ وليس إلى الأحسن[1] . طرأ عليها الكثير وتغيرت من حال إلى حال . كانت أرضها كما ذكرنا تشهد دولا كبيرة ، ودول موحدة أصبحت فى عهد الاحتلال الأجنبى دويلات صغيرة مجزأة ، دخل نصف القبيلة فى دولة والنصف الآخر فى دولة أخرى . كان أهلها منتجين يستخرجون الذهب ويتاجرون به فيعم الربح والخير أفراد المجموعة ، وأصبحوا فى عهد الاحتلال لا يملكون حتى تبره . كانوا يزرعون وينتجون الوفير من الغذاء ، أصبحوا عاجزين عن إنتاج ما يسدون به رمقهم . كانوا أقوياء أصحاء أصبحوا ضعفاء مرضى . كان عددهم كبيرا ، تناقص فى عهد الاحتلال ، كانوا يملكون الأرض الجيدة وينتقلون بحرية إلى الأرض الأجود منها ، أصبحوا لا يملكون سوى الردىء منها . كانوا أسيادا فى أرضهم ، أصبحوا مستعبدين . كانت العلاقة بين الفرد وأسرته ومجتمعه متينة أصبحت هزيلة متفككة كانوا إذا وقع أحد الأفراد صريعا فى أحد معاركهم توقفوا عن القتال طوال اليوم ، أصبحوا يتآمرون على بعضهم البعض ويبطشون بأخوة لهم .

إن هذا الذى ذكر يعرفه كل الأفريقيين وغير الأفريقيين من الرجال المنصفين ، وهناك أكثر من دليل وبرهان على هذا التطور من الأحسن إلى الأسوأ ، وهناك أكثر من شاهد يشهد بذلك ، فقد اعترف الكثير من الأوربيين فى

---

(١) هذا الجزء غالبه منقول عن كتاب أفريقية ، دراسة عامة وإقليمية ، تأليف د . أحمد نجم الدين فليجة ، ص ٨٣ – ٨٥ .

مقالاتهم وكتبهم بأنهم ظلموا القارة وأهلها ، حطموها وجزؤوها ، ولو أنهم تركوها على ما كانت عليه قبل دخولهم لطورها أهلها على أسس غير الأسس التى جاء بها المغتصب . دخلها مدعيا التعمير (استعمار) وخرج منها تاركا وراءه التخريب والتدمير .

« وسنعالج فى الصفحات القليلة الآتية بعض ما حل بأفريقية على عهد المحتل الذى يدعى بأن البلاد الأفريقية قد تقدمت فى عهده من قطر بدائى يعيش فى العصور الحجرية (هذا ما قاله حاكم أفريقية الشرقية كيربى) .. وأنه أدخل الحضارة الأوربية إلى أرض أفريقية بعد أن كان الأفريقى لا يعرف شيئا يقربه من الحضارة التى يعيشها زميله الإنسان الأبيض (هذا ما قاله السياسى الإنجليزى دافيد هيوم) » .

أولا : التجزئة[1] :

« منذ ٢٢ عاما جاء فى تقرير اللجنة الاقتصادية التابعة لهيئة الأمم المتحدة عن أفريقية الغربية عام ١٩٦٢ م ما يلى :

« لا توجد مناطق أخرى فى العالم بهذا العدد الكبير من الدويلات الصغيرة ، صغيرة من حيث الإنتاج ومن حيث السكان . إن الإقليم المهم الوحيد الذى يشبهه هو أمريكا الوسطى » ... ويذكر رولاند أوليفر ، وجون فينج فى كتابهما تاريخ أفريقية : « وقد قامت الدول الاستعمارية بتمزيق أفريقية كتأمين لها فى المستقبل ... » . وعند بدء القرن العشرين كانت الحكومات الأوربية تدعى السيادة على كل الوحدات السياسية البالغ عددها أربعين وحدة .. إن تقسيم أفريقية كان نتيجة للصراع بين القوى الاستعمارية ...

« عملت بريطانيا لوحدها على تجزئة ما استولت عليه من أرض أفريقية إلى أربعة عشر جزءا وكذلك فعلت فرنسا بأن قسمت مناطق نفوذها إلى أكثر من ذلك » .

---

(١) أفريقية ، ص ٨٥ - ٨٦ .

« كانت عملية التجزئة ليست فى صالح الشعوب الأفريقية فكانت النتيجة تعدد الثقافات وتعدد الأحزاب وتعدد السياسات الاقتصادية . وكلها عقبات وضعت فى طريق الوحدة الأفريقية ، واستعادة أفريقية لقوتها وحيويتها » .

ثانيا : الجهاز الحكومى :

« بقيت أفريقية يحكمها الأفريقيون (وغالبهم كانوا مسلمين) أنفسهم دون غيرهم قرون عديدة حتى جاء الاحتلال وبدأ التقسيم وقضى على الحكومات الإسلامية والوطنية التى كانت من الشعب الأفريقى وتعمل من أجله ، لها قواعدها وقوانينها الخاصة التى تحكم بها (والتى كان يقوم معظمها على شريعة الإسلام) ، فكانت العلاقة بين الحكومة والشعب علاقة متينة واضحة لا غموض فيها ، حتى جاء الحكم الأوربى فغير الأساليب المعروفة تغييرا جذريا ، وفرض أسلوبا جديدا من الحياة لم يألفه ويتفهمه الإنسان الأفريقى ، ولم يعد للأفريقى حق النقاش والإقناع . حل نظام العقوبات الأوربى (محل الشريعة الإسلامية)[١] والأعراف التقليدية الأفريقية التى كان يعرفها الأهالى ، ويطيعونها طاعة نابعة من الاقتناع بصلاحيتها للمجتمع ، الكل يعرف حقوقه وواجباته » .

« جاءت طريقة الحكم ووضع القوانين بطريقة عفوية ، فلم يكن للأوربيين دراية ومعرفة بالأقاليم وسكانها ، فهم لا يعرفون حدود انتشار القبائل والممالك لكى يضعوا لكل منها أنظمة وقوانين تتمشى مع ما ألفوه من قبل ، وكانت النتيجة أن أصبحت قبيلتين أو شعبين يخضعان لإدارة واحدة ، ما تقبله قبيلة ترفضه الأخرى . ونجد أحيانا أن الشعب الواحد أو القبيلة الواحدة أصبحت بعد التقسيم مقسمة بين إقليمين ، لكل إقليم إدارته الخاصة ، فأصبح كل جزء من القبيلة خاضع لأسلوب فى الحكم واللغة يختلف عن الجزء الآخر » .

ويعترف الأوربيون بفشلهم فى إدارة الإقاليم التى كان يديرها أشخاص غير مؤهلين وشديدى التعصب أوائلهم من حثالة بريطانيا (كما يقول درك كارتن فى كتاب أفريقيا) . ومن المغضوب عليهم فى بلدان أوروبا الأخرى ، لم يكتسبوا من

---

(١) أفريقية ص ٨٨ ــ ٨٩ . وهكذا أحلّ المحتل أنظمة الحكم الوضعى بدلا من الحكم الإسلامى .
الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ، تأليف د . عبد الستار فتح الله سعيد ، دار الوفاء ، الطبعة الرابعة .

الأهالى سوى الخوف والكراهية .

« كانت القوانين والتشريعات والأنظمة تصدر من هيئات الاحتلال الذين لا يمثلون مصلحة الشعب الأفريقى ، بل كان من جملة أعضائها أصحاب المصالح والشركات الأجنبية كالتعدين والتجارة والصناعة . وحتى لو دخل أعضاء من الأفارقة المجالس الدستورية وأعطوا الحق فى مناقشة القوانين والأنظمة المقترحة ونقد الميزانية السنوية وأسلوب الإدارة ، ليس من الضرورى أن تأخذ الحكومة وأعضاء المجالس الآخرين بآرائهم . فوجودهم كان للتضليل والدعاية فقط » .

« أما المجالس التنفيذية أو السلطة المنفذة للقوانين ، فكانت بيد حاكم عام يساعده موظفون كبار كلهم من الأوربيين . كانت هذه السلطة فى البداية أشبه بإدارة شركة كبيرة يرأس إدارتها الملك ، يعطى أوامره لحكام المقاطعات ، وكان حكام المقاطعات الفرنسية يُمْنحون سلطة إعلان حالة الطوارىء وهى السلطة التى لا يمارسها فى فرنسا إلا البرلمان أو رئيس الجمهورية » .

« ولما أرادت بريطانيا إشراك الأفريقيين فى الحكم جاءوا بزعماء موالين لهم ، لذلك لم يتعاون معهم الشعب ، إذ أن كثيرا من الأمور التى تحلو للزعماء لا تقبلها الشعوب ، وهذا ما حصل فى المستعمرات الفرنسية وغيرها » .

ثالثا : الزراعة وملكية الأرض :

« تميزت الزراعة قبل الاستعمار بكونها زراعة محاصيل غذائية تقدم للسكان ما يجعلهم أصحاء قادرين على العمل يزداد عددهم يوما بعد يوم . وكانت الأرض ملكا للقبيلة يعيشون كأسرة واحدة يعمل جميع أعضائها لتقديم الغذاء إلى كل فرد فيها . يقول باتن[1] : (إن معظم الأفريقيين ينظرون إلى الأرض ، كما ينظر الأوربيون إلى الشمس والهواء ، فهى تستوى معها فى الوفرة ، وفى أنه لا غنى عنها ، وينبغى أن يشارك بها كل أفراد المجتمع وفقا لاحتياجاتهم فلم يكن للأرض ثمن ولم تكن سلعة للبيع) » .

---

(١) أفريقية ٨٩ – ٩١ ، وهو يعتمد على كتاب :

Baten, T.R., Problem Of Africa Development, p. 25."

« جاء المستعمر واستولى على الأرض بالقوة ، ثم سن قانون حيازة الأرض وحرية بيعها وشرائها . وبهذا القانون تمكن الأوربيون والشركات الاحتكارية من شراء الأراضى من الأفريقيين وهم مرغمون بعد أن تتراكم عليهم الديون وليس لديهم من نقود لتسديدها . وبعد أن أصبحت الملكية للأفراد جاءت الشركات واحتكرت شراء السلع الزراعية فاضطر الفلاح الأفريقى أن يزرع ما تشتريه الشركة المحتكرة كلها من المحاصيل النقدية(١) . أثرت هذه السياسة على قلة توافر الغذاء للسكان فانتشرت المجاعة وازداد المرض وكثر موت الأطفال وبالتالى أخذ عدد السكان فى التناقص . فكانت سياسة المحصول الواحد يزاولها الاحتلال فى أفريقية بشدة ، حيث تخصص مناطق واسعة وأحيانا إقليم برمته لإنتاج محصول أو محصولين . فاختصت غانا بزراعة الكاكاو ، وغامبيا بزراعة الفول السودانى ، وأوغندة بالقطن ، وكينيا بالبن ، ونيجيريا بزيت النخيل وهكذا » .

« ولم تؤثر هذه السياسة على إنهاك الفرد الأفريقى فقط بل تسببت فى إنهاك الأرض فأصبحت الآن غير قادرة على الإنتاج . فنظام الدورة الزراعية ضرورى للمحافظة على خصوبة التربة كان الأفريقيون يعملون به قبل وصول المغتصبين . كما أن إدخال محاصيل جديدة فى مناطق أخرى من العالم جلبت معها أمراض نباتية . وأصبحت مستوطنة فى أفريقية والقضاء عليها أصبح من الأمور الصعبة » .

« كما أن سياسة انتشار زراعة المحاصيل النقدية قضى على مساحات واسعة من الغابات وأخشابها الثمينة . كما حصل فى جنوب غانة ونيجيريا وحيث امتد الخراب إلى حدود السفانا . فأصبحت الرياح الصحراوية الجافة تجد لها منفذا فى إقليم الكاكاو فى الجنوب وتؤثر على إنتاجه . كما أن الاعتماد على محصول نقدى واحد يضر بالاقتصاد الوطنى إذ يؤدى إلى تعرضه بصورة كبيرة لتقلبات الأسعار فى السوق العالمية . وكان من نتائج كساد تجارة المحصولات النقدية فى الثلاثينات من القرن الحالى أن أصبح الفلاح الأفريقى عاجزا عن سداد ديونه » .

---

(١) هكذا نرى أن الرغبة فى إماتة أفريقية جوعاً ، جرى التخطيط له من زمن طويل ، وأنَّ ما يحدث الآن فى أفريقية من موت الناس جوعا هو النتيجة الطبيعية لهذا التخطيط الإجرامى .

رابعا : التعليم :

« بعد مرور مائة عام على الاحتلال الأوربى لأفريقية وإيحائه بأنه نشر التعليم[1] بين أفرادها ، تأتى أرقام وإحصائيات هيئة الأمم (اليونسكو) بعكس ذلك » .

« تبين الأرقام التى نشرت عام ١٩٥٥ م بأن نسبة الأمية تتراوح بين ٩٥٪ و٩٩٪ بين الأفريقيين البالغين فى كل من الصومال البريطانى ، وأفريقيا الاستوائية الفرنسية والصومال الفرنسى وأفريقية الغربية الفرنسية . وتتراوح هذه النسبة بين ٩٠٪ و٩٥٪ فى غامبيا ونياسالاند وسيراليون وزنجبار . وتجدها بين ٨٥٪ و٩٠٪ فى نيجيريا ، وفى سوازى لاند ٨٠٪ ، و٨٥٪ ، وفى كينيا وبتسوانا لاند وروديسيا الشمالية ٧٥٪ إلى ٨٠٪ وهكذا بالنسبة لباقى البلدان » .

« وإذا كان هناك تقدم قد حصل فكان بطيئا جدا . وإن هذا التقدم البطىء فى التعليم ، ليته لم يحصل فى عهد الاحتلال لأنه بأسلوبه ومناهجه خلق طبقة من السكان تكره العيش والعمل فى الريف بل زحفت إلى المدن للعمل فى وظائف حقيرة تحت إمرة إدارة الاحتلال الأجنبى . وهذا شجع بدوره الهجرة من الريف إلى المدينة ، فعندما يستقر المتعلم فى المدينة يشجع أسرته على اللحاق به » .

« ترك المحتل الأوربى أفريقية وخلف وراءه جيشا جرارا من الأميين ، ويقول بعد ذلك : إنَّنا علمناهم الحضارة . فهل يصدق المرء أن فى موزمبيق المستعمرة البرتغالية التى يبلغ عدد سكانها عام ١٩٥٤ م ستة ملايين لا يوجد فيها سوى خمسة آلاف تلميذ ابتدائى و٧٣ تلميذ ثانوى و٤٢ فى صفوف التدريب الصناعى وحتى فى غانة الأكثر تقدما اقتصر التعليم على المرحلة الابتدائية فلم يدخل المدارس الثانوية سوى ٢٪ من الجيل الحالى » .

« والشعب الأفريقى طبيعته توافق التعليم ومتحمس لفتح مدارس يَدْخُلَها أبناؤُه ، فكان يَجْمَعُ الأموال القليلة لبناء المدارس ، وهذا ما حصل فى كينيا ولكن

---

(١) أفريقية ، ص ٩١ — ٩٣ .

المحتل لم يشجع هذه الطريقة، فعند إعلان حالة الطوارىء عام ١٩٥٢ م أغلق المدارس التى بناها الأفريقيون وساهموا فى إدارتها . وتصف لنا الباحثة (نلى اكسودياس) لهفة الأفريقيين ورغبتهم فى التعليم حينما شاهدت الأطفال فى ستانلى فيل يصطفون منذ الفجر ومعهم آباؤهم أمام مكتب مدير المدرسة كى يضمنوا مكانا » .

« وكان التعليم المهنى الصناعى والزراعى قاصرا على البيض فقط خاصة فى روديسيا وفى اتحاد جنوب أفريقيا ، فصدرت القوانين التى تمنع الأفريقى من تعلم مهنة ومزاولتها ، كى لا ينافس غيره من البيض » .

خامسا : الصحة :

« لقد أجمع الباحثون والمختصون بأن سوء التغذية العامل الفعال فى انتشار الأمراض بين المواطنين الأفريقيين . وهو وحده الذى يؤدى إلى ارتفاع نسبة الوفيات عند الأطفال . فهناك ٧٠٪ مثلا من أطفال المدارس الأفريقية فى إحدى المناطق بجنوب أفريقية يعانون من سوء التغذية (كما يذكر ثيودور جلمان – أستاذ الفسيولوجيا بجامعة ناتال بمدينة دربان) . ويذكر الدكتور ترويل الذى أعد بحثا بهذا الخصوص ، نشره المكتب الدائم للحكومة البريطانية عام (١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م)[1] : بأن بعض النساء الأفريقيات لهن حوض أصغر من حوض نساء الأجناس الأخرى وسببه سوء التغذية خلال فترة نمو العظام فى الطفولة ، ولذلك كانت عملية الولادة معرضة للأخطار المتزايدة ، وبالنسبة للأطفال الأفريقيين فهم ينمون نموا طبيعيا خلال فترة الرضاعة كأى طفل فى العالم ولكنه عندما يبدأ فى الاعتماد على مصادر الطعام فى بلده ، وعندما يصبح فردا مستقلا من أفراد الشعب يصبح ضحية من ضحايا الاحتلال . وهذا يحدث فجأة وبشكل مفجع . والأم الأفريقية تستمر فى إرضاع الطفل لأنها لا تجد غذاء مناسبا آخر . ويقول البحاثة دى كاسترو فى كتابه جغرافية الجوع عندما ظهر المستوطنون الهولنديون لأول مرة

---

(١) أفريقية ، ص ٩٣ – ٩٥ .

فى هذه المنطقة وجدوا قبائل محلية من قوم أصحاء أقوياء البنية كانوا يعيشون على تربية الماشية وزراعة الذرة واقتناص الحيوانات البرية ... ويكاد طعامهم اليومى يتكون من الذرة دون سواها . وإن ما بين ١١ ألف طفل وضعوا تحت المراقبة ، كان ٨٤٪ يتناولون وجبة واحدة فى اليوم ، و١٤,٣٪ يتناولون وجبتين ، وما لا يزيد على ٠,٦٪ كانوا يتناولون ثلاث وجبات » .

« كيف لا يحدث هذا وقد أجبر الفلاح الأفريقى على ترك أرضه الجيدة أو اضطر إلى زرعها بالمحاصيل النقدية ، فالغذاء الذى كان يوفره لنفسه وأطفاله وأسرته قبل دخول المغتصب الأوربى أصبح نادرا ، والغذاء الناقص إذن هو السبب فى انتشار الأمراض وعدد الوفيات المرتفع ، ونقص الغذاء سببه الاحتلال الأجنبى بلا شك » .

« وتذكر التقارير أن الأطفال فى كينيا لا يصل منهم إلى سن الخامسة سوى ٦١٪ ولا يصل إلى سن السادسة سوى ٥٦٪ وهكذا فى جميع البلاد التى احتلها الأوربيون » .

« ماذا فعلت سلطات الاحتلال تجاه ذلك ؟ لا شىء يذكر .

فمثلا بعد مرور ٧٥ سنة على احتلال بريطانيا لنيجيريا لم يشيد سوى مستشفى واحد للحميات فى بلد يصاب فيه من ٦٠ إلى ٨٠٪ من السكان بالملاريا والحميات المتوطنة . وهناك طبيب واحد لكل ٦٠,٠٠٠ مواطن أفريقى ، مع العلم بأنه يوجد طبيب لكل أقل من ألف من السكان فى بريطانيا ، وواحد لكل ٧٤٠ فى الولايات المتحدة الأمريكية » .

« والنتيجة (كما يقول كارتن) أن يموت فى نيجيريا كل عام آلاف من الأطفال ، لم يكونوا ليموتوا لو استخدمت ثروات بلادهم فى الخدمات الاجتماعية الخاصة بهم » .

« ونتيجة لهجرة الفلاحين إلى المناطق الصناعية وازدحامهم فى أماكن ضيقة ، مع الأجر الزهيد الذى لا يوفر لهم الطعام الجيد ، نرى أن نسبة المصابين بمرض السل ترتفع سنة بعد أخرى » .

« ويتحدث تقرير أعدته اللجنة الاجتماعية - الاقتصادية فى عام ١٩٥٦ م باتحاد لجنوب أفريقية عن أحد المصانع أن الحالات المرضية بين العمال كثيرة مرجعها النقص الغذائى ، منها ٤٤٪ أمراض الديدان المستديرة ، و١٢٪ الديدان الشريطية ، و٢,٥٪ السل » .

« هذا ما جنته أفريقية من الاحتلال الأوربى لبلادها » .

سادسا : التجارة :

« والناظر فى أحوال التجارة والنقل قبل احتلال المغتصب الأوربى لأرض أفريقية يهوله الموقف ، ويدرك أية جريمة بشعة ارتكبها ذلك المغتصب فى حق أهل أفريقية ، وخاصة المسلمين » .

« كانت التجارة[١] قبل دخول المغتصب الأوربى حرة نشطة بين ممالك أفريقية وشعوبها من جهة وبينها وبين آسيا العربية وجنوب شرق آسيا من جهة أخرى ، وكان لها نظام دقيق يشرف عليه الملوك والرؤساء . استخدم الأفريقيون الطرق الصحراوية فى غرب القارة لمبادلة الذهب بملح الطعام ، والطرق البحرية فى المحيط الهندى والبحر الأحمر لمبادلة الحديد والذهب ومنتجات الغابة بالأسلحة والمنسوجات من الهند والجزيرة العربية وجنوب شرق آسيا عبر المحيط الهندى بواسطة السفن الشراعية التى تستعين فى سيرها بالرياح الموسمية الصيفية والشتوية . وكانت الطرق والمسالك الداخلية معروفة لدى التجار العرب فى الصحارى وفى الجبال ، وكانت لهم مراكز لخزن البضائع المختلفة شيدوها فى مناطق متعددة من هضبة شرق أفريقية وعلى الأخص بالقرب من بحيرة فكتوريا » .

« وبدخول المغتصب الأوربى للقارة هبط ذلك النشاط التجارى الداخلى والخارجى ثم توقف تماما وعندما سيطر المغتصب على القارة كلها واقتسم الغنائم وأصبحت أفريقية مقسمة زال كل أثر للتجارة الداخلية وتركز النشاط على

---

(١) أفريقية ، دراسة عامة وإقليمية ، دكتور أحمد نجم الدين فليجة ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ - ٢٨١ .

التجارة الخارجية ، ونقل ثروات القارة ، وكلها من المعادن الخام والسلع الزراعية النقدية من الداخل إلى الساحل ومنها إلى أوروبا بالطريق البحرى ، لذلك بنى السكك الحديد وعبد بعض الطرق التى تربط مناطق الإنتاج بموانى التصدير ، ولم يهتم بربط المناطق الداخلية بعضها بالبعض الآخر ، لذلك بقيت التجارة الداخلية متعثرة حتى بعد خروج ذلك المغتصب » .

« وبعد الاستقلال وتكون الدول الحديثة لا تزال السياسة الاقتصادية والتجارية التى سبق أن رسمها الاحتلال قائمة حتى الآن ، وبقيت صادرات الدول الأفريقية الحديثة تتكون من المنتجات الزراعية التى يعتبر أغلبها موادا أولية للصناعة كالنباتات والأشجار التى تحمل ثمارا زيتية كنخيل الزيت وجوز الهند والفول السودانى والسمسم وغيرها ، وكذلك قصب السكر الذى يصدر عصيره الخام ليصنع فى مصانع أوروبا ، والقطن ، والبن ، والكاكاو والأخشاب ، والتبغ . كما بقيت هذه الدول الحديثة تصدر معظم المعادن على شكل خامات دون تصنيعها . ولا يمكن لهذه الدول فى يوم وليلة أن توقف إنتاج تلك الخامات والمواد الأولية أو توقف إنتاج المحاصيل الزراعية النقدية لتبدأ بتصنيعها بنفسها فمعظم تلك الدول تركها المغتصب وهى فقيرة فى قدراتها على تصنيع منتجاتها ، لذلك فهى بحاجة إلى موارد لتبدأ فى البناء – بناء كل شىء – فهى تفتقر إلى كل شىء ، كما أنها لا تزال مضطرة للتعامل مع أسواقها التقليدية إذ أن تغيير هذا السوق وبسرعة يربك اقتصادها » .

« وإذا أردنا المزيد من القرائن التى تؤكد أن المغتصب حينما احتل أفريقية لم يكن يفكر فى مصلحتها أو خدمتها ، وإنما كان شغله الشاغل امتصاص دمها النقى حتى آخر قطرة ، بلا مقابل ، فعلينا أيضا أن نستعرض حالة النقل والمواصلات » .

سابعا : حالة النقل والمواصلات :

« يقول المغتصبون : (إنهم بنوا طرقا عديدة امتدت آلاف الكيلومترات ، ولكنها لم تبن لمصلحة الإنسان الأفريقى ، بل بنيت لاستيطان الرجل الأبيض – وهذا كان الغرض من بناء سكة حديد ممباسا – نيروبى . ولم

تبن لنقل الغذاء والحضارة للإنسان الأفريقى ، بل بنيت لنهب مصادر الثروة المعدنية والنباتية للقارة ، وهذا ينطبق على معظم الخطوط الحديدية فى وسط وغرب وجنوب القارة . فالخط الذى أنشىء ليربط المحيط الهندى بالأطلسى ، والذى يبلغ طوله ٤٧١٢ كم والذى يخترق مناطق عديدة من وسط القارة لم ينشأ لمصلحة الإنسان الأفريقى ، بل لينقل الثروات المعدنية خاصة النحاس إلى الموانىء ومنها إلى مصانع أوروبا) » .

« وحتى بعد ترك (المغتصب) أفريقية نجد أن تلك الخطوط بقيت عاجزة عن تحقيق أهداف الأفريقيين فى تبادل ثقافاتهم وسلعهم التجارية ، فهى إما أن تمر فى مناطق غير صالحة للاستيطان والاستغلال الزراعى ، أو أنها تبدأ من الداخل وتنتهى فى الساحل فلا تربط مناطقها الداخلية بعضها بالبعض الآخر ، خاصة غرب أفريقية وشرقها . وبالإضافة لكل هذا فهى مختلفة المقاييس من بلد إلى آخر ، فالمستعمرات البريطانية لها مقياس يختلف عن مقياس الخطوط الحديدية فى المستعمرات الفرنسية . فمثلا : نجد هناك أربعة أنواع من المقاييس : الأول : بمقياس متر واحد و٤٣ سنتيمترا ، والثانى : بمقياس متر واحد و٦٧ سنتيمترا ، والثالث : بمقياس متر واحد فقط ، أما الرابع فمقياسه أقل من متر واحد . ونجد أن المقياس الثانى ينتشر فى المستعمرات البريطانية ، والثالث فى معظم المستعمرات الفرنسية » .

« وكذلك بالنسبة لطرق السيارات ، فمعظمها بنى ليربط مناطق المهاجرين البيض بالساحل ، وكذلك لنقل المحاصيل الزراعية والثروات المعدنية التى ملكتها الشركات الأجنبية ، من الداخل إلى الموانىء » .

« أما بالنسبة للنقل النهرى فلم يطوره المحتل وبقيت جميع العقبات قائمة حتى بعد خروجه من القارة » .

ثامناً : تجارة الرقيق :

الأوربيون يغتصبون أبناء أفريقية المسلمة ويتاجرون بأبناء وبنات المسلمين ـ التجار يتحسسون أجساد النساء ويعبثون بحرماتهن .

قلنا لقد اغتصب المحتل الأوربى كل شىء فى أفريقية ، حتى الإنسان ، إذ « لجأ المحتل منذ البداية إلى تجارة سهلة ومربحة ولكنها تجارة دنيئة هى ما يطلق عليه تجارة العبيد[1] » ، التى بدأها الأمير البرتغالى هنرى الملاح عام ٨٤٢ هـ تقريبا (١٤٤٢م) عندما أحضر معه بعض تراب الذهب وعشرة رجال من الأفارقة فى رحلته الأولى بسواحل أفريقية ، جاء بالرجال ليعلمهم الدين ، ولكنه باعهم وعاد إلى أفريقية يطلب المزيد . فنشأت الحصون وتكونت الحصون البرتغالية على سواحل أفريقية غرب القارة لتكون مخزنا لتجميع الأفارقة وشحنهم رقيقا إلى أوروبا وأمريكا ، وكان القسس (كما يقول دارك كارتن) يعمدون كل رجل وامرأة وطفل قبل وضعه فى الأغلال وقبل ركوب السفن ، حتى تجد أرواحهم الخلاص عند موتهم فى البحر . وكسبت الكنيسة بهذه العملية مبالغ طائلة لأنها كانت تتقاضى ضريبة على كل فرد . ومنذ هذا التاريخ توسعت هذه التجارة ، ففى عام ١٠٨٠ هـ تقريبا (١٦٨٠م) وفى الأعوام التى تلتها صدر التجار الإنجليز ١٥,٠٠٠ أفريقى سنويا ، وأخذ هذا العدد يزيد حين زاد من قبض عليهم بين عامى (١٠٨٠ - ١٢٧٦ هـ تقريبا ، ١٦٨٠ - ١٨٧٦م) عن المليونين . وقد بلغ عدد مراكز التجميع الإنجليزية لوحدها على الساحل الأفريقى الغربى ٤٠ مركزا . كان الرقيق يحشرون حشرا فى السفن القذرة الخالية حتى من الأماكن أو المساحات التى يقدر فيها الإنسان أن يتقلب على جنبيه إذا ما أراد النوم . لم يصل كلهم إلى مراكز العمل بل يموت منهم خلال الرحلة حوالى ١٥٪ و ٥٪ قبل البيع و ٣٥٪ بعد ذلك أى أن نصفهم يهلكون نتيجة الإرهاق والمرض وسوء التغذية . كانت السفن عند وصولها الساحل الأمريكى وجزره تحرق حيث

---

(١) أفريقية ص ٧٠ - ٧٣ .

لا يرضى أحد تنظيفها ، وبقيت هذه التجارة رائجة حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى تقريباً العشرين ، على الرغم من إصدار القوانين لتحريمها ، فخسرت أفريقية ما يقرب الخمسين مليونا من أهلها .

« وقد بدأ وصول أول شحنة من العبيد الأفريقيين من غانا إلى هايتى فى عام ٩١٠ هـ (١٥١٠ م) ، ووصلت أول شحنة منهم إلى كوبا عام ٩٢١ هـ (١٥٢١ م) وتوالى وصول الشحنات ، منذ ذلك التاريخ ، فلم يمض نصف قرن على الشحنة الأولى ، حتى كان عدد العبيد فى المستعمرات الأسبانية فى الأرض الجديدة ، قد جاوز الأربعين ألفا . واستورد البرتغاليون لأنفسهم فى البرازيل آلافا أخرى ، من ساحل غانا وساحل أنجولا ، ونقل البرتغاليون من أفريقية الغربية فى الفترة من عام ٩٣٠ هـ (١٥٣٠م) حتى عام ١٠٠٠هـ (١٦٠٠م) إلى أمريكا ما يزيد عن ٩٠٠ ألف عبد ، ما بين رجل وامرأة وطفل .. وكانت غانا وساحل الذهب والكونغو وأنجولا وموزمبيق هى أهم مصادرها . ويقدر أحد المؤرخين البرتغاليين جملة عدد الرقيق ، الذين نقلوا إلى أمريكا من أنجولا ، فيما بين عامى ٨٨٦ و ١٠٤١ هـ (١٤٨٦ و ١٦٤١ م) بأكثر من مليونين وثلث المليون » .

ودعم البرتغاليون سلطتهم فى الكونغو ، فانتشر البؤس والفقر ، ودفعت المجاعة السكان إلى أكل لحوم البشر . وتدفق الرقيق الأثيوبى والصومالى والسودانى على أسواق الرقيق . وكانت زنجبار هى السوق الأساسية لتجارة الرقيق فى شرق أفريقية . وكان الرجال يوضعون فى الأسواق كالبهائم ، ويأتى السماسرة وتجار الرقيق ليشتروهم بثمن بخس ، وهم فى حالة من الجوع والعرى والبؤس يندى لها جبين البشرية .

« أما ما كان ينزل بالبنات والسيدات من مهانة فكان يفوق ذلك بكثير ، فالمشترون يتحسسون أجسادهن ، ويعبثون بحرماتهن ، والتاجر من خلفهن بسوط ، يجبرهن على إبداء الرضا ، إن حاولت إحداهن ستر جسدها ولو بخرقة » .

---

(١) هذا الجزء مأخوذ من كتاب السياسة الدولية وفلسطين ، تأليف الدكتور محمد كمال الدسوقى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ١٠ – ١٢ .

« وكانت قافلة الرقيق تصل إلى الساحل سيرا على الأقدام لمسافات طويلة . وكانوا يربطون بالحبال من أعناقهم إلى عمود خشبى كبير ينظم سيرهم على صفين ، صف على كل من جانبيه ، وكانت أيديهم تربط بالحبال أحيانا وتترك طليقة أحيانا أخرى ليتمكنوا من حمل التجارة المسافرة معهم وكم سقط من ألوف صرعى فى أثناء الطريق ، فتركوا على جانبه نهبا للوحوش » .

« وكانت السفن المعدة لنقل الرقيق من الساحل الأفريقى صغيرة الحجم ، مليئة بالرفوف ، وكان العبيد يقيدون من أيديهم وأرجلهم ، ويُرَصُّون على الرفوف بجوار بعضهم ، الرجال فى جانب ، والنساء والأطفال فى جانب ، ويبقون هكذا إلى أن تبحر السفينة ، وتبتعد عن الشاطىء حتى لا يهربوا . فإذا ما صارت السفينة فى عرض البحر فكت قيودهم ، ولكن عددهم الضخم بالنسبة للسفن الصغيرة لم يكن يسمح لهم بحرية الحركة . وكان من الطبيعى أن تتفشى الأمراض والأوبئة بينهم وخاصة الملاريا ، وكان الموتى يلقون فى البحر ، طوال الرحلة ، التى كانت تستغرق ستة أسابيع . وكثيرا ما حاول العبيد الاحتجاج على سوء المعاملة ، ولكن سياط التجار وبنادقهم كانت تسكت دائما صوت المعارضة » .

« ولم تلبث انجلترا وفرنسا وهولندة والدانمارك وألمانيا وغيرها من الدول الأوربية أن دخلت ميدان تجارة الرقيق المربح . ووصلت أول دفعة استوردتها الشركات الإنجليزية ، إلى فرجينيا عام ١٠٢٠ هـ ، (١٦٢٠ م) » . وقد كان تسابق تلك الدول إلى ميدان تجارة الرقيق كارثة حلت بسكان أفريقيا المساكين فأخذت السفن تحمل الألوف فى طريقهم إلى أمريكا ، كنعاج يسوقها القصَّابون إلى المجزر ، وتلقت الممتلكات البريطانية بأمريكا وحدها ، فيما بين عامى ١٠٨٠ و ١١٨٦ هـ (١٦٨٠ و ١٧٨٦ م) أكثر من مليونين من العبيد ، وكان ما وصل فعلا هو نصف العدد الذى خرج من أفريقيا ، أما النصف الآخر فقد هلك فى الطريق . ووصلت تجارة بريطانيا فى الرقيق إلى ذروتها قبيل حرب الاستقلال الأمريكية » .

« أما عن الأعمال التى كان يقوم بها هؤلاء العبيد فى أمريكا عامة ، وفى الممتلكات البريطانية خاصة ، فأقل ما توصف به أنها أعمال لا إنسانية ، سببت وفاة الملايين منهم جوعا ، أو ضعفا ، أو نتيجة للتعذيب ، وتعد حتى اليوم وصمة فى جبين البشرية » .

تاسعا : نماذج من معاملة الرجل الأوروبى لأبناء أفريقية سلب الحريات - القتل - التعذيب - السجن - السخرة - التفرقة العنصرية .

« كان الغزاة من التتار ومن على شاكلتهم إذا دخلوا أرضا فسقوا فيها ودمروها ونهبوا ما يستطيعون حمله . ثم لم يلبثوا أن يعودوا إلى وطنهم ، فيسترجع المغلوبون أنفاسهم ويبدأون فى البناء من جديد » .

أما المسلمون « أصحاب الحضارة فقد خرجوا من ديارهم ودخلوا أراضى غير أرضهم ، أقاموا فيها وعمروها ، وتآخوا مع أهلها ، وأقاموا حضارات دامت قرون عديدة ، لا زالت البشرية تحلم بها » .

« أما أهل أوروبا فأمرهم يختلف ، فقد غزوا أفريقية ، ولم يخرجوا منها ، أقاموا فيها ولم يعمروها ، تعالوا على قومها فلم يعطوهم شيئا بل أخذوا منهم كل شيء . وأرادوا الإقامة الدائمة ولكن أهلها رفضوا ذلك ، قاوموا هذا الاحتلال الكريه ، وكان الذى يدفعهم إلى ذلك الإسلام الذى يعيش فى وجدانهم وقلوبهم ، وتمكنوا خلال أقل من قرن من تحقيق ما أرادوه . كانت فترة وجيزة لم يصدق أهل أوروبا أنهم سيخرجون مطرودين بهذه السرعة ، ولكن ذلك لأسباب منها :

إن الشعوب الإسلامية لا تستكين للذل ، وإذا غلبت مرة فسرعان ما تأخذ زمام المبادرة ، فتحول الهزيمة إلى نصر[1] .

كانت أسباب الثورة التى أشتعلت على أرض أفريقيا كثيرة ، ومن أهم أسبابها سلب الحريات بطريقة وحشية وقاسية ، سلب الأوربى من المواطن

---

(١) أفريقية ، ص ٩٩ - ١٠٤ .

الأفريقى[1] حريته فى أرضه وفى تنقله وحتى فى طراز حياته الذى ورثه عن آبائه وأجداده أجبره بقوانينه الصارمة على ترك الأرض الجيدة ، وأجبره أن يزرعها بمحصول هو بعينه ، وأجبره أن يعمل بأجر لا يسد فيه حتى احتياجاته الضرورية من الغذاء والكساء ، قتل الآلاف بل الملايين من أبناء أفريقية ، لم يميز بين طفل وشيخ أو امرأة ، وبطرق وحشية كتب عنها الكثير ، ولم يصلنا منها إلا القليل .

يذكر الكاتب الإنجليزى (درك كارتن) فى كتابه (أفريقية . أفريقية . قارة تقف على قدميها) فيصف لنا نموذجا للوحشية التى يعامل بها رجل السلطة الأوربى الأفارقة الراغبين فى التحرر وطرد المحتل من بلادهم . يقول الكاتب[2] : (انضم شاب من المدينة الإنجليزية القديمة (توتنجهام) إلى هيئة الشرطة وسافر إلى كينيا ، وهنا أصبح مساعد مفتش الشرطة ... وقد أعطوه زيا رسميا ومسدسا وسلطة واسعة النطاق ، وقالوا له : إنه يستطيع إطلاق الرصاص على الأفريقيين ، فخرج يصطاد أول أفريقى من قبيلة (كيكويو)[3] وكتب هذا الشاب مقالا فى جريدة الشعب أعلن فيها : إن أحسن شىء فى رأيه هو أن يقتل كل فرد من أفراد الماوماو ، ويقال أن هناك ما يربو على المليون من هذه القبيلة) ، ويستطرد كاتبنا فيقول :

(ويتذكر بيتر بوستوك – وهذا اسمه – عندما يقول : وقبضنا على ستة من أفراد القبيلة ، وألقينا بأسرانا على ظهر سيارة نقل .... وكان الرجلان الجريحان يئنان من الألم ، ويصرخان كلما اهتزت العربة . ولم أفعل أنا وضباط الشرطة الآخرون غير الامتعاض ... كنت أستجوب عجوزا وكانت إجابته غير مرضية ، فأطلق أحد أعوانى من البيض كلبه على العجوز ، فأنشب الحيوان مخالبه فيه ، وطرحه أرضا ، وشق رقبته ، وجعل يمزق صدره وذراعيه ، وعلى الرغم من صراخه لم نفعل شيئا غير الامتعاض . وبعد خمس دقائق استدعينا الكلب ثانية ، وما زال فى استطاعتى أن أسمع صراخ ذلك الرجل العجوز) . ونموذج آخر

---

(١) وقبل ذلك حاول رده كافرا بعد إسلامه ، حسدا من عند نفسه .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١ .

(٣) الكيكويو : أكبر قبائل كينيا ، وهى التى قامت بحركة الماوماو فى الخمسينات .

لرجل شرطة يدعى بريان هيوارد كان يأمر رجاله بخرق طبول آذان الأسرى بسجائرهم المشتعلة . وكان النساء يجردون من ملابسهن ، ويصب الماء المغلى على كل واحدة منهن على ثدييها وكثيرا ما يؤدى هذا العمل إلى الوفاة)[1] .

« ويذكر كلارك أحد أعضاء الإرسالية الأمريكية فى تقرير له عن الكونغو عام ١٢٨٥ هـ (١٨٨٥ م) ، وكيف كان البلجيك يرسلون جنودهم ليقتلوا أفرادا من قبيلة الأكوكو ، ويعودوا بالأيدى التى قطعوها من جثث ضحاياهم ، وكانت من بينهم أيدى ثلاثة أطفال وأقفرت مناطق بأكملها بسبب القتل والتعذيب . وكان من وسائل التسلية عند البلجيكيين قطع أعضاء الرجل التناسلية وتعليقها على سور القرية[2] .

« وكتب جليف فى تقرير له عام ١٢٩٤هـ (١٨٩٤ م) أنهم أحضروا عشرين رأسا بشريا إلى شلالات ستانلى ، واستعملها الكابتن روم فى تزيين حوض الزهور أمام منزله . وكان الأهالى يرغمون على أكل المطاط إذا لم يحسنوا إعداده ... والأفظع من ذلك أن محكمة بلجيكية أصدرت حكما بأنه ما دام أكل المطاط غير ضار بالإنسان فإن مرض بعض الأفريقيين الذين أرغموا على أكل المطاط وموتهم لا يدل إلا على أنهم مرضوا وماتوا بأسباب أخرى » .

« ولم يكن الألمان والفرنسيون والبرتغال أقل وحشية من الإنجليز والبلجيك . وكانت حصيلة إرهاب ألمانيا فى تنجانيقيا ١٢٠,٠٠٠ رجل وامرأة كما قتل الفرنسيون عشرات الآلاف من مواطنى جزيرة مدغشقر » .

« أما نظام العمل الإجبارى (السخرة) فكان معروفا ومعمولا به إلى عهد قريب . فكانت سلطات الاحتلال تجبر الفلاحين على ترك مزارعهم لمدة معينة ليعملوا فى المصانع والمناجم وتمهيد الطرق وبناء السكك الحديدية بعيدين عن أسرهم وأطفالهم . فكان هو الرقيق بعينه . وكان جزاء الهارب من السخرة الجلد والسجن » .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٠ .

« وعن عدالة الأحكام فلا وجود لها . بالإضافة إلى نظام السجون الذى يصفه دكتور كراوز – رئيس القضاء السابق فى مقاطعة أورنج – أنه « نظام بربرى » « وأن ١٠ بالمائة على الأقل ممن أعدموا لاتهامهم بالقتل كانوا أبرياء » .

« ومن الأمثلة على انعدام العدالة – إحدى القضايا التى عرضت على محاكم جنوب أفريقية كان الحكم فيها غرامة ٢٥٠ جنيه لصاحب عمل ضرب أحد العمال بالسوط حتى مات ، ولم يدخل السجن ولا يوم واحد . نفس الجريمة إذا ارتكبها الأفريقى ضد الأوربى فجزاؤه الإعدام » .

« ومسألة الأرض والظلم والإجحاف الذى صاحب تقسيمها فحدث ولا حرج . فبعد استيلاء بريطانيا على كينيا أعلنت بأن الملكية الجماعية للأرض انتقلت إلى بريطانيا ، وأن تقسيم الأرض سيتم من قبل وزارة المستعمرات . فوهبت هذه الوزارة الأراضى الخصبة فى المرتفعات إلى حفنة من الأوربيين وشركاتهم وطردت الأفريقيين منها بعد أن خصصت لهم أراضى لا يمكن زراعتها ، لرداءة تربتها . وكانوا يقصدون من ذلك أن يضطر الأفريقى للعودة الى المنطقة الأوربية للعمل كأجير » .

« ويعلق صاحبنا (كارتن) على ذلك بقوله بعد أن تحول كثير من الأفريقيين إلى المسيحية ، وبعد أن لقنوا المبادىء التى تنهاهم عن السرقة أصبحوا فى غاية من الحيرة . كيف يمكن للغزاة فى بلادهم أن يسرقوا إلى هذا الحد المذهل فى نفس الوقت الذى يعظون فيه الناس بالفضائل المسيحية دون خجل ، وتملكت السكان الحيرة والغضب فما كان ذلك مجرد ظلم وإهانة ، بل كان أيضا إفقارا وإذلالا منظما لشعوب بأسرها .

وتذكر إحدى الباحثات الإنجليزيات أنها شاهدت أحد أصحاب المزارع الأوربيين فى كينيا يعاقب بعض الفلاحين الأفريقيين الذين يعملون فى مزرعته لأنهم أكلوا ملحا كان قد ترك فى الحقل لتأكله الماشية . وتذكر أيضا مستغربة من القانون الذى لا يعاقب السائق الأبيض عندما يقتل ماشية الأهالى فى الطريق . بل والأدهى من ذلك ، أن الأفارقة كانوا يجندون فى صفوف الحلفاء أثناء الحرب

العالمية الثانية ، ويوهمونهم أنهم يدافعون باشتراكهم فى صفوف الجيش عن حريتهم .

والتفرقة العنصرية بمظاهرها البشعة ، والتى لا تزال تمارس فى روديسيا واتحاد جنوب أفريقية ومن قبل فى المستعمرات البريطانية فى شرق أفريقية أكثر من أن تحصى ، ومنها أيضا رضوخ الأفريقى للقوانين التى تقيد حريته فهو محروم من التعليم والتدريب المهنى ، ومحروم من أى شكل من أشكال التعبير عن آرائه بحرية . لا حقوق سياسية ولا مدنية فهى ملك للأوربى فقط . عزلوه بقوانينهم عن الاحتكاك بالأوربى ، ومزاحمته للسكن الجيد ، والأرض الجيدة ، والخدمات الممتازة . حرم عليه ركوب نفس عربة القطار والفندق وحتى المصعد والمطعم الذى يدخله الأوربى . فهل أكثر من هذا ظلم وإجحاف » .

« وإذا ما أعطيت بعض الحقوق للأفريقيين (كما هو فى المستعمرات الفرنسية والبرتغالية) فإنها تعطى لمن يتثقف بالثقافة الفرنسية والبرتغالية ، ويتقن لغتها »(١) .

عاشراً : نموذج للمظالم التى عاناها الشعب المصرى خلال الحرب العالمية الأولى فى ظل الاحتلال الإنجليزى :

---

(١) هذا جزء من تاريخ المظالم التى تعرضت لها شعوب القارة الأفريقية نتذكرها لندرك أية جريمة بشعة ارتكبها أبناء أوروبا تحت ستار الدين ضد إخوانهم فى الإنسانية ، ولنعلم أن هذه المعاناة التى أودت بحياة الملايين من شعوب القارة الأفريقية ، وبدّدت الجزء الأكبر من ثروتها ، وأدت بهذه الشعوب إلى تسول رغيف الخبز من على موائد الأعداء ، لم تنته بعد . فجنود الاحتلال قد رحلوا تحت ضغط مقاومة الشعوب الأفريقية ، ولكنهم رحلوا بعد أن خلفوا وراءهم أنظمة حاكمة تذيق الشعوب أسوأ أنواع النكال : فحرب الإسلام وجنده دائمة ، وسلب الحريات قائم ، والحياة فى ظل القوانين الاستثنائية لا تكاد تخلو منها بلد من بلاد المسلمين بداية بالدولة التركية ، والرق موجود ولكن فى صور أخرى ، والتفرقة العنصرية قائمة على قدم وساق فى كل معظم العالم الذى يسمى زورا وبهتاناً متحضراً وحُرًّا والحرص على إفقار الشعوب الأفريقية وربطها برباط التبعية الفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، يخطط له صباح مساء ، بل ولازالت شعوب الجنوب الأفريقى تخضع للاحتلال والقهر العسكرى من قبل الرجل الأوروبى بل إن شعوب هذا الجنوب محرومة من أبسط الحقوق الآدمية ، فلا سكن مضاء ، ولا سكن يصل إليه الماء ، ولا رعاية صحية أو تعليمية ، ولا حقوق سياسية ولا حقوق مدنية . وكل ذلك يجرى تحت سمع وبصر ما تسمى بالأمم المتحدة ، وما يسمى بمجلس الأمن وما يسمى بالعالم الحر !!!

« (أ) بمجرد قيام الحرب العالمية الأولى أعلنت بريطانيا الحماية على مصر ، وصحب ذلك إعلان الأحكام العرفية . فوضعت الرقابة على الصحف ، وعطلت الجمعية التشريعية ، ومنعت الاجتماعات ، واعتقل عدد كبير من المصريين ووضعوا فى السجون والمعتقلات أو فى المنفى ، دون تحقيق أو محاكمة وأساء جنود بريطانيا معاملة المصريين وجندت السلطات البريطانية مليونا من العمال والفلاحين ، وسخرتهم لأعمال السلطة فى ظروف بالغة السوء ، وكانوا يؤخذون قسرا ، ويربطون بالحبال ويساقون كالأنعام ، وينقلون فى مركبات الحيوانات . ومات الكثيرون منهم جوعا ، وعاد من تبقى منهم بعد نهاية الحرب ، ليقصوا رواياتهم عن القسوة التى عوملوا بها ، ويثيروا الجماهير ضد مظالم واستعباد الإنجليز للمصريين » .

« ولجأت السلطات العسكرية كذلك طوال سنوات الحرب إلى مصادرة أرزاق الناس ، وحاصلاتهم الزراعية ومواشيهم ودوابهم ، واستولت عليها بأبخس الأثمان وإجباريا . فالآلام التى عاناها الناس من السلطة العسكرية الإنجليزية ، أكبر من أن توصف . وتصف كاتبة إنجليزية فى مقال لها بتاريخ ٢ أبريل ١٩١٩ م بجريدة الديلى نيوز ما أحدثه جنود الامبراطورية البريطانية بمصر فتقول « إن ما أحدثه هؤلاء الجنود فى مصر لا يمحى أثره فى قليل من السنين ، وأقسم لو كنت مصرية لما ترددت فى بذل النفس والنفيس لطرد الإنجليز من مصر . وإنى - والحق يقال - كنت أخجل أشد الخجل لانتسابى لبلادى » .

(ب) سوء الحالة الاقتصادية :

« تغلغل النفوذ الأجنبى الماثل فى البنوك والشركات والمصانع الأجنبية ، منذ بدأ الاحتلال ، فى حياة البلاد الاقتصادية ، واستعبد الشعب ماليا واقتصاديا إلى جانب استعباده سياسيا . ثم جاءت الحرب العالمية الأولى لتزداد الحالة سوءا ، فهبطت أسعار القطن وهو المحصول الرئيسى ، فعم الكساد واشتد الضيق بالفلاحين ، وقبضت بنوك التسليف يدها عن تسليف الفلاحين ، وأخذت البنوك العقارية تقسو فى المطالبة بأقساطها ، حتى اضطر الفلاحون إلى بيع مصاغهم وأثاث منازلهم الضئيل بثمن بخس لأداء بقية المطلوب عليهم . ووقفت الحكومة

جامدة أمام المأساة ، واستغل المرابون حاجة الناس فخربوا بيوتهم بالديون وفوائدها الباهظة »[1] .

« وتحرر البنك الأهلى من دفع المقابل الذهبى المقرر لما يصدره من عملة ، فشجعه ذلك على إصدار عملة ، لا يقابلها الغطاء الذهبى المقرر ، بل سمح على هذا للبنك بأن يرسل إلى لندن معظم رصيده من الذهب وترتب عليه وعلى غيره من الأسباب أرتفاع مروع فى أسعار الحاجيات ، جعل الناس عاجزين عن شراء حاجياتهم الضرورية للمعيشة . ويصف تقرير اللورد ميلز عن أسباب ثورة ١٩١٩ م (١٣١٩ هـ) ذلك فيقول « إن أسعار الأشياء ارتفعت فى مصر ارتفاعا متواليا لم يسبق له مثيل ، ولا سيما أسعار الحاجيات كالحبوب والأقمشة والوقود ، فثقلت وطأتها على الفقراء ، ولا سيما أن أجورهم لم تكن لتكفى النفقات التى يقتضيها غلاء المعيشة ، فى حين أنهم كانوا يرون عددا من مواطنيهم ومن الأجانب غير المحبوبين عندهم يجمعون الثروات الكبيرة » .

نموذج للمظالم التى عاناها الجزائريون والتونسيون فى ظل الاحتلال الفرنسى :

« وما وقع من فرنسا فى الجزائر لا يقل بشاعة ، ويصف لنا توفيق المدنى فى كتابه تاريخ الجزائر الذى نشر عام ١٩٣١ م حال الجزائر تحت الحكم الفرنسى بعد مائة عام من الاحتلال فيقدم لنا صورة بشعة لجريمة فرنسا فى ذلك القطر العربى المسلم تبين لنا مدى نجاح السياسة الفرنسية فى استعباد هذا الشعب البطل . فنسبة الأمية فى العرب الجزائريين بلغت ٩٥٪ ، وعدد الطلاب بالمدارس الحكومية ضئيل ، وهدف التعليم الرسمى لأبناء الجزائريين هو تنشئة أجيال متفرنسة لا تعرف الإسلام ولا تؤمن بربها . والحالة الصحية سيئة للغاية ، والأمراض

---

(١) وقد سبق ذلك المؤامرة التى استهدفت سحب العملة الذهبية والفضية من أيدى الناس ، وقد تحقق لأعداء الانسانية ذلك . لقد حرم الاحتلال على الشعوب عدم التعامل بالعملة الذهبية وأجبرهم على التعامل بالعملة الورقية التى كان سعرها يفوق سعر العملة الذهبية وكانت النتيجة ، أن الأمم والشعوب بيدها قطع من الورق ، تفقد قيمتها كل يوم ، بل ولا تصلح أحيانا للتعامل على المستوى الدولى ، وبهذا فقدت الأمم والشعوب البقية الباقية من استقلالها .

الخبيثة تفتك فيهم فتكا ذريعا ونصف المتقدمين للجندية لا يقبلون بها لعدم لياقتهم الصحية . والفرنسيون يتدفقون على الجزائر وينتزعون من الأهالى أراضيهم بمساعدة السلطات الفرنسية الحاكمة بأبخس الأثمان حتى بلغ ما يملكونه حوالى ستة مليون فدان من أجود وأخصب أراضى الجزائر وكروم العنب تكاد تكون حكرا على المغتصبين الذى يملكون أغلب مزارعها ، ويستخرجون منها سنويا ما معدله مليون لتر من الخمور[١] الغالية الثمن . والمستعمرون يملكون نحو نصف كروم الزيتون . واستخراج المعادن حكر كذلك للمحتل وحق تصديرها حكر عليهم »[٢] .

« وأنشأ الفرنسيون المحتلون الشركات الضخمة والمصانع الكبيرة ، واحتكروا الصناعة والتجارة وما يصدر من الجزائر من خمور وحبوب ومجففات وحمضيات وتبغ وجلود وغيرها . يحصلون أيضا على كل ما ينتجه الجزائريون بأثمان بخسة ويصدرونه هم بأغلى الأسعار » .

« والإدارة الحكومية إدارة فرنسية تحت إمرة الحاكم العام الفرنسى والوظائف المهمة محرم على المسلمين توليها . وقد أصبح أغلب سكان القرى والبرارى عمالاً زراعيين عند المغتصبين حالتهم تشبه حالة عبيد الأرض فى القرون الوسطى ، لا يملكون حريتهم ولا يكادون يحصلون على ما يسد رمقهم أو يستر أجسادهم » .

« وجندت فرنسا ألوفا من الجزائريين وأدمجتهم فى الجيش الفرنسى[٣] ، فنسى الكثيرون منهم لغتهم وأصبح لا هو فرنسى ولا هو عربى ، ولا هو مسيحى ولا هو مسلم . كما أغرت الجزائريين بالتجنس بالجنسية الفرنسية حتى يتمتعوا

---

(١) إن شعب الجزائر شعب مسلم ، ولم يكن بحاجة إلى تصنيع الخمر ، إنما هى سياسة الاحتلال فى بلاد الإسلام زراعة محاصيل نقدية معينة ، لربطه بعجلة الاحتلال الغربى ، ولإفساد أهله .

(٢) ولا زال الكثير من الأراضى الزراعية المنتجة فى يد الأجنبى فى كثير من بلاد المسلمين .

(٣) والهدف من وراء ذلك توفير دماء أبناء فرنسا ، والتخطيط لإراقة دماء أبناء المسلمين بيد بعضهم البعض . ففى أثناء الحرب العالمية ، كان المسلم السنغالى والهندى يقاتل المسلم التركى على أرض الشام ، وذلك بتوجيه من القيادة الفرنسية والإنجليزية .

بالحقوق الفرنسية وتبع ذلك أن أصبح هؤلاء التبعاء يخضعون للقانون المدنى الفرنسى فانسلخوا عن دينهم فى الأمور الشخصية المدنية كالزواج والطلاق والميراث وهكذا انفصلوا عن تقاليدهم وإسلامهم وعروبتهم » .

« وضرب الاستعمار ستارا حديديا حول الجزائر ليمنع أى اتصال بينها وبين شقيقاتها العربيات المسلمات ، سواء فى المغرب أو المشرق العربى وظلت الجزائر بعزلة[1] عن أحداث العالم العربى الإسلامى . بل إن الأمر قد وصل أيضا إلى فريضة الحج ، حيث تشددت السلطات الفرنسية فى السماح به بكل شدة، وجعلت الحج مقيدا بكثير من القيود والشروط[2] ، ولم تسمح به فى أغلب الأحيان إلا للموالين لها ، وتحت إشراف موظفين تثق بهم » .

« على أن الشعب الجزائرى أدرك تماما ما يحاك له من قبل المستعمرين ، وقاوم تلك السياسة الباغية مقاومة باسلة . ومن أعظم أحداث الكفاح الحركة الجهادية التى قامت بقيادة الأمير عبد القادر الحسينى سنة ١٨٣٢ م والتى استمرت خمس عشرة سنة ، تكبدت فيها فرنسا أعظم الخسائر واستطاع الأمير أن يقيم خلالها دولة إسلامية فى منطقة تلمسان ، وأرغم فرنسا على مهادنته » .

« على أن فرنسا هادنته مؤقتا ، ثم استطاعت عام ١٨٤٧ م أن تقضى على حركته مستخدمه كل أنواع العنف والإرهاب من تحريق وتدمير ، وذبح جماعى ، وهتك أعراض ، ورشوة وخديعة »[3] .

---

(١) وهكذا نجح المغتصب فى تفتيت وحدة أبناء الأمة الإسلامية حتى يسهل الإجهاز عليها جريا على خطة « فرق تسد » .

(٢) ولا زالت بعض الدول تطبق هذا المخطط الفرنسى رغم خروج المحتل الفرنسى والإنجليزى ، لأن فى أداء فريضة الحج فرصة يتدارس المسلمون أثناءها مشاكلهم ، ويتجاوزون خلافاتهم ، وتتوحد جهودهم وقلوبهم ، وهذا ما لا يريده أعداء الله .

(٣) هذا ما فعلته الدول المغتصبة التى يتبادل معها المسلمون التمثيل الدبلوماسى ويستقبلون حكامها استقبال الغزاة الفاتحين والأصدقاء المخلصين . إن الأمة لابد وأن تستيقظ وتعرف من هم أسباب نكبتها فى الماضى والحاضر ، وتُحب فى الله وتكره فى الله ولا تعطى الود والمحبة لمن يحادون الله ورسوله ، ولا تعطى الولاء إلا لمن يحب الله ورسوله .

« وما وقع لتونس كان أدهى وأمر ، إذ كان التنافس عليها شديدا بين إيطاليا وفرنسا . ولم يكن ذلك غريبا ، ففرنسا تحتل الجزائر ، وإيطاليا تطمع فى تونس لقربها وكثرة خيراتها ، فالمسافة بين صقلية وتونس لم تكن تزيد عن ٧٠ ميلا .

وحاولت كل من الدولتين التسرب بنفوذها إلى تونس ، فتدفقت رؤوس الأموال الإيطالية والفرنسية على تونس ، وكثر عدد الخبراء منهما بصورة جعلت تونس مجالا لنشاط أوربى كبير أودى باقتصادها ، وأوقع بها فى يد دائنيها ، وأدى هذا إلى فرض مزيد من الضرائب على الشعب الذى لم يحتمل كل تلك الأعباء ، فقام بثورة عام ١٨٦٤ م ١٢٦٤ هـ ، واضطر باى تونس إلى قبول لجنة مالية دولية لتوحيد الديون ، ورهن إيراد الجمارك لوفائها » .

« وإزاء منافسة إيطاليا اضطرت فرنسا للكشف عن نياتها علانية ، فاستغلت أحد حوادث الحدود ودخلت بجيوشها من الجزائر ، وحاصرت قصر الباى يوم (١٢٨١ هـ) ١٢ مارس ١٨٨١ م وأرغمته على توقيع معاهدة معها ، أخذت فرنسا بمقتضاها حق احتلال الأماكن الهامة فى تونس ، وحق تمثيل الباى لدى الدول الأجنبية ، كما حظرت على الباى عقد أى معاهدات أو عقود ذات صبغة عامة مع أية دولة إلا بموافقة فرنسا وعلمها » .

« وهكذا فقدت تونس سيادتها ، واضطر الباى بعد ذلك إلى التنازل عن بقية سلطاته للمقيم الفرنسى ، ولم يعد للباى ولا لوزرائه بعد ذلك سوى اللقب والمرتب » .

« ووضعت فرنسا بجانب كل وزير تونسى مديرا فرنسيا بيده كل السلطة . كما ملأت دوائر الحكومة بالموظفين الفرنسيين ، وغدا أصحاب البلاد لا يعينون إلا فى الوظائف الصغرى .

وحاول الفرنسيون كبت الحريات العامة بسلسلة من المراسيم واللوائح . فقيدوا حرية الصحافة والاجتماعات ، كما قيدوا حرية تنقل التونسيين داخل

بلادهم[1] ، وأهملوا شأن التعليم ، وعملوا على نشر الثقافة الفرنسية بكل الطرق ، وعزل تونس عن العالم العربى وأحداثه »[1] .

حادى عشر : الإسلام هو المستهدف:

الاحتلال الأوروبى يقسم أفريقية إلى دويلات ويزرع أقليات غير إسلامية فى كل منها .

تسليم السلطة إلى الأقليات غير الإسلامية ، وإعطائها الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية لتحل محل جنود الاحتلال فى امتصاص ثروات أفريقية .

حكومات الأقليات تبذل كل ما فى وسعها للقضاء على الوجود الإسلامى فى أفريقية .

نماذج لأحداث وقعت فى :

ـ الحبشة (أثيوبيا) .

ـ وإريتريا

ـ ونيجيريا

ـ والسنغال

ـ وتشاد

ـ وزنجبار

تؤكد حرص أوربا الصليبية اليهودية وأعوانها من أبناء أفريقيا على استئصال شأفة الإسلام .

هذه النماذج مأخوذة نصا عن كتاب « الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام » **تأليف عبد الله التل (المكتب الإسلامى ، دمشق ، ط ١ ، طفحة ١٧١ ـ ١٩٧)[2] .**

---

(١) ولا زال هذا النظام الذى سنه الغاصب الأجنبى ، مطبقا فى كثير من بلاد العالم العربى والإسلامى .

(٢) هنالك حرص شديد على حذف هذه المعلومات من كتب التاريخ التى تدرس فى المدارس والجامعات ، حتى لا تنتبه أمة الإسلام إلى الأخطاء التى تحدق بها ، ومن هنا رأينا إعادة عرضها لتنبيه الأمة إلى المؤامرة العالمية على دينها وأرضها وأعراضها .

محنة الإسلام

أولا : فى الحبشة « أثيوبيا » وأريتريا الشهيدة

« رأس الأفعى اليهودية فى الحبشة ليس مستترا ، بل إنه مكشوف يعمل منذ زمن طويل على محو الإسلام وهدم معاقله التى بناها فى الحبشة ومن حولها خلال ألف سنة مضت . ورأس الأفعى فى هذه المرة كان الإمبراطور هيلاسلاسى نفسه الذى يعتز بنسبه اليهودى ، ويفخر أن من بين ألقابه – أسد يهوذا وسبط يهوذا – وقد دأب هذا الطاغية منذ أن تسلم السلطة واعتلى العرش فى ٢ نوفمبر ١٩٣٠ م[١] ، على تنفيذ خطة جهنمية لإبادة المسلمين وابتلاع ديارهم ، والقضاء على الإسلام فى الحبشة وما حولها من معاقل إسلامية . ويدعى هيلاسلاسى أن الإسلام دخيل على الحبشة ، وأنه لابد من القضاء عليه ، لتظل الحبشة قاعدة النصرانية الوحيدة فى أفريقية . ومع أن المسلمين كانوا يشكلون ٦٠٪ من مجموع السكان ، إلا أن هيلاسلاسى بما عرف عنه من صفاقة ووحشية وحقد ، يعلن دائما وأبدا تنكره للوجود الإسلامى فى الحبشة ، ولا يخفى نواياه وعزمه على القضاء على الإسلام والمسلمين فى الحبشة . وصحيح أن الإسلام قد واجه المتاعب الكثيرة فى الحبشة طوال خمسة قرون أو تزيد ، وصحيح أنه واجه الأهوال والمذابح على أيدى أجداد هيلاسلاسى وحلفائهم من البرتغاليين والفرنسيين والإنجليز والطليان ، إلا أن ما واجههفى عهد هيلاسلاسى يفوق فى بشاعته كل الذى ذاقه على مر القرون الماضية . وتتلخص خطة هيلاسلاسى لإبادة المسلمين والقضاء على الإسلام فيما يلى :

---

(١) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ، تأليف عبدالله التل وهو يعتمد على كتاب : الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث ، تأليف الدكتور راشد الجراوى ، النهضة ، ١٩٦١ م ، ص ٦٤ .

١ – مصادرة أملاك المسلمين وأموالهم بقصد إفقارهم .
٢ – حرمانهم من التعليم .
٣ – حرمانهم من تعليم القرآن واللغة العربية ودراسة الدين وبناء المساجد .
٤ – هدم ما تبقى من المساجد وإقامة الكنائس على أنقاضها .
٥ – تنصير أبناء المسلمين بالقوة .
٦ – الفتك بالمسلمين وقتلهم فى مجازر جماعية بحجة العصيان ضد الدولة .
٧ – حرمانهم من وظائف الدولة ، بدليل أن المسلمين وعددهم أكثر من عشرة ملايين بنسبة ٦٠٪ من مجموع السكان ، لا يوجد منهم وزير أو حاكم أو ضابط فى الجيش أو موظف كبير .
٨ – تدمير قراهم وتشريدهم فى الجبال لتفتك الأمراض والمجاعة والوحوش بهم .
٩ – حرمانهم من الاتصال بالمسلمين فى العالم العربى الإسلامى . ومنع المسلمين من خارج الحبشة من الاتصال بإخوانهم البؤساء تحت حكم النجاشى .
١٠ – ابتلاع معاقل الإسلام المحيطة بالحبشة لسد الطريق أمام أية عملية لإنقاذ مسلمى الحبشة ، وبالتالى استئصال شأفة الإسلام نهائيا من تلك الديار »[١] .
١١ – « نشر الهيئات التبشيرية فى جميع المناطق الإسلامية وفرض تقديم العون المالى لها على المسلمين وإرغامهم على حمايتها وإقطاعها المساحات الكبيرة من الأرض الزراعية .
١٢ – جعل المسلمين عبيدا والأحباش الأمهريين المسيحيين سادة ، ومعاملتهم بالأسلوب الذى يعامل به اليهود غيرهم من شعوب الأرض .

---

(١) وقد يتساءل القارىء ، ما فائدة هذا السرد لأحداث تاريخية ذهب أصحابها ؛ وردّنا ، حقيقة قد ذهب أصحابها ولكن جاء بعدهم خلوف لا زالوا مستمرين فى تنفيذ نفس المخطط الذى يستهدف الأمة المسلمة ودينها وكيانها . والمتتبع لأخبار العالم الإسلامى فى السنوات الثلاثين الماضية تتأكد له ذلك . وذلك يعنى أن المسلمين لابد وأن يستيقظوا ويدركوا أنهم مستهدفون .

١٣ - فرض الضرائب الباهظة التى تثقل كواهل المسلمين وتؤدى إلى إفقارهم .

١٤ - السماح للكنيسة بالتسلط على المسلمين ، ومصادرة أموالهم وأملاكهم لصالحها ، وتعريض المسلمين لبطش الكنيسة وقسوتها المستمدة من قسوة التوراة والتلمود .

أشهر المذابح التى نفذها هيلاسلاسى بالمسلمين :

لا يعجب القارىء حين يعلم بأن سقوط هيلاسلاسى على يد الطليان سنة ١٣٣٥ هـ تقريبا (١٩٣٥ م) كان نعمة على المسلمين . ذلك لأن حكم الاستعمار الطليانى أرحم من حكم الطاغية هيلاسلاسى . ويكفى أن نعلم بأن سبعة آلاف سجين قد أطلق سراحهم من سجن هرر وحده ، ظل بعضهم مقيد الرجلين واليدين على شكل قوس لمدة تزيد على عشرين عاما ، فلما أفرج عنهم لم يعودوا إلى حالتهم الطبيعية إذ تشكل عمودهم الفقرى بذلك الشكل المقوس . وشعر المسلمون بآدميتهم بعد زوال كابوس الطاغية هيلاسلاسى . وأعاد الطليان أرض المسلمين المنهوبة وحريتهم المسلوبة ، وساوى الحاكم الإيطالى بين الرعايا المسلمين والمسيحيين لأول مرة منذ خمسة وأربعين عاما . ونشطت حركة التجارة فى المناطق الإسلامية ، وفتحت المدارس ، وصدرت الصحف ، وتوافد المدرسون على الحبشة لتعليم أبناء المسلمين . بيد أن انتعاش المسلمين هذا لم يطل أمره ، إذ سرعان ما تبدد الحلم ، وعاد الظلم والبطش والجور والإرهاب ، بعودة هيلاسلاسى فى شهر مايو ١٩٤١ م ، مستندا إلى الحراب الإنجليزية . وما أن استقر به المقام حتى شرع ينتقم من المسلمين ناسبا إليهم التعاون مع الطليان .... فقد سولت له نفسه المجرمة أن المسلمين المستعبدين ما كان لهم أن يتقبلوا الحرية التى نالوها فى عهد الطليان . وما كان لهم أن يغادروا السجون ويحطموا القيود الحديدية فى غيبة الطاغية .. وعاد مع هيلاسلاسى نفوذ الأمهريين الطغاة ونفوذ الكنيسة الظالمة المتعصبة . وتسلم الأحباش المسيحيون السلطة من الإمبراطور دون أن يكون للمسلمين أى مكان فى الحكم الباغى . وفى أثناء وجود القوات البريطانية فى الحبشة تولى الإنجليز عمليات الفتك بالمسلمين الذين

رفعوا رؤوسهم مطالبين بالحرية التى نالوها زمن الاحتلال الإيطالى . ووضعت الحراب الإنجليزية نفسها فى خدمة هيلاسلاسى ليبطش بالمسلمين ويستأنف حوادث الإجرام الدامية التى لا مثيل لها فى التاريخ . وبعد أن اشتد ساعده وأعاد تنظيم جيشه انزاحت القوات البريطانية[1] عن الساحة ، وتركت له حرية السلب والنهب وإحراق القرى المسلمة وتنصير الأطفال والطلاب ، ومحاربة القرآن ولغة القرآن ومنذ أن تسلم هيلاسلاسى السلطة أوقع بالمسلمين المذابح التالية » .

(١) « مذبحة مقاطعة القرافى » :

« استأنف هيلاسلاسى خطته لتنصير المسلمين[2] فأوعز لهيئات تبشيرية سويدية أن تستقر فى مقاطعة القرافى الإسلامية الخالصة . وحين هب الشيخ عبدالسلام مطالبا بمنع هيئات التبشير من دخول المقاطعة ، زج به فى السجن بتهمة تدبير الاعتداء على المبشرين . وحين تجمع المسلمون أمام منزل الحاكم الأمهرى ، أمر جنوده بإطلاق النار على المسلمين العزل . وفى لحظات سقط ٧٨ رجلا بين قتيل وجريح ، وسجن الشيخ عبدالسلام وصادر الإمبراطور الطاغية ٢٥ ألف هكتار من أخصب الأراضى الزراعية وسلمها لهيئات التبشير السويدية » .

(٢) « مذبحة قبائل رايا » :

« باغتت قوات هيلاسلاسى تعاونها الطائرات البريطانية قبائل رايا الإسلامية ، بحجة التعاون مع الطليان . وفى شهر أكتوبر ١٩٤٢ م تمت المذبحة التى ذهب ضحيتها المسلمون الآمنون فى قرى قبائل رايا . وحصدت القوات الباسلة .... الشيوخ والنساء والأطفال . وحين دخلت القوات الحبشية القرى المدمرة ، أكملت عملية الإبادة وحرق المساكن والمساجد وتشريد البقية الباقية من المسلمين الأحياء ، ثم صودرت الأراضى الزراعية وأملاك الأوقاف فى منطقة رايا الإسلامية » .

---

(١) وهكذا يتضح للقارىء أن القوات الأجنبية ما كانت لترحل لولا أنها اطمأنت أن زمام الأمر بيد واحد من عملائها .

(٢) وخطة تنصير المسلمين مستمرة وهذا ما يشهد به واقع بلاد العالم الإسلامى .

(٣) « **مذبحة سلطنة أوسا** » :

« وفى سنة ١٩٤٤ م ، زحفت قوات هيلاسلاسى على سلطنة أوسا الآمنة . وفتحت القوات المجرمة نار مدافعها ورشاشاتها على القرى الآمنة ، وحاصرت مقر السلطان المريض ، وحين قاومت زوجة السلطان ، وحاولت منع الجنود من اقتحام المنزل أطلق عليها الضابط الحبشى نار مسدسه فخرت صريعة شهيدة . عندها استطاع الجنود نقل السلطان محمد يابو إلى سجن أديس أبابا ، حيث لقى مصرعه دون أن يصدر أى تفسير رسمى عن ذلك . وبعد انتصار الحبشان على السلطان المريض انتشروا فى الشوارع والقرى الصغيرة يفتكون بالأطفال والنساء والشيوخ[1] الذين عجزوا عن الهرب إلى الجبال . ونهبت قوات هيلاسلاسى أموال المسلمين وسلطانهم ، كما نهبت المواشى من الأبقار والإبل والأغنام . واعتدى الجنود الأوغاد على أعراض المسلمات وقتلوا الفتيات بعد هتك أعراضهن » .

(٤) « **مذبحة كمباشا** » :

« وجد جندى أمهرى مقتولا فى قرية صغيرة من قرى كمباشا . فأرسلت حكومة الإمبراطور أسد يهوذا ، كتيبة بكامل سلاحها ، فتكت بالقرية الآمنة ، وقتلت ثمانين شخصا بين طفل وشيخ وامرأة . كما أحرقت الأكواخ ونهبت المواشى ، وزجت بالمئات فى السجون ، قبل أن يجرى أى تحقيق لمعرفة القاتل . وبعد سنتين من تاريخ هذه المذبحة ظهر القاتل الحقيقى ، وكان زميلا للقتيل أمهريا مسيحيا مثله » .

(٥) « **مذبحة قرية جرسم** » :

« وفى سنة ١٩٤٧ م ثار الشيخ عبد القادر آدم ضد الضرائب الفادحة التى فرضت على جرسم إحدى مقاطعات هرر المسلمة ، وضد الأوامر الظالمة الباغية التى تجبر المسلمات على إعداد الخبز لمئات العساكر الأوباش ، الذين

---

(١) وهكذا فعل الصليبيون بالمسلمين فى لبنان ، ولم تشفع لهم عروبتهم أو وطنيتهم .

لا يتورعون عن الاعتداء على السيدات المسلمات البائسات . وحين لجأ الشبان المسلمون إلى الغابات لمقاومة القوات الحبشية ، جمعت الحكومة الباغية الشيوخ والنساء والأطفال فى أكواخ ، كل عشرين منهم فى كوخ مبنى من الأعشاب والقصب ، وسكبت عليهم صفائح البنزين وأشعلت النار ، فمات أكثر من خمسمائة برىء حرقا على طريقة ذى نواس وأصحاب الأخدود ، مع فارق كبير بين ظلم ذى نواس قبل ألفى سنة وظلم هيلاسلاسى فى القرن العشرين . فقد أحرق ذو نواس اليهودى من لم يرض باعتناق دين اليهود ، وفى حين أن هيلاسلاسى قد حرق النساء والشيوخ والأطفال دون أن يعرض عليهم أى شىء ودون أية محاكمة أو تحقيق »[1] .

(٦) « مذبحة هرر » :

« حاول شعب هرر المسلم أن يرفع صوته مطالبا برفع المظالم ومساواته بالمسيحيين ، فجن جنون هيلاسلاسى ، وعد مطالبة المسلمين بالإنصاف والمساواة وقاحة وتطاولا على سلطاته الإلهية.... فجرد فى سنة ١٩٤٧م حملات من قواته المتوحشة ، واستباح مدينة هرر ثلاثة[2] أيام متوالية ، مارس خلالها الجنود أبشع أنواع الفتك والوحشية والنهب والسلب ، وصودرت المتاجر والمدارس والمزارع وأملاك الأوقاف . ووضع الآلاف فى المعتقلات والسجون . وضمت أموال المسلمين إلى الكنائس ونفى الأعيان إلى المناطق النائية واستمرت أعمال البطش والإرهاب سبعة أشهر كاملة ، قتل فيها من قتل ، وهلك من هلك بسبب الجوع والبرد والمرض . ومدينة هرر هذه مركز مقاطعة إسلامية كانت مستقلة طوال خمسة قرون ، وشعبها يختلف عن الحبشان فى جنسه ودينه ولغته وعاداته وتقاليده ، ومع ذلك يصر هيلاسلاسى على دمجها بالحبشة والقضاء على مقومات شعبها ».

---

(١) وهكذا فعلت قوات الغزو الروسى فى تركستان وغيرها ، وهكذا يفعل البلغار بالمسلمين ، وهكذا يفعل اليوغسلاف بالمسلمين . إن الدم الإسلامى هو أرخص دم على هذه الأرض .

(٢) وهكذا فعل اليهود وأعوانهم من المارون بأهل « صبرا وشاتيلا » وهكذا فعل النصيريون بحماة .

(٧) « مأساة (داوى) قبلة العلوم الإسلامية بالحبشة » :

« رأى هيلاسلاسى فى هذه المنطقة الإسلامية شرارة قد تنطلق منها نهضة إسلامية حديثة . فقرر أن يطفىء هذه الشرارة قبل أن تتحول إلى لهب يلفح عرشه . ولم يعدم الإمبراطور الظالم الوسيلة للوصول إلى غاياته الإجرامية ، فأوعز إلى بعض النصارى أن يتحرشوا بالمسلمين . وقتل ثلاثة من الشبان المسلمين غدرا وظلما . فهب المسلمون يدافعون عن أرواحهم وأعراضهم . وكانت فرصة انتهزها هيلاسلاسى ، فأرسل جيشه إلى هذه المقاطعة الإسلامية ليوقع فيها المذابح والمخازى وأمعن جيش هيلاسلاسى فى وحشيته وظلمه ، فقتل مئات الأطفال والنساء ، واعتقل العلماء وعذبهم بعد أن جردهم من ألبستهم ، ومارس الجنود الأعمال المنكرة مع الفتيات والفتيان على السواء ، وأمام ذويهم إمعانا فى الإذلال والوحشية[1] . واستمرت عمليات البطش والقتل أربعة أيام لجأ الناس بعدها إلى الحاج على الذى يقدره الإمبراطور ويسمع نصيحته . وحين ذهب ذلك الشيخ إلى هيلاسلاسى طلب منه أن يجمع الشبان المسلمين الهاربين فى الغابات والجبال ، وتعهد الإمبراطور بالعفو عنهم ، ورفع المظالم عن المنطقة المسلمة . ولبى المسلمون نداء الشيخ اعتمادا على العهد الإمبراطورى ، وجمعوا الشبان المحاربين وسلموهم مع أسلحتهم إلى هيلاسلاسى الذى خان عهده ، وغدر وشنق الأسرى الذين أمنهم على أرواحهم . إنه يهودى أصيل ، يسير على درب أجداده اليهود الذين كانوا يقتلون الأسرى ، ويفتكون بالعزل الآمنين من الشيوخ والنساء والأطفال » .

« أريتريا الشهيدة » :

« تقع أريتريا فى الجزء الجنوبى الشرقى من أفريقية ، على الشاطىء الغربى من البحر الأحمر ، وتتصل بحدودها مع كل من السودان والحبشة والصومال الفرنسى . ومساحتها ٤٥ ألف ميل مربع ، وعدد سكانها حوالى ثلاثة ملايين

---

(١) وهكذا فعل الروس بالمسلمين فى بخارى وسمرقند وطشقند وغيرها من بلاد الإسلام (انظر الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ، تأليف محمد الغزالى) .

٧٠٪ منهم يعتنقون الديانة الإسلامية ، والباقى يدينون بالمسيحية . ويشير تاريخها الحديث إلى أنها ظلت تابعة للدولة العثمانية من عام ١٥٥٧ م إلى عام ١٨٦٤ م حيث انتقلت إلى سلطة الدولة الخديوية فى مصر . وبعد مصر احتلتها إيطاليا بعد حروب دامية عنيفة وذلك فى عام ١٨٨٩م . وظلت تحت الحكم الإيطالى إلى سنة ١٩٤١ م ، فبعد هزيمة الطليان فى الحرب العالمية الثانية استولى الإنجليز على أريتريا ، وشرعوا فى التآمر على البلاد لحساب الحبشة التى يحكمها خادمهم . وتواطأ الإنجليز المحتلون مع هيلاسلاسى لتنظيم عملية ابتلاع أريتريا المسلمة . فسهلوا له تأسيس حزب مسيحى ينادى بضم أريتريا إلى الحبشة ، وحزب إرهابى على غرار الأحزاب اليهودية الإرهابية التى تغاضى الإنجليز عن تشكيلها فى فلسطين . وسمحت سلطات الاحتلال البريطانى فى أريتريا لمجرمى الحبشة أن يعيثوا فى البلاد فسادا وإرهابا تدعمهم الحراب الإنجليزية والأموال التى يغدقها الامريكان على هيلاسلاسى ركيزة اليهودية العالمية فى أفريقية . وتعاون الإنجليز فى التحضير لعملية تسليم أريتريا للحبشة ، مع الأمريكان والفرنسيين والدول الغربية الاخرى التى تضمها الأمم المتحدة[1] . وخلافا لإرادة شعب أريتريا بأكثريته المسلمة ، عرض الإنجليز مشكلة أريتريا على الأمم المتحدة ، بدعوى الصعوبة التى تواجههم فى حلها ومنحها الاستقلال . وفى أروقة الأمم المتحدة المسيرة بإرادة اليهودية العالمية ، طبخ قرار يقضى بإنشاء حكومة أريترية تتمتع بسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية فى الشئون الداخلية ، متحدة مع أثيوبيا فيدراليا فى الشئون الخارجية والدفاع . كان صدور القرار فى ديسمبر ١٩٥٠م ، وما إن حل شهر سبتمبر ١٩٥٢ م حتى فوجىء الشعب الأريترى بالجيش الحبشى يحتل المعسكرات التى كان يحتلها الجيش البريطانى . ولم تمض بضع أسابيع حتى تحولت أريترية إلى مديرية أثيوبية يحكمها ممثل الإمبراطور بواسطة جيشه

---

(١) وهكذا يتضح للقارىء أن اغتصاب أرض الإسلام ، والقضاء على المسلمين مؤامرة دولية يشترك فيها المنظمات الدولية ما تسمى « الأمم المتحدة » ، والهدف من ذلك واضح ، وهو إضفاء صفة القانونية والدستورية على هذه الجريمة . وهذا غاية الإذلال للدول العربية والإسلامية التى صوّتت لصالح الحبشة ووافقت على اغتصاب أريتريا المسلمة وضمّها إلى الحبشة .

حكما قاسيا ظالما غاشما باسم قرار الأمم المتحدة »[1] .

« ولم ينسحب الإنجليز من أريتريا إلا بعد أن اطمأنوا إلى أنها غدت مقاطعة حبشية تحكم بأبشع نظام حكم على وجه الكرة الأرضية . والإنجليز يعرفون بأن حكم هيلاسلاسى رجعى ظالم رهيب لا مثيل له فى التاريخ ، ومع ذلك فقد تآمروا على تسليم البلاد لحكم هيلاسلاسى وهدفهم القضاء على شعب مسلم ، وإلغاء كل كيان مسلم لبلاد إسلامية تمتد شواطؤها مسافة ألف كيلو متر على شاطىء البحر الأحمر ، والدنيا بأسرها تعلم أن الشعب الحبشى نفسه يعيش فى ظلام القرون الأولى ، ويتصرف الإمبراطور فى شؤونه تصرف السيد بالعبد ، وتعاونه الكنيسة الحبشية الجاهلة الظالمة الحاقدة ، فكيف يصح أن ترضى الأمم الحرة بالقضاء على الشعب الأريترى المسلم ، وإجباره على العيش فى ظل نظام هيلاسلاسى الجائر الظالم .....؟؟ إنَّها الصليبية الغربية الحاقدة التى تأتمر بأمر اليهود فى كل مكان ، والتى تحارب الإسلام والمسلمين حيثما وجدوا . وما إن تسلم هيلاسلاسى حكم أريتريا ، حتى أخذ يقضى على مقومات الحرية والاستقلال لشعب أريتريا ، تمهيدا لضم البلاد نهائيا إلى حكمه. وفى سبيل تحقيق أهدافه الشريرة أقدم على ما يلى :

١ – استولى بالتواطؤ مع الإنجليز ، على الممتلكات الإيطالية السابقة فى أريتريا مع أنها من حق الشعب الأريترى ، كما استولى على جميع المرافق الحيوية فى أريتريا كالجمارك والسكك الحديدية والبرق والبريد .

٢ – فرض تطبيق القوانين الإقطاعية التى يستخدمها ضد شعبه فى أثيوبيا ، وبموجبها أنشأت الحكومة الأثيوبية محاكم غير دستورية فى أريتريا سمتها المحاكم الفيدرالية ومارست من خلالها عملية إرهاب الشعب الأريترى وملأت السجون بالأحرار .

٣ – حلت حكومة هيلاسلاسى الأحزاب الدستورية الأريترية باستثناء الحزب الموالى لها والمؤلف من بعض الرهبان والعمد البسطاء ، كما حلت نقابات

---

(١) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ، وهو يعتمد على : أثيوبيا ، تأليف د . زاهر رياض وعبدالعليم منسى ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، ص ٣٣ .

العمال . ولم ينفع احتجاج الشعب وتظلمه وشكواه إلى الأمم المتحدة . وكان جواب الشكوى للإمبراطور زيادة فى الإرهاب والتنكيل .

٤ - عطلت صدور جريدة صوت أريتريا لسان حال الحركة الاستقلالية وسجنت محرريها .

٥ - فرضت حكومة الإمبراطور إجراء الانتخابات البرلمانية بموجب قوانين إنجليزية انتهى مفعولها . وبذلك وضعت الإشراف على الانتخابات فى مسئولية ممثلها رئيس اللجنة التنفيذية المعين من قبلها . ولم ينفع قرار المحكمة الأريترية العليا القاضى بأن تشرف لجنة تؤلفها المحكمة العليا على تلك الانتخابات .

٦ - وبالتالى طمست الحكومة الأثيوبية شخصية أريتريا ، وبذلك انتهكت حرمة قرار الأمم المتحدة ، وتعمدت السير فى خطوات تؤدى إلى محو الشعب الأريترى المسلم من الوجود .

٧ - حرمت تدريس اللغتين الرسميتين لأريتريا وهما : العربية والتقرينية ، ومنعت استعمالهما فى المكاتب ودواوين الحكومة . كما منعت دخول الكتب العربية والمدرسين العرب » .

« أسد يهوذا يسلم أريتريا ليهود إسرائيل » :

« قبل أن نبين كيف سلم هيلاسلاسى أريتريا المسلمة لبنى قومه من يهود إسرائيل ، لابد من الإشارة إلى التغلغل اليهودى فى الحبشة فى عهد هذا الإمبراطور[1] :

- يبلغ عدد اليهود فى الحبشة نحو خمسة وعشرين ألف نسمة ، يتألفون من بقايا القبائل اليهودية القديمة فى الحبشة ، ومن اليهود الأجانب الذين وفدوا عليها من الخارج خاصة من اليمن وعدن ، وهم التجار وأصحاب الحرف

---

(١) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام وهو يعتمد على : نشرة أخبار فلسطين المحتلة والنشاط الصهيونى ، الهيئة العربية العليا ، بيروت يوليو ١٩٦٣ م ؛ ونشرة جبهة التحرير الأريترية ، أريتريا أمام الغزو الأثيوبى السافر د . ت .

والحوانيت ، ومنهم اليهود الذين أوفدتهم إسرائيل إلى الحبشة للعمل فى مشروعات حكومة الحبشة .

- اعترفت حكومة الحبشة بإسرائيل ، وتبادلت معها التمثيل الدبلوماسى بدرجة سفارة . وتعتبر سفارة إسرائيل فى الحبشة من أكبر السفارات الأجنبية وأنشطها .
- أنشأت الوكالة اليهودية مدرسة يهودية فى أديس أبابا وسبع مدارس أخرى فى المدن الحبشية التى يعيش فيها يهود .
- أنشأ اليهود فى ١٩٦١ م وحدة طبية متنقلة ووحدة تعليمية متنقلة فى الحبشة للعمل فى المناطق التى يكثر فيها اليهود ، وخاصة فى محافظة قوندار عاصمة الحبشة القديمة .
- تنقل إسرائيل عددا من يهود الحبشة لإسرائيل حيث تلقنهم مبادىء الصهيونية الحديثة ، ثم تعيدهم إلى الحبشة ليندسوا فى المجتمع ، وينفذوا ما يعهد إليهم تنفيذه من الخطط الصهيونية السرية[١] .
- يسيطر اليهود على جزء كبير من تجارة الحبشة . وفى الحبشة عدد كبير من خبراء وموظفى شركة سوليل بونيه الإنشائية وعقدت حكومة الحبشة مع هذه الشركة عدة عقود لإنشاء الطرق والمطارات والمبانى . ومن المبانى التى أنشأتها هذه الشركة ، مبنى كلية الحقوق ومعهد الجغرافيا والخرائط ومبان سكنية بها أكثر من ٨٨ شقة ، وقرية للعميان وحمامات شعبية ، وعمارة ومطعم تابع للكنيسة .
- زاد عدد الخبراء اليهود المعارين للحبشة على ٣٧٥ شخصا . من بينهم المهندسون والعلماء والأطباء وخبراء الصناعة .
- يحتل عدد من اليهود الأحباش مراكز عالية فى دوائر الحكومة والجيش والشرطة منهم تواسا جاكوب ، الذى يعتبر زعيم الطائفة اليهودية فى الحبشة وهو يشغل منصب وزير دولة .

---

(١) ولعل القارىء يدرك الآن معنى تهريب يهود « الفلاشا » من الحبشة إلى إسرائيل عبر مطارات السودان عام (١٩٨٥ م) .

- تستخدم حكومة الحبشة عددا من يهود إسرائيل فى تدريب فرق المظليين وللعمل مستشارين للحربية الحبشية .
- يشغل الدكتور ياويدس – وهو صهيونى متطرف ومن خريجى الجامعة العبرية فى القدس المحتلة – منصب عميد لأكبر كليات جامعة أديس أبابا . كما يشغل منصب مدير الكلية التكنيكية والهندسة فى أديس أبابا صهيونى آخر استقدم من حيفا .
- تحتكر شركة بون فيكياتو الإسرائيلية تجارة توريد الأدوية وتوزيعها فى أنحاء الحبشة .
- لليهود مشروعات زراعية واسعة النطاق فى هرر حيث أقطعتهم الحكومة الحبشية مساحات شاسعة فى كل من عروسى وبوران وددر . وهذه المناطق الثلاث تعد من أغنى المناطق الزراعية والثروة الحيوانية فى ولاية هرر .
- اتفقت إسرائيل مع أثيوبيا على تمويل مشروعات زراعية كبيرة ، وإقامة منشآت كهربائية فى منطقة أوسا (بلاد الدناكل) حيث نهر (القاش) المنحدر من مرتفعات الحبشة . ولما كانت منطقة أوسا المذكورة تبعد عن عصب الميناء الأريترى نحو (٣٤٠) كيلو مترا فقد اتفقت إسرائيل مع فرنسا على أن تمنحها منطقة تاجورا على ساحل البحر الأحمر فى الصومال الفرنسى ، لإقامة ميناء جديد على خليج تاجورا ، ومد طريق إلى منطقة أوسا حيث تقيم إسرائيل منطقة تجارية .
- سمحت لإسرائيل بإنشاء معامل للحوم المحفوظة لتموين يهود إسرائيل .
- توفد الحبشة أبناءها لتلقى العلم فى المعاهد اليهودية بإسرائيل . وتبدى حكومة اليهود كرما وسخاء فى تقديم المنح الدراسية لكى تجتذب أكبر عدد من أبناء الحبشة وأفريقية عامة » .

« هكذا جعلت الحبشة من بلادها قاعدة لتموين إسرائيل ، وتخفيف الضائقة الاقتصادية عنها ، وسهلت لها الاتصال بدول أفريقية النامية . وفتحت لها أبواب أفريقية لتتسلل منها ، وتسيطر على الحكومات الأفريقية التى استقلت حديثا بحجة

تقديم العون الاقتصادى[1] . فهل اكتفى أسد يهوذا بكل هذا .....؟؟

إنه لم يكتف بكل ما سبق ، بل عمل على تسليم أريتريا البلد المسلم إلى يهود إسرائيل ليحولوا أرضها الغنية إلى مزرعة يهودية تقدم اللحوم والمحاصيل الزراعية لإشباع بطون يهود الجائعة فى إسرائيل . وقضى طغيان هيلاسلاسى أن يفسر الاتحاد الفدرالى مع أريتريا على هواه . فاعتبر نفسه الحاكم المطلق ، واعتبر أرض أريتريا حبشية يتصرف فيها كما يتصرف بأرض الحبشة . ففتح أبواب أريتريا للتغلغل اليهودى منذ اللحظات الأولى لتنفيذ القرار الفدرالى الذى ربط أريتريا المتطورة بالحبشة المتخلفة . والطريف فى الأمر أن الإمبراطور وقد عرف عنه الصلف والجبروت ، قد تقمص شخصية الواعظ الدبلوماسى حين زار أريتريا لأول مرة بعد قرار الأمم المتحدة المشئوم ، وخطب فى الناس مؤيدا قرار الأمم المتحدة . ومما قاله :

« إن الإنسان لا ينال حقه بإراقة دماء الآخرين ، وباستعمال العنف ، لأن هناك طرقا قانونية تضمن لكل إنسان حقوقه المشروعة . فما على الشعب إلا أن يخلد إلى الهدوء والسكينة ، وأن يبتعد عن كل ما يعكر صفو الأمن والطمأنينة فى البلاد ، ثم الاتجاه إلى مباشرة أعماله ومصالحه التى تعود على الوطن بالخير والبركة ، وعلى الأريتريين أن يتعاونوا مع الإدارة المحلية فى حفظ النظام حتى تنتهى مدة فترة الانتقال التى قررتها الأمم المتحدة فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٢ م »[2] .

وكانت هذه الموعظة فى عرف هيلاسلاسى ، أن يخلد الشعب الأريترى إلى السكينة ، وهو يرى نقض قرار الأمم المتحدة يوما بعد يوم . ويرى تسلط الحبشان على مقدرات أريتريا لنهب واردات الجمارك التى زادت فى أربع سنوات على مائة مليون دولار حبشى (الجنية الاسترلينى = ٦,٦ دولار حبشى) ، ويرى كيف يغتصب الإمبراطور أرضه ، ويسلمها للشركات الزراعية الإسرائيلية .

---

(١) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ، ص ١٨٣ ؛ الجمهورية ، القاهرة ، ١٥/٥/١٩٦٣ .
(٢) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ؛ أثيوبيا فى عصرها الذهبى ، ص ٩٣ .

وشعب أريتريا لا يثق بالإمبراطور ولا يصدقه ، لأنه سرعان ما ظهر على حقيقته اليهودية الحاقدة ، حين سلم لإسرائيل ١٣ ألف هكتار على بعد ٦٠ كيلومترا من مصوع لزراعة الخضروات ، و ٥٠ ألف هكتار فى غرب أريتريا على حدود السودان لزراعة الموز ، وألفى هكتار عند نهر ستيت لتكون مرعى للماشية التى تحتكرها إسرائيل . وقد منحت هذه الأراضى لإسرائيل بأجور رمزية لا تزيد على ٢٠ سنتيما حبشيا – أى ثلاثة قروش للهكتار الواحد – أو ١٢ مليما للفدان فى السنة وحين زار موشى دايان الحبشة عام ١٩٦٠ م بصفته وزيرا لزراعة إسرائيل ، استقبله هيلاسلاسى فى قصره ، وأقام له حفلا عائليا خاصا ، ولبى طلباته بكرم وسخاء على حساب الشعب الأريترى المسلم المغلوب على أمره . وبعد زيارة دايان للحبشة احتكرت سفن الصيد الإسرائيلى صيد الأسماك فى المياه الإقليمية الأريترية ، حتى غدا ميناء مصوع مركزا يهوديا لتموين إسرائيل ، ومثله ميناء عصب . واحتكرت شركة انكودا اليهودية زراعة القطن . وأصبحت تجارة المواشى وخاصة الأبقار كلها لحساب إسرائيل ، وهكذا كتب على شعب أريترية المسلم أن يسهم بإشباع بطون اليهود ، ويخفف عنهم الضائقة الاقتصادية ، ويحطم أسس المقاطعة العربية للدولة المغتصبة إسرائيل[١] ... » .

« فهل اكتفى هيلاسلاسى بكل هذا .... ؟؟ إنه لم يكتف ، بل عمد إلى نسف قرار الأمم المتحدة الفدرالى ، وضم أريتريا إلى الحبشة نهائيا لتصبح إحدى المديريات الحبشية واستطاع هيلاسلاسى أن ينفذ هذه الجريمة البشعة ، بالتواطؤ مع الجمعية التشريعية التى زيف انتخاباتها ، وعين أغلب أعضائها من العملاء والرهبان المتعصبين . وتمت عملية الضم فى نوفمبر ١٩٦٢ م ، ويومها أعلن هيلاسلاسى أنه « من الآن فصاعدا ، لن يكون هناك إلا أمة واحدة هى الحبشة ، ولكن يكون هناك بعد وجود للاتحاد الذى فرضته الظروف ، والذى لا يريده أحد .... »[٢] .

---

(١) جبهة التحرير الأريترية ، قضية اتحاد أريتريا والحبشة ، مقديشو الصومال ، ١٩٦٣ ، ص ٦١ . المدينة المنورة ، جدة ، ١٣٨٤/٧/١٦ هـ .

(٢) جبهة التحرير الأريترية ، مقديشو ، ١٩٦٣ م ، ص ٩ .

وهكذا استشهد ذلك المعقل الإسلامى وابتلعته الحبشة بنظامها الاستبدادى الرجعى الحقود ، الذى لا يسمح فى إبراز كيان المسلمين وهم أغلبية السكان ولا سيما بعد ضم أريتريا لملكه الظالم .

ظلم ذوى القربى :

« كنت قد هاجرت[1] إلى مصر فى الأيام التى كانت قضية أريتريا تعرض فيها على الأمم المتحدة (نهاية ١٩٤٩ م) . وحين تمت عملية التصويت على قرار الاتحاد الفدرالى مع الحبشة ، عجبت لموقف المندوبين العرب وتخاذلهم ، مما أدى إلى نجاح القرار بالأغلبية المطلوبة . وتساءلت يومها عن السر فى ضعف موقف دول الجامعة العربية . فكان الرد مذهلا يتلخص فى أن الملك فاروق طمعا فى كسب الامبراطور والكنيسة الحبشية تحت سيطرة الكنيسة القبطية المرقصية ، قد أوعز إلى مندوب مصر أن يتساهل فى الموضوع ، ولا يقف مع زملائه العرب حجر عثرة فى طريق عملية الاتحاد الفدرالى .... ولم تجد هذه المجاملة من جانب فاروق خيرا ، لأن الكنيسة الحبشية بضغط من هيلاسلاسى قد انفصلت فيما بعد عن الكنيسة القبطية . ورغم كل المجاملات التى تلقاها الامبراطور من الدول العربية فإنه قد تمادى فى طغيانه ، واستعبد شعب أريتريا المسلم ، وسخر بلاده لخدمة أعداء العروبة والإسلام . ويتم كل هذا والحكومات العربية لا تحرك ساكنا لنجدة أريتريا المسلمة . وتلعب قصة المهاجرين المسلمين الأول إلى الحبشة دورا أساسيا فى علاقة العرب والمسلمين بالحبشة فيظل العرب والمسلمون يدفعون ثمن تلك الضيافة طوال تاريخ الإسلام منذ عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا . بيد أن شعب أريتريا المنكوب فى بلاده وسبل معيشته وعاداته وتقاليده وحريته ، لم ينم على ضيم بل هب يدافع عن كيانه المستباح بما أوتى من جهد وإمكانيات متواضعة . وحاول الشعب أن يطرق أبواب الأمم المتحدة ليذكرها بقراراتها التى أهانها الامبراطور وابتلعها ، فلم يلق أذنا صاغية من الأمم المتحدة التى تستخدمها اليهودية العالمية فى تحقيق أغراضها . وكان الامبراطور يعتقل أحرار أريتريا الذين

---

(١) الكلام هنا للمؤلف عبدالله التل فى كتابه الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ، ص ١٨٥–١٨٦ .

يدعون لقضية بلادهم فى الخارج ، ويضطهدهم ويسجنهم ويوعز لعصاباته بالفتك بهم . وأخيرا أجبر الشعب على حمل السلاح ، فلجأ المجاهدون إلى الجبال بقيادة البطل حامد إدريس عواش[1] ، واندلعت الثورة فى ربوع أريتريا ، معلنة الكفاح الشعبى المسلح ضد الاحتلال الأثيوبى الذى يشبه فى كثير من أوجهه الاحتلال اليهودى لفلسطين ، ذلك الاحتلال الذى يهدف إلى إبادة الشعب العربى المسلم ، وإزالة كل أثر من آثار الإسلام . ومع اندلاع الثورة المسلحة فى سبتمبر ١٩٦١ م ، أخذ صوت جبهة التحرير الأريترية يسمع فى الخارج على لسان السيد إدريس محمد آدم ، الرئيس السابق للبرلمان الأريترى والسيد إبراهيم سلطان على وعثمان صالح سبى . وأخذت جبهة التحرير تصدر الصحف والنشرات الدورية التى تعكس أعمال المقاومة فى الداخل والخارج » .

« والتقيت[2] كثيرا بالسيدين إدريس محمد آدم ، وعثمان صالح سبى ، وعرفت منهما مدى الظلم والوحشية التى يلقاها الشعب المسلم على يد جنود هيلاسلاسى ، ومدى الإهمال الذى تلقاه الثورة من الحكومات العربية التى لم تدرك بعد فداحة النكبة والخسارة الجسيمة فى ضياع هذا المعقل الإسلامى » .

---

(١) جريدة الثورة الأرترية ، يوليو ١٩٦٢ م .
(٢) الكلام هنا على لسان المؤلف « عبدالله التل » فى كتابه الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام .

ثانيا : فى نيجيريا والسنغال وتشاد وزنجبار

(أ) نيجيـــريا :

« نفثت رأس الأفعى اليهودية سمها القاتل فى نيجيريا ذلك البلد الأفريقى المسلم ، الذى تبلغ مساحته ٣٧٣ ألف ميل مربع ، ويزيد عدد سكانه على ٥٥ مليون ، من بينهم ٤٠ مليون مسلم . وقبل عام ١٩٥٢ م لم يكن فى نيجيريا يهودى واحد . وبعد ذلك التاريخ ، وتحت وطأة المقاطعة العربية ، أخذت الطلائع اليهودية تتسرب إلى القارة السوداء ، دون دعاية أو ضجيج وشرع اليهود يشكلون شركات صغيرة مع المواطنين الأفريقيين الذين يفتقدون المال والخبرة التجارية ، وعلى هؤلاء الأفراد من اليهود نسجت السياسة اليهودية مخططها الرهيب ، مستعينة بالسياسة البريطانية الحاقدة التى تسيرها رواسب الصليبية ممثلة فى مراكز التبشير فى جميع أنحاء نيجيريا . ولم يأت عام ١٩٦٠ م حيث أعلن استقلال نيجيريا الاتحادية[1] فى أول أكتوبر ، حتى كان الخبراء الزراعيون من اليهود ومندوبو الشركات ورجال الأعمال اليهود يملأون شوارع العاصمة لاجوس ، ويكادون يسيطرون على الاقتصاد النيجيرى فى بعض المناطق » .

« واستمر تغلغل اليهود فى الاقتصاد النيجيرى تحت سمع الجالية العربية وبصرها . ولم يفطن المهاجرون العرب – وهم أسبق من اليهود إلى نيجيريا وأكثر

---

(١) تألف اتحاد نيجيريا الفيدرالى من الإقليم الشمالى ويقطنه حوالى ٣٠ مليون مسلم بزعامة البطل أحمد وبيللو ، والإقليم الشرق وأغلب سكانه ممن اعتنقوا المسيحية بزعامة الدكتور أزيكوى ، والإقليم الغربى وسكانه من المسلمين والمسيحيين والوثنيين .

عددا – إلى خطط اليهود الماكرة المستندة إلى رؤوس مفكرة تقبع فى تل أبيب وتحرك شياطين اليهود وفق مخططات مدروسة . وأنا لا ألوم الجالية العربية ، لأنها تعيش فى عزلة عن حكوماتها اللاهية العاجزة عن تجنيد العرب فى كل مكان من أجل الوقوف فى وجه المؤامرات اليهودية » .

« ولم يكتف الإنجليز بتسهيل سيطرة اليهود على اقتصاد نيجيريا ، وإنما سهلوا كذلك عملية انتخاب الدكتور أزيكوى رئيسا للجمهورية بحجة أنه المثقف الوحيد الجدير بهذا المنصب[١] . وأصبح أزيكوى المسيحى ممثل الأقلية يحكم الأكثرية المسلمة ، ويجعل من بلاده قاعدة استعمارية تستغلها اليهودية العالمية فى تحقيق أهدافها . وفى عهد أزيكوى انتشر النشاط اليهودى فى الإقليمين الغربى والشرقى . وأسسوا شركات عديدة للبناء ولاستصلاح الأراضى وتنمية مصادر المياه . واكتشفت فضائح كثيرة أبطالها مندوبو الشركات اليهودية الذين ينقلون الفساد والرشوة أينما ذهبوا وحيثما حلوا »[٢] .

« قلعة الحراسة فى المعقل الكبير » :

« لم ينعم الإنجليز واليهود بالهدوء وهم يرسمون خطط تهويد نيجيريا المعقل الإسلامى الكبير . واصطدموا بالزعيم الوطنى أحمدو بيللو زعيم إقليم الشمال ، وأقوى شخصية فى نيجيريا فقد أدرك ذلك البطل حقيقة السياسة البريطانية وتعمدها خدمة أهداف اليهودية العالمية . ولمس بنفسه الجرح الدامى الذى أحدثته تلك السياسة فى جسم العروبة والإسلام . فلم يشأ أن يغمض عينيه ويتغاضى عن تسلل اليهود إلى بلاده فرفض أن يمر زعماء اليهود من الإقليم الشمالى ، الذى يرأس حكومته ، وأبى أن يصافح الأيدى اليهودية الملطخة بدماء بنى دينه من المسلمين . رفض المعونات اليهودية المزيفة ، لقد كان يعلم أنها أموال مدنسة

---

(١) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ، ص ١٨٨ محمد إسماعيل محمد ، نيجيرية وداهومى والكمرون مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٦١ م ، ص ٧٦ .

(٢) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ، ص ١٨٨ ، أحمد صوار ، نهضة أفريقية ، مايو ١٩٦٣ م .

ومنهوبة من دماء الشعوب ، رفض التعاون مع أى يهودى يمثل أى مصلحة سياسية أو اقتصادية أو ثقافية . وأدت سياسته الحازمة إلى أن يظل الإقليم الشمالى فى نيجيريا طاهرا لا تدنسه مؤامرات اليهود وعبيدهم الإنجليز ، ولما كان الإقليم الشمالى يمثل الجزء الأكبر والأهم من نيجيريا ، فإن الإخفاق مكتوب لمشروعات اليهود ومؤامراتهم ، ما لم تتم إزاحة تلك الصخرة الجبارة التى تقف عثرة فى طريق التغلغل اليهودى . والتقت أهداف اليهود – كالعادة – بأهداف الصليبية المسيحية ومراكز التبشير التى وقفت مشدوهة عاجزة أمام نجاح أحمدو بيللو[1] فى انتقال مئات الألوف من الوثنيين إلى حظيرة الإسلام دون عناء ، أو بذل أموال أو جهود كتلك التى تبذلها مراكز التبشير المسيحى . وأدركت القوى الصليبية أن بقاء أحمدو بيللو يهدد بانتقال الغالبية العظمى من الوثنيين إلى الإسلام ، لما له من نفوذ وسلطان ومقدرة خارقة فى اجتذاب الجماهير الوثنية إلى اعتناق الدين الإسلامى البسيط السمح . وأدركت كذلك أن بقاءه يحول دون نجاح الهيئات التبشيرية التى تقرر أن تبدأ عملها فى جزء من الإقليم الشمالى الذى ما زال سكانه وثنيين ، ويسعى أحمدو بيللو وجماعته من الدعاة المسلمين إلى نشر الإسلام بين سكان ذلك القطاع الوثنى »[2] .

«وأيقن الإنجليز واليهود أن أحمدو بيللو المجاهد الصابر ، واسع الأفق ، مدرك لعوامل تخلف بنى قومه فى الإقليم الشمالى ، وآخذ بإزالتها تدريجيا وذلك بإنشاء المدارس ونشر التعليم على نطاق واسع ، بعد أن حرمه الاحتلال البريطانى على المسلمين ، وقصره على النصارى فى الجنوب طوال سنى الاحتلال ، التى كان المبشرون خلالها يقايضون المسلمين سكان الشمال على دينهم ، ويعرضون عليهم الغذاء والمأوى والتعليم مقابل ترك الإسلام واعتناق المسيحية ، وكانت معركة قذرة ثبت فيها المسلمون على دينهم رغم حرمانهم من الغذاء والكساء والتعليم . وآمن الإنجليز واليهود بأن أحمدو بيللو الذى قاد شعبه إلى النصر ، وثبت أمام مغريات الاحتلال والتبشير ، لابد منتصر أمام المغريات الجديدة التى يقدمها

---

(١) الأفعى اليهودية ، ص ١٨٩ ، الشهيد الحاج أحمدو بيللو ، مكة المكرمة ١٩٦٦ م . ص ٢١ .
(٢) الأفعى اليهودية ، ص ١٨٩ ، جريدة الهرالدف سكوتلاند الكاثوليكية ، ١٩٦٥/٢/٢٦ م .

اليهود ، وأخطر من هذا وذاك أن أحمدو بيللو يجعل من اللغة العربية لغة الإقليم الشمالى الرسمية . وهى لغة القرآن الكريم ، وانتشارها ينشر القرآن الكريم ، ويسهل على الناس فهمه . كما يسهل نشاط الطرق الصوفية التى أدت خدمات جليلة للإسلام فى تلك البقاع النائية ، من أجل هذا قررت اليهودية العالمية القضاء على أحمدو بيللو » .

استشهاد البطـــل :

« وحينما استنفد اليهود محاولات الإغراء والتهديد والتآمر لزحزحة البطل أحمدو بيللو عن موقفه تجاههم ، لجئوا إلى سلاح الاغتيال القذر . واستأجروا ضباط النصارى من الإقليم الشرقى الذى جاء منه رئيس الجمهورية نفسه ونفذوا مؤامرة بشعة ذهب ضحيتها البطل أحمدو بيللو وأسرته ، ورئيس الحكومة الفيدرالية الحاج أبو بكر تفاو باليوا ، وذلك فى يوم السبت الموافق ١٥ يناير ١٩٦٦ م (٢٤ رمضان ١٣٨٥ هـ)[١] وخلاصة المؤامرة أن اليهود اشتروا ضباط الجيش من النصارى بما فيهم قائد الجيش نفسه (إيرونس) ، ونفذوا مؤامرة دنيئة لاغتيال أقطاب المسلمين السياسيين والعسكريين . وتمت المؤامرة ونجحت الخطة الغادرة التى أطلق عليها زورا وبهتانا اسم « انقلاب » وسرعان ما انكشفت المؤامرة الجبانة بانضمام القاتل السفاك الميجر نزوجو الذى أشرف على عملية اغتيال البطل أحمدو بيللو وزوجته وحرق منزلهما ، إلى قائده الأعلى إيرونس ليقدم كشف الحساب ....[٢] وظهر واضحا جليا أنهما متفقان على الخطة ، وأن يدا مستورة قد مولتهما ، ودفعت لهما الثمن ولم تبق اليد المجرمة مستورة ، فقد أذاعت بعض عواصم دول أفريقية معلومات مؤيدة بالوثائق تؤكد أن اليهود قد صرفوا فى الأيام السابقة للمذبحة مليونى جنيه استرلينى ،

---

(١) الأفعى اليهودية ، ص ١٨٩ ، المساء ، ١٩٦٦/١/١٦ م .
والصليبية العالمية مع كل حاكم مسلم يصلى فرضه ويخاف ربه ويتقى الله فى رعيته ، تلك القوى العالمية الغاشمة لا تطيق أن ترى حاكما مسلماً يتولى رعاية أمته وحمايتها من أعدائها ، ويقف فى وجه مخططات اليهود والصليبيين .

(٢) الأفعى اليهودية ، ١٩٠ ، الأهرام ، ١٩٦٦/١/٢٠ م .

وأن الاجتماعات السرية بين مندوبي اليهود والضباط المسيحيين فى الجيش كانت تتم على حدود نيجيريا[1] . واعترف النائب البريطانى اليهودى برنارد فلور الذى كان يزور نيجيريا أثناء المذبحة . أن الهدف الرئيسى من العملية هو التخلص من أحمدو بيللو[2] . ومما زاد فى انفضاح ستر الجريمة أن رئيس الجمهورية كان يستجم فى لندن ، وحين سمع بالمجزرة لم تصدر عنه كلمة استنكار واحدة . وقد عاد إلى نيجيريا مطمئنا متظاهرا بزهد الكهان .... وهو لم يترحم على زملاء الأمس ، وإنما أظهر شماتة لا يظهرها إلا القساوسة والرهبان من أمثاله .

ولقد أصبح واضحا فى جميع أنحاء الدنيا أن المجزرة تمت لحساب اليهود وضد الإسلام الذى يرهبه اليهود والمبشرون . وأدركت صحافة العالم هذه الحقيقة ، وأبدت صحافة العرب والمسلمين جزعها على الشهيد البطل ، ونوهت بشجاعته وخدماته العظيمة للإسلام والمسلمين . وأَبَّنَتْهُ بما يليق بماضيه العظيم الناصع ، باستثناء صَحافة الأحزاب العلمانية الملحدة فى الوطن العربى ، فإنها تجاهلت النكبة ، ومرت على المجزرة بشماتة واضحة خسيسة تنضح بالحقد على البطل لأنه كان رجعيا ؟؟ ، ولم يكن تقدميا ملحدا . ومن العبارات القذرة التى سطرتها أقلام عربية حول نكبة الإسلام فى نيجيريا ما ورد فى جريدة القوميين العرب التى تصدر فى بيروت »[3] .

« .... وكان هذا الرجل عن طريق نفوذ الإقليم الشمالى الكبير فى الاتحاد الفدرالى هو الحاكم الفعلى لنيجيريا تقريبا ، وكانت مدرسته فى الحكم ، القائمة على أساس شراء السياسيين ورشوتهم وتشجيعهم على الارتشاء من جهة ، وضربهم بقسوة إذا رفضوا التعاون من جهة أخرى ، هى التى جعلت أكثر دول أفريقيا الهامة امتلاء بالفساد والعجز السياسى .... » .

« ألا إنها وقاحة اليهود أنفسهم ، يرددها عملاء اليهودية العالمية ، وينفثون

---

(١) الأفعى اليهودية ، ١٩٠ ، روزاليوسف ، ١٩٦٦/١/٣١ م .
(٢) الأفعى اليهودية ، ص ١٩١ الأهرام ، ١٩٦٦/١/١٩ م .
(٣) الأفعى اليهودية ، ص ١٩١ الحرية ، بيروت ، ١٩٦٦/١/٣١ م .

سمومها فى الصحافة الغربية لتشويه القادة والزعماء الأبطال الذين يقفون عثرة فى سبيل تحقيق المخططات اليهودية . وليعلم اليهود وعملاؤهم فى كل مكان ، أن خسارة الإسلام فى أحمدو بيللو جسيمة فعلا ، إلا أن الإسلام عملاق لن تؤثر فيه المؤامرات والفتن . ولابد أن يخرج من نيجيريا زعيم مسلم له مثل صفات الشهيد أحمدو بيللو ، يقود الشعب النيجيرى المسلم فى طريق الكفاح الرشيد المؤمن ، ويطهر ذلك المعقل الإسلامى الخطير من دنس اليهود وعبيدهم وعملائهم » .

(ب) تشاد والسنغال :

« وقد كانتا تحت الاحتلال الفرنسى ، و ٩٠٪ من شعبيهما من المسلمين ، ورغم أن الاحتلال الفرنسى لهذين البلدين ومعهما بقية شعوب غرب أفريقية المسلمة فى غينيا وداهومى ونيجر والسودان الفرنسى ، دام أكثر من سبعين عاما فإن فرنسا قد عجزت عن قهر الإسلام الراسخ فى نفوس الشعوب المؤمنة به »[(١)] .

« ورغم خطط الاستعمار الجهنمية من إغراء وتهديد ووعيد وإفقار وحرمان من التعليم والوظائف ورغم نشاط جمعيات التبشير التى بذلت ملايين الملايين من الفرنكات ، فإن الإسلام ظل الحصن المنيع الذى يحمى تلك الشعوب من الاندماج الكامل فى فرنسا . وحين بدأ الاحتلال يصفى حسابه فى أفريقية ، وغدت فرنسا وغيرها من دول الاحتلال مجبرة على التسليم باستقلال البلاد الأفريقية ، حرصت هذه الدول المغتصبة على إعطاء الامتيازات الاقتصادية لليهود لكى يحلوا محل الاحتلال فى امتصاص ثروات الوطنيين ونقلها إلى خارج أفريقية ، وتدفقت البعثات اليهودية على السنغال وتشاد وغينيا وجميع الدول التى استقلت سنة ١٩٦٠ م ، وسهل النفوذ الفرنسى للبعثات التجارية اليهودية عملها ، وتغلغلت فى البلاد البكر موهمة إياها بالقدرة على تقديم المعونات الاقتصادية

---

(١) الأفعى اليهودية ، ص ١٩٢ ، برنار لافرنى ، مأساة شمال أفريقيا ، ١٩٥٦ م ، تلخيص مجلة المجلات ، سبتمبر ١٩٥٧م .

والثقافية واستطاعت الدعاية اليهودية التى تهيمن على أغلب صحافة العالم وأجهزة الإعلام ، أن تخفى عن الدول الأفريقية النامية حقيقة اليهود الذين لا يمكن أن يعيشوا إلا طفليات تمتص دماء الآخرين . ولم يكتف الفرنسيون بتمكين اليهود من مصادرة الثروة فى البلاد التى أكرهوا على منحها الاستقلال ، وإنما عمدوا إلى تنفيذ خطة جهنمية تجعل تلك البلاد فى حالة دائمة من القلق والاضطراب ، وعدم الاستقرار ، فقد نجح الفرنسيون بحجة جهل المسلمين ، فى تعيين رئيس جمهورية مسيحى لدولة تشاد هو فرانسوا تومبالباى القسيس الذى نشأ فى مدارس اللاهوت . وكذلك فعلوا فى السنغال حيث فرضوا قسيسا آخر ، هو سنغور ، بحجة أنه المثقف العظيم الذى لا مثيل له .... » .

« وطبيعى أن يسعى هذان الرئيسان إلى التعاون مع اليهود إلى أقصى حدود التعاون ، وأن يبعدا البلدين المسلمين عن بقية البلاد الإسلامية ، قدر الإمكان[1] . ولم يفعل الفرنسيون فى غينيا ومالى مثلما فعلوا فى تشاد والسنغال ، ذلك لأنهم كانوا مطمئنين إلى أن المرشحين لحكم ذينك البلدين من الماركسيين الذين لا يختلفون كثيرا عن الحكام النصارى أنفسهم ، والدليل على ذلك أن غينيا تعترف بالدولة المغتصبة إسرائيل وتتعاون معها ، وكذلك تفعل مالى ، رغم أنهما تحكمان برئيسين مسلمين .... » .

« ويبذل الفرنسيون قصارى جهدهم للمحافظة على راهبهم البار سنغور ، ويسخرون فى سبيل ذلك فصائل القوات السنغالية ، التى كانت مجندة فى الجيش الفرنسى ، ومهمتها لا تختلف عن مهمة الفرقة الأجنبية التى أعدت لضرب الحركات التحررية فى كل مكان . وتاريخ القوات السنغالية حالك السواد ، ذلك لأنها كانت تستخدم ضد العرب والمسلمين المجاهدين فى لبنان وسورية والجزائر ومراكش وتونس ، وفى كل مكان تحتله فرنسا ويحاول أهله أن يثوروا ويتحرروا من النير الفرنسى . هذه القوات التى جمعت من الجيش الفرنسى واعتبرت جيشا

---

(١) « حدثنى فضيلة الشيخ طه الولى مستشار سفارة تشاد فى بيروت أن رئيس تشاد يعمل دائما على رفع مستوى المسلمين ويحول دون تغلغل اليهود فى البلاد وأنه خير من كثير من الحكام الماركسيين المسلمين فى أفريقية وآسيا » ، الكلام لـ عبدالله التل ، الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام .

للسنغال ، قد وضعها الفرنسيون تحت إمرة الراهب الذى عينوه رئيسا للجمهورية . وحينما حاول رئيس وزراء السنغال ممادوا (محمد) ضيا أن يزحزح كابوس سنغور لتحرير السنغال من التبعية الفرنسية الغربية (١٩٦٢ م) ، كانت القوات السنغالية عونا لسنغور على رئيس وزرائه . وانتصر سنغور فى المعركة وجمد رئيس الوزراء المسلم ، وانتهز الفرصة ليحول نظام الحكم إلى النظام الرئاسى ، لكى يتخلص نهائيا من وجود رئيس وزراء مسلم يشكل خطرا دائما على المنصب الذى منحه إياه الفرنسيون . ومعلوم أن رئيس الوزارة كان يسعى إلى أن تتخذ بلاده سياسة عدم الانحياز والحد من التعاون مع إسرائيل صديقة سنغور ، التى كانت أول من اعترف بحكومته يوم إعلان استقلال السنغال »[١] .

« وإسرائيل التى ساندت الخائن المجرم تشومبى فى الكونغو ، وناصرت حرب الإبادة البرتغالية ضد شعب أنجولا ، وأيدت حكومة جنوب أفريقية والحكومة البيضاء فى روديسيا هى نفسها التى تؤيد حكم سنغور أملا فى أن يظل نفوذها الاقتصادى والسياسى مسيطرا على حكومة السنغال . وإسرائيل تعلم بأن تغيير الحكومات العميلة الخائنة ، واستبدالها بحكومات وطنية تمثل الشعب المسلم فى كل بلد مسلم ، لابد أن يؤدى إلى كشف حقيقة أمرها ، وانفضاح سترها ، لتبدو على حقيقتها عصابة مجرمة ، لا تعيش إلا على دماء الشعوب الكادحة وشعب السنغال المغلوب على أمره .

تضلله دعاية الفرنسيين واليهود ، وتخفى عنه حقيقة المأساة التى يعيشها ، فتوهمه أنه حر مستقل ، بينما الواقع المر يجعل منه قطيعا من العبيد ، يخدمون فى ظاهر الأمر سنغور والفرنسيين ، وفى واقع الأمر لا يخدمون سوى اليهودية العالمية » .

جـ ـ زنجبار :

« أرض عربية إسلامية ، مكونة من جزيرتين هما زنجبار وبمبا . وتبعد هذه الأرض مسافة ٢٥ ميلا عن شاطىء أفريقية الشرق مقابل تنجنيقا ، استوطن

(١) الأفعى اليهودية ، ص ١٩٤ ، بيروت ، مجلة الأحد ، ١٩٦٦/١/٢٣ م .

العرب المسلمون زنجبار منذ عدة قرون ومنها نشروا روح العدالة الإسلامية ، مما ساعد على انتشار الإسلام فى أفريقية . ويبلغ عدد سكانها أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة ، غالبيتهم العظمى من المسلمين . وكانت زنجبار تحت الحكم الاستعمارى البريطانى زمنا طويلا ، إلى أن استقلت فى العاشر من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٣ م ، وقبلت عضوا فى الأمم المتحدة يوم السادس عشر من الشهر نفسه » .

أسباب نكبتها :

« وقفت زنجبار فى عهدها الاستقلالى فى وجه التغلغل اليهودى فى أفريقية ، وبذلك خالفت خطة جيرانها من الحكام فى دول أفريقية الشرقية وعلى رأسها القسيس جوليوس نيريرى حاكم تنجانيقا . ونيريرى هذا يرتدى ثوب التقدمية ، ويعمل فى الوقت نفسه خادما لليهودية العالمية التى تستغل عبيدها من الحاقدين على العروبة والإسلام . واتضح موقف زنجبار الصريح المؤيد لقضية المسلمين الأولى – فلسطين – يوم رفضت حكومتها استقبال جولدا مئير سنة ١٩٦٣ م حيث كانت تزور دول أفريقية الشرقية » .

« عندها شرعت الأفعى اليهودية فى نفث سمومها وتدبير مؤامراتها . فاهتدت إلى عميل يحمل اسما إسلاميا (عبيد كرومى) مع أنه يهودى دونمه وكلفته أن يتعاون مع جوليوس نيريرى للقضاء على الدولة المسلمة الفتية . ورصدت إسرائيل الأموال اللازمة ، ووزعتها بسخاء على نيريرى ووزير خارجيته أوسكار كامبونا وعدد من الضباط اليهود الذين يخدمون فى معية نيريرى . ونال عبيد كرومى المجرم قسطا كبيرا من المال اليهودى ، لأنه تعهد بتنفيذ الخطة مستخدما عنصريته الأفريقية الحاقدة على العرب ، ومستغلا التهمة الباطلة التى تصف عرب زنجبار بالمستعمرين » .

« وحين تكون المؤامرة موجهة ضد الإسلام والمسلمين نجد تحالفا طبيعيا بين اليهودية العالمية والقوى التقدمية الشيوعية والاستعمار الغربى ، وتعاونا وثيقا بين هذه القوى لإنجاح المؤامرة » .

« المذبحـــة » :

« دبر غبيد كرومى بمساعدة جوليوس نيريرى وضباطه من اليهود عملية ذبح العرب المسلمين فى الجزيرة . وفوجىء السكان يوم الأحد ١٩٦٤/١/١٢ م بالهجوم الوحشى الغادر على المنازل والشوارع والمتاجر . وكانت الأوامر صريحة تقضى بقتل كل عربى مسلم ، فلم ينقض ذلك اليوم الأسود إلا بذبح أكثر من خمسة عشر ألف مسلم دون تمييز بين الأطفال والنساء والشيوخ . واستولى عبيد كرومى على السلطة الشرعية بعد مجزرة لم يحدث مثلها فى التاريخ الحديث الذى تبرز فيه الادعاءات عن الحرية والتقدمية والعدالة والمساواة . وبعد إتمام المذبحة اختفى ضباط نيريرى عن الأنظار ، واكتفوا بتسليم مقاليد الأمور إلى خادمهم عبيد كرومى الذى شرع يقلد يهوديا خلد التاريخ المزيف بطولاته ومذابحه ضد المسلمين هو كمال أتاتورك . وأخذ عبيد كرومى فى إزالة الصبغة الإسلامية عن الجزيرة شيئا فشيئا . ولكى يسند ظهره على قوة تضمن له الاستمرار فى الطغيان والإجرام ضم زنجبار إلى تنجانيقا فى ٢٦ نيسان ١٩٦٤ م ليصبح جوليوس نيريرى رئيسا للدولتين المتحدتين تنجانيقا وزنجبار تحت اسم (تنزانيا) » .

« وترك نيريرى لخادمه عبيد كرومى مطلق التصرف بشئون زنجبار يمعن فى إذلال الشعب المسلم ، ويحاول إبعاده عن أخلاقه وعاداته الإسلامية أملا فى تحويله إلى الماركسية طالما أن تحويله إلى المسيحية يكاد يكون مستحيلا » .

« وكما فعل أتاتورك بالمسلمات فى تركيا ، يفعل عبيد كرومى بالمسلمات المحصنات فى زنجبار تشجيع على الإباحية والرذيلة وهتك الأعراض ، حتى أنه أصدر مرسوما يكره بموجبه الفتيات المسلمات على قبول الزواج من أى إنسان يتقدم إليهن دون النظر إلى جنسه ومعتقده . وكل فتاة ترفض أوامره تحبس ويحبس ولى أمرها » .

عـار الصمـت :

« ومرت أحداث زنجبار والقضاء على هذا المعقل الإسلامى فى غفلة بعض

الدول العربية والإسلامية ، وتآمر بعضها بل مساندتها وإسهامها فى إنجاح تلك الجريمة البشعة . ولم تحرك الدول العربية والإسلامية ساكنا بل إن بعضها قد أظهر شماتة وفرحا للقضاء على دولة إسلامية - رجعية - . ولقى حكم عبيد كرومى ترحيبا فى أوساط دول عربية ثورية ، كما حدث حين ابتلع هيلاسلاسى أريترية الشهيرة بمساعدة دول الجامعة العربية كما ذكرنا فى فصل سابق » .

« وعار الصمت يسربل حكام العرب والمسلمين الذين سكتوا - وما زالوا يسكتون - على أبشع حكم فى الدنيا ، يطبقه مجرم حاقد على العروبة والإسلام فى زنجبار ، ويدعمه نيريرى متوهما أنه استطاع القضاء على عروبة ذلك المعقل الإسلامى . وعبيد كرومى ونيريرى من خلفه واهمان وجاهلان . فإن شعب زنجبار العربى المسلم أقوى من طغيانهما وإجرامهما . وسيبقى شعب زنجبار عربيا مسلما ، ويزول كرومى ونيريرى كما زال أتاتورك وغيره من الطغاة الذين حاولوا النيل من الإسلام والمسلمين »

وبعـــد :

هذا فصل من فصول المآسى الدموية التى عاشتها وتعيشها الشعوب الأفريقية المسلمة ، على أيدى الصهيونية والصليبية العالمية وعملائها .

والهدف من إيرادها هنا هو تذكير الأمة التى تعيش على أرض أفريقية بما دُبِّر ويُدبَّر لها ، علها تستيقظ ، وتفيق ، وتحشد قواها ، وتعرف حقيقة دورها وما يجب عليها أداؤه ، لإنهاء هذه الهجمة العدوانية الشرسة التى تستهدف الأمة ودينها ورسالتها ؛ وفى نفس الوقت تسعى لإقامة المجتمع المسلم الذى يأمن فى ظله الإنسان سواء كان مسلماً أو يهوديا أو نصرانيا .

وإدراج هذه المسألة هنا يهدف أيضا تذكير الأجيال الجديدة التى لا تعرف شيئا عن ماضى أمتها ، ولا تاريخها وحقيقة الصراع بين الأمة وأعدائها ، لأنه استبعدت صفحاته من كتب التاريخ ، خدمة لأعداء الأمة ، وحرصا على عدم إظهار الوجه البشع للاحتلال اليهودى والصليبى الذى يخفى أطماعه تحت ستار العلاقات الدبلوماسية وغيرها ، حتى تدرك الأجيال الجدد حقيقة الأمر فلا يغتروا بظاهر الأمر ، ويعدوا للأمر عدته ، وإلا كانوا فريسة لهذه المؤامرة الدنيئة التى تستهدف لا أقول الأمة المسلمة فحسب ، ولكن الإنسانية جمعاء .

الفصل الخامس

الجزء الأول

ماهى الأسباب وراء معاناة أفريقية ، من تسلط الأعـداء عليها ومن القحط ، والجفـاف وقلة المحاصيل ، فى ضوء السنن الربانية الكونية ؟؟

الجزء الثانى

الجوع فى عالم الوفرة

زيادة السكان ليست السبب فى المشكلة ، وبالتالى فتحديد النسل ليس حلا ، بل إنه يزيد المشكلة تفاقما .



الفصل الخامس

الجــزء الأول

أسباب معاناة أفريقية من تسلط الأعداء عليها وقلة المحاصيل التى لا تكفى الأفواه الجائعة ؟ وتسلط الأعداء عليها ؟

إن التقارير التى خرجت عن أفريقية ، من قبل لجان الإغاثة ، مفزعة حقا ، مناطق بأكملها كان المطر لا ينقطع عنها ليلا أو نهارا ، تحولت إلى صحراء ، الرمال تزحف على ما تبقى من الأشجار الخضراء ، فتحيط بها ، وتخنقها ، الماء يبحثون عنه ، فلا يجدونه ، الناس يموتون ، من العطش ويموتون من الجوع ، والموتى ، لا يجدون من يدفنهم ، وحينما سئل مسئولو القرى ، لماذا لم تدفنوا موتاكم ؟ أجابوا : لا نقوى على حفر المقابر ، ولا على حمل الموتى ، الذين يموتون بأعداد رهيبة .

وحينما وصلت لجنة الإغاثة إلى مكان ناء فى أفريقية ، قال لهم المُسِنُّون من النساء والرجال : « نحن نعلم أنكم لن تقدموا لنا ما نعيش به لفترة طويلة ، وكل الذى نطلبه منكم أن تحفروا لنا قبورا قبل أن تغادروا ذلك المكان » .

الرجال يموتون ، والحيوانات أيضا تموت ، لأنه لا ماء ولا غذاء ؟؟ أين العالم الحر ، أين دعاة الحرية ؟ أين الأمم المتحدة ؟ أين مجلس الأمن ؟ أين الشعوب الإسلامية ؟ ما من مجيب لأن الكثير من الشعوب الإسلامية فى الهم سواء ؟

وهذا شيء عجيب . لأنه يحدث فى قارة غنية ، يشكل الذهب والماس المستخرج منها نصف ما يستخرج من العالم ولا زال ..

هذا غريب فى بلاد كانت ولا زالت تفيض بالخيرات على أوروبا ، وغيرها من بلاد العالم .. هذا عجيب أن يحدث فى بلاد كانت تسمى - ولا زالت - بلاد الذهب .

فما هى الأسباب ؟ يزعم البعض أن الأسباب هى الجفاف وقلة المحاصيل وعجزها عن تلبية احتياجات الإنسان والحيوان .

وإذا تساءلنا عن سبب قلة المحاصيل يجيبونك ، إنه قلة المطر ... وإذا تساءلنا عن سبب عدم نزول المطر بكثرة ، أجابوك : تغير الأحوال الجوية ... وإذا تساءلت عن سبب تعرض المحاصيل للهلاك قبل أو بعد نضجها ، أجابوك : بسبب عدم كفاءة المبيدات الحشرية ؟ وما سبب عدم كفاءة المبيدات الحشرية ؟ قالوا لك : لأن الحشرات والهوام قد أخذت مناعة ضد المبيدات .

ومرات عديدة يجيبونك : المحاصيل موجودة فعلا ولكنها لا تكفى الأفواه الجائعة ، لأن الناس يتناسلون بسرعة لا تكفى معها المحاصيل الحالية لتلبية احتياجاتهم ... ومن هنا تأتى اقتراحات أصحاب العقول الاقتصادية :

لابد من تحديد النسل ، لابد من عمل خطة للتنمية جديدة ، لابد من البحث عن مصادر أخرى للمياه ، لابد .. لابد .. إلى غير ذلك من الاقتراحات التى تفسر كل شيء تفسيرا ماديا بحتا ، بعيدا عن سنن الله الكونية الثابتة فى حياة الأمم والشعوب[1] .

إن أفريقية اليوم والحقيقة ، لا تعانى جفافا ماديا فحسب ، ولكنها تعانى أيضا جفافا روحيا ، إنها بحاجة لا نقول لشربة ماء أو لقمة خبز فحسب ولكنها

---

(١) عمل خطة للتنمية مطلوب ، البحث عن مصادر أخرى للمياه والقوت مطلوب ، ولكن كل ذلك لا يكفى ، فالاتحاد السوفيتى عمل خطط للتنمية الصناعية والزراعية ، ولكنه أصبح من المستوردين لرغيف الخبز ، بعد أن كانت الغلال تفيض فى عهد القياصرة .

تحتاج إلى من يعلمها دينها ، يعلمها حقيقة التوحيد الذى جاء به الرسل جميعا عليهم السلام .

أسباب عدم نزول الغيث
وحدوث القحط وضيق الأرزاق فى ضوء السنن الربانية

يقول الله عز وجل : ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾(١) .

إن القحط ابتلاء ربانى يصيب به الأمم ، لعلها ترجع إلى الله ، وتتوب مما اقترفت من الذنوب والآثام . يوضح ذلك قول الله تعالى :

(أ) ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾(٢).

يقول الإمام ابن كثير : « البأسأء يعنى الفقر والضيق فى العيش ، والضراء : هى الأمراض والأسقام والآلام، لعلهم يتضرعون : أى يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون »(٣) .

(ب) ﴿ وما أرسلنا فى قرية مں نبى إلّا أخذنا أهلها بالبأسأء والضراء لعلهم يضَّرَّعُون ﴾(٤).

(جـ) ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يَذَّكَّرُون ﴾(٥).

---

(١) طه : ١٢٤ .
(٢) الأنعام : ٤٢ - ٤٣ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ١٣٢
(٤) الأعراف : ٩٤ .
(٥) الأعراف : ١٣٠

ما تتعرض له أفريقية قد يكون من باب النذر ، وباب التنبيه لعل الناس يفيقون ويرجعون إلى ربهم ويستغفرونه ويتوبون إليه مما اقترفوا من الذنوب والآثام .

وقد يكون أيضا من باب التدمير نتيجة الشرك بالله عز وجل ، وهذه سنة أيضا من سنن الله الربانية فى حياة الأمم والشعوب .

يبين لنا ذلك الله عز وجل فى القرآن الكريم ، حينما ضرب لنا مثلا لأمة مسلمة فتح عليها أبواب الرزق ، فأنعم عليها بالمروج الخضراء والثمار اليانعة ، ولكنه سبحانه وتعالى اشترط على أهلها شرطا :

أن يأكلوا من رزق الله ، ويشكروه . والشكر يستلزم معرفة قدر صاحب النعمة ، والتوجه إليه بالعبادة الخالصة ، مع تصريف النعمة فى مصارفها المشروعة .

واستجابت الأمة لأمر الله ، وعاشت ترفل فى ثياب نعمة الله عز وجل ، إلى أن نجح الشيطان فى اجتيال هذه الأمة عن إسلامها .. عن دينها . فماذا حدث ؟؟ سلط الله عليها سيل العرم ، فأهلك مزارعها وجنانها وثمارها ، وأبدلها عن ذلك كله ، أشجارَ النبق وأشجارَ الشوك ...

فجاع الناس ، وهلك منهم خلق كثير ... وتساءل الناس عن السبب ، وجاءت الإجابة من عند الله عز وجل ، إنه الشرك بالله عز وجل : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور ﴾ .

وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشىء من سِدْرٍ قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى إلا الكفور ﴾ (١)

---

(١) سبأ : ١٥ - ١٧

إذن ما تتعرض له أفريقية سببه الإعراض عن ذكر الله ... سببه الشرك بالله عز وجل ، وعدم إخلاص العبادة له : ﴿ وكَأَيِّنْ من قرية عَتَتْ عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نُكراً . فذاقت وَبَالَ أمرها وكان عاقبة أمرها خُسْراً ﴾[1] .

إن هذا الذى حدث هو إمضاء لسنة ربانية : ﴿ ذلك بأن الله لم يَكُ مغيرا نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[2] . فكيف لا يُلْبسُ الله أفريقيةَ لباسَ الجوع والخوف ، وقد نحوا شريعة الله عن حياتهم ؟ وكيف لا يَحْدث ذلك وقد بلغ الظلم مداه .. كيف لا يحدث ذلك ؟ وحياة الشعوب تمضى غير منضبطة مع أوامر الله ؟؟

فشرب الخمر فى بلاد المسلمين لا يشكل جريمة يجب إقامة الحد على شاربها ، بل إن الدول تتقاضى الضرائب عليها ، وتحمى مصانعها .

والزنا لا يشكل جريمة تستوجب إقامة الحدود ، طالما أن الزانية لم تستغيث !!

والتعامل بالربا[3] ، هو قاعدة الاقتصاد فى بلاد الإسلام .. كيف لا يحدث ذلك ؟ وأفريقية لا تربى شبابها على الإسلام ، بل تتركهم فريسة لغزو فكرى غير إسلامى يستهدف تربية أناس متفلتين من كل أوامر الدين ، ولا يلتزمون بخلق أو سلوك حسن .

كيف لا يحل القحط محل الرخاء ؟ ، والإسلام ما بين مطارد وأسير فى أرض الإسلام .

ومن الأسباب التى تقف وراء القحط الذى تعانى منه أفريقية ، وعدم قيام

---

(1) الطلاق ٨ - ٩ . (2) الأنفال : ٥٣ .

(3) والتعامل بالربا يوجب غضب العزيز الجبار : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بَقِىَ من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فَأْذَنوا بحربٍ من الله ورسوله ﴾ (البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩) ، ومن يستطيع الصُمود فى مواجهة حرب يعلنها الله ورسوله ، إن ذلك يعنى أن ماتوجهه الأمم والشعوب من قحط وضيق فى الأرزاق سببه تعاملها بالربا وتعرضها لانتقام الله عز وجل .

الجار بإغاثة جاره نتيجة التمزيق الذى تعرضت له القارة الأفريقية تسلط الأجنبى على أرضها ، نتيجة شركها بالله عز وجل : ﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسِبُون ﴾[1] .

لقد تسلط على أفريقية عدو لعين ، نزعت من قلبه الرحمة ، وملأ قلبه الحقد والبغض وخاصة للإسلام وأهله ، فاغتصب أفريقية ، بما فيها وما عليها من خيرات وثروات ، بل إن الإنسان نفسه لم ينج من هذا الاغتصاب كما بينا . هذا العدو هو أوروبا ، ومن يعاونها من أبناء البلاد المحتلة .

لقد احتل هذا العدو أفريقية ، ومزقها مزقا ، وعلى كل مزقة أقام دولة ، ربطها به سياسيا ، واقتصاديا ، وفكريا ، بحيث لا تستطيع أن تفلت من شباكه ، فتتبعه تبعية العبد الذليل الذى لا يملك من أمر نفسه شيئا .

هذا من باب تسليط الظالمين على الظالمين ؟؟ .. وهنا نتساءل : كيف يحدث هذا لأبناء المسلمين على أرض أفريقية بعد أربعة عشر قرنا من بعثة محمد ﷺ ؟

والإجابة : لأنهم أصبحوا غثاء كغثاء السيل ، ليس لهم ثقل : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ،ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .

« إذا تبايعتم بالعينة ، وتبعتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع ، وتركتم جهادكم ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى تعودوا إلى دينكم » .

وهنا قد يثور سؤال يحمل شبهة :

إن الكثير من الدول الكافرة ممكن لهم فى الأرض، فها هى روسيا الشيوعية التى تقول : لا إله والحياة مادة . ممكن لها فى الأرض .... واليهود الباغون ممكن لهم

---

(١) الأنعام : ١٢٩ .

فى الأرض ..... وغيرهم من الكفرة والملحدين ، ممكن لهم فى الأرض .

لماذا لم يهلكهم الله عز وجل ؟ ولماذا لم يمنع عنهم الغيث ؟ بل عندهم وفرة فى المحاصيل ، إلى غير ذلك من متاع الحياة الدنيا .

والإجابة على السؤال سهل بسيط ، هنا تجرى سنة ربانية أخرى ، لا تعارض السنة الأولى ، يتضح ذلك من قوله عز وجل : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون . فلما نسوا ما ذُكِّرُوا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرِحُوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مُبْلِسُون . فَقُطع دابِرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾[1] .

إن هذا الذى فتح على أوروبا من أبواب كل شئ ، وهو من باب الاستدراج : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأُمْلى لهم إن كيدى متين ﴾[2] ، فلا يغرن الناس تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ، ثم يضطرهم الله إلى عذاب النار ، وبئس المصير .

متى ؟ قد يكون اليوم ؟ وقد يكون غدا ؟ وقد يكون بعد عام أو عشرة أو مائة أو أكثر أو أقل ؟؟ علم ذلك عند ربى ... والتاريخ يخبرنا أن قوم نوح عليه السلام قد أهلكهم الله بسبب ظلمهم بعد بعثة نوح بألف عام إلا خمسين ... ودولة الروم سقطت بعد اثنا عشر قرنا من قيامها .... المهم هنالك قاعدة ، وسنة ربانية لابد وأن تتحقق ، وهى إهلاك الظالمين ، ولو بعد حين .

إذن السبب الرئيسى فى هذا البلاء الذى حل بأفريقية ، هو الشرك بالله عز وجل ، وعدم انضباط الحياة مع أوامره وشرعه ، ويتفرع من هذا الانحراف الأكبر انحرافات أخرى منها عدم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

---

(١) الأنعام : ٤٢ - ٤٥ .
(٢) الأعراف : ١٨٢ - ١٨٣

ففى الحديث : عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ ، قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »(١) .

فأفريقية كانت تشاهد الإسلام يذبح ولا تحرك ساكنا ؟؟ فكيف لا يجيع الله أفريقية ؟؟ وهى تقف مكتوفة الأيدى حيال إخوانها المسلمين الذين يعانون ، ولا تنصرهم . إن خذلان المسلم شيء عظيم وهو إن حدث ذريعة خذلان المسلمين جميعا ، إذ سيقضى على خلال الإباء والشهامة بينهم ، وسيخنع المظلوم طوعا أو كرها لما وقع به من ضيم ، ثم ينزوى بعيدا ، وتتقطع عرى الأخوة بينه وبين من خذلوه .

وقد هان المسلمون أفرادا ، وهانوا أمما يوم وهت أواصر الأخوة بينهم ، ونظر أحدهم إلى الآخر نظرة استغراب وتنكر ، وأصبح الأخ يُنتقصُ أمام أخيه فيهز كتفيه ، ويمضى لشأنه كأن الأمر لا يعنيه .

إن هذا التنكر والتخاذل جر على المسلمين الذلة والعار وقد حاربه الإسلام حربا شعواء ، ولعن من يقبعون فى ظلاله الداكنة الزرية :

قال رسول الله ﷺ : « لا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما ، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه »(٢) .

أسباب أخرى تزيد أزمات أفريقية تفاقما :

إن السبب الرئيسى فى المحنة التى تعيشها أفريقية كما بينها هو الشرك بالله عز وجل ، وتنحية نظام الله وشرعه عن الحياة .

ولقد ترتب على هذا الانحراف الضخم انحرافات أخرى أدت إلى تسلط الحكام الظلمة على الأمم والشعوب ، مما أدى إلى تفاقم الأزمات .

---

(١) راوه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

(٢) رواه الطبرانى ؛ انظر خلق المسلم تأليف محمد الغزالى ، ص ٢١٠

﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرْنا مُتْرَفِيهَا ففسقوا فيها فَحَقَّ عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾[1] .

ففى الوقت الذى يقول فيه الخبراء أن سبب نقص الغلة الزراعية فى أفريقية هو ضعف الأرض نتيجة قلة النتروجين ، وعدم استعمال الميكنة الحديثة فى الزراعة ، وما يستلزمه حل هذه المشاكل ، من الحصول على السماد لتقوية الأرض وشراء الجرارات والحفارات لحفر الآبار للحصول على المياه الجوفية ، نجد أنظمة توجه أموال الأمة فى شراء السلاح لقهر الشعوب .

فقد نشرت مجلة الوطن العربى فى عددها رقم (٤٠٧) خبراً مفاده : « أن فى ترسانة نظام منجستو (٢١) فرقة مسلحة ومائة طائرة مقاتلة ، وما من جرار زراعى واحد . وتكاليف الاحتفالات بإنشاء حزبه الشيوعى بلغت مائة مليون دولار ، بينما يموت مائة أثيوبى كل يوم ، ويجوع سبعة ملايين آخرون . أما مجلة ساوث فقد أشارت إلى انخفاض الإنتاج الزراعى فى أثيوبيا بعد تطبيق تجربة المزارع الجماعية . لقد انخفض الإنتاج من ٥٪ عام ١٩٧٩ م إلى ٢٪ وقد زاد الطين بلة الضريبة التى فرضها النظام على المزارعين عام ١٩٨٣ م لتمويل حربه فى أوغادين « حتى إن بعض المزارعين اضطروا لهجر أراضيهم » .

« والمعروف أن النظام الماركسى فى أثيوبيا يشن حربا ضروسا ضد أريتريا ، وقد ساعد ذلك على تفاقم المجاعة ، وعرقلة وصول المساعدات إلى هذا الإقليم ، بل إن الجيش الأثيوبى نفسه عرقل وصول المساعدات بشنه الهجمات على الإقليم ، وقد أكد مراسلان لصحيفة « التايمز » اللندنية ، استخدام النظام الأثيوبى للطائرات المقاتلة والقنابل العنقودية والنابالم ضد السكان المدنيين فى الإقليم . وقد شاهد المراسلان ذلك فى مدينة « مولكى » التى يسيطر عليها ثوار أريتريا وقد استمرت الغارات ثمانية أيام متواصلة . وقد جاءت الغارات إثر فشل قافلة عسكرية أثيوبية فى شق طريقها عبر الجبال بين « مولكى » وأسمرة بسبب هجمات الثوار » .

---

(١) الإسراء : ١٦ .

« هذا وقد أكد مسئولون فى منظمة الإغاثة المعروفة باسم « الحرب على الحاجة » تلك الغارات ، فى مقابلة مع « الغارديان » البريطانية وقد أكد هؤلاء مشاهدتهم بأنفسهم مقتل طفلين فى بلدة « أوروثا » الأريتريا ، إثر غارات شنتها طائرات الميج الأثيوبية . كما أكدوا الغارة على سوق « مولكى » ، وأكد هؤلاء أن مليونى أريتريا يشكلون ثلثى سكان الإقليم بحاجة للطعام ولكن ما يصل من مساعدات عبر السودان لا يسد أكثر من ١٠٪ من حاجة الإقليم ، وأكد المسئولون الأنباء التى أفادت أن المساعدات المتجهة إلى أريتريا تباع لتجار يعيدون بيعها للسكان » .

« وأكدت « ساوث » فى عدد (ديسمبر « كانون الأول » ١٩٨٤م) أن منظمات الإغاثة الأمريكية تتجنب إرسال المعونات إلى أريتريا . وتدعى تلك المنظمات أن السبب يعود إلى الخطر الذى يواجه إرسال المساعدات إلى أريتريا بسبب الحرب هناك ، ولكن المجلة تكذب ذلك الادعاء ، وتقول : إن السبب الحقيقى هو وجود استثمارات أمريكية فى أثيوبيا الماركسية ، وأن الولايات المتحدة لا تريد المغامرة بتلك الاستثمارات ، ولذلك فإن الولايات المتحدة رفضت على الإطلاق إرسال أية مساعدات للإقليم ، رغم أن نصف عدد من يتهددهم الجوع فى أثيوبيا هم أريتريون » .

« وتقول المجلة : رغم أنه ثبت أن الحكومة الأثيوبية تسىء استخدام المعونات ، وتحول نصيبا كبيرا منها للقوات المسلحة بدل الجائعين ، إلا أن ذلك لم يقف حجر عثرة أمام تدفق المساعدات الغربية عليها » .

« وقد ربطت (ساوث) بين هذا الاهمال لأريتريا وبين السياسة الأمريكية فى العالم ككل ، التى تغلب الاعتبارات السياسية على الإنسانية » .

« وتحت عنوان (التوظيف السياسى للجوع) ، كتبت (العرب) القطرية ، فى ٢٦ نوفمبر (تشرين الثانى) الماضى ، حول استغلال الغرب للمجاعة الأفريقية لخدمة أهداف السياسة حيث أمسك الإعلام الغربى بناصية المبادرة ونزل إلى المخيمات وتكلم مع الناس وسمع آلامهم ... وصور مساعدات الغرب للمنكوبين .... ثم قال : « إن العالم الغربى تحرك ولم يتحرك الشرق » .

وعلقت العرب على ذلك قائلة : « نحن نعرف أن الشرق والغرب معا ضالعان فى مؤامرات كبيرة هى أشد شراسة من الجفاف ، إذا فتحنا ملفات صنائعهم ... وإلا لماذا لم يطرحوا مسألة احتياج أفريقيا للمحراث أكثر من حاجتهم للقذائف التى يقدمونها دون كلل أو ملل »[1] .

---

(١) مجلة الأمة ، العدد ٥٢ ، السنة الخامسة ، ص ٩٣

الجـزء الثانى

الجـوع فى عالم الوفـرة

زيادة السكان ليست السبب ، وبالتالى فتحديد النسل ليس حلا

الوضع الحقيقى لمشكلة الغذاء العالمى :

« جاء فى أحد تقارير منظمة الفاو ، أن أكثر من مليار نسمة لا يحصلون على كفايتهم من الغذاء وجاء فى الأرقام المقدمة إلى مؤتمر باريس للدول الأقل نموا المنعقد سنة ١٩٨٢ م أن ٦٣٪ من سكان آسيا ، و ٦١٪ من سكان أفريقية ، و ٣٦٪ من سكان أمريكا اللاتينية ، و ٣٣٪ من سكان الشرق الأوسط ، يواجهون حالة الجوع »[١] .

« هناك (١٢) دولة على الأقل توجد الآن فى حالة « ما وراء الجوع » ، ففى الهند يعيش حوالى (٢٠٠) مليون شخص هذه الحالة ، وفى أندونيسيا حوالى (٣٣) مليون . وفى بنغلاديش (٢٧) مليون . وفى نيجيريا (١٤) مليون ، وفى كل من البرازيل وأثيوبيا وباكستان (١٢) مليون ، وفى الفلبين (١٠) ملايين ، وفى أفغانستان (٦) ملايين ، وفى بورما وكولومبيا وتايلاند (٥) ملايين »[٢] .

« إن الكلام عن الجوع لا ينطبق سوى على بلدان العالم الثالث ، فخلال اليوم العالمى للتغذية قال مواطن سويسرى لإذاعة سويسرا الدولية : (لا يوجد

---

(١) مجلة الأمة ، العدد ٥٢ ، السنة الخامسة ، ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ ، ص ٧٦ - ٧٩ ؛ مجلة (الخليج الجديد) ، العدد ٨٤ ، سنة ١٩٨٣ م ، ص ٢٠ .

(٢) مجلة الأمة ؛ مجلة (ديارنا والعالم) ، العدد ٩١ ، سنة ١٩٨٣ م ، ص ٢٩٨ .

هناك أثر للجوع فى سويسرا) وبالمناسبة نفسها قال مواطن من السنغال : (يجب علينا أن نحيى اليوم العالمى للتغذية على طول أيام السنة)» .

« فسكان الشمال المتقدم يمثلون ٢٨,٦٪ من سكان العالم لكنهم يستحوذون على ٦٤٪ من الغذاء العالمى ، بينما يتقاسم ٧١,٤٪ من سكان الجنوب حصة ٣٦٪ الباقية من الغذاء » .

« وفى الوقت نفسه الذى نسمع فيه أن مخاطر المجاعة تهدد مالى وساحل العاج والسنغال وأثيوبيا لا تزال المشكلة الأساسية أمام المزارعين الأمريكيين هى التخلص من الفائض الكبير من القمح » .

« لقد وعد « رونالد ريجان » المزارعين أثناء الانتخابات سنة ١٩٨٠ م بإلغاء الحظر المفروض على الاتحاد السوفيتى بعد تدخله المشئوم فى أفغانستان ، حتى تفتح أسواق جديدة أمام الإنتاج الأمريكى ، وبالفعل فقد كسب « ريغان » أصوات المزارعين نتيجة لذلك » .

« وفى أوروبا فإن بلدان السوق تعانى هى الأخرى من وفرة الإنتاج الغذائى ، فقد كادت مشكلة التخلص من بحيرة الحليب وجبال الجبن والزبدة أن تعصف بوحدة السوق خلال صيف ١٩٨٤ م » .

« فالأعداد البشرية ليست عبئا ما دام الكثير من الإنتاج لا يجد أسواقا لتصريفه ، فحوالى ٤٠٪ من إنتاج الحبوب فى العالم يخصص لإطعام الماشية وحوالى ٦٥٪ من الفواكه والخضروات المنتجة فى أمريكا الوسطى تلقى فى القمامة[١] . وفى المكسيك مثلا نجد أن الماشية تستهلك من الغلال الأساسية أكثر مما يستهلكه الفلاحون ، هذه الماشية نفسها تستهلك ثلث الذرة المنتجة فى البرازيل حيث يعانى آلاف السكان من الجوع . وقد قدر « نيجل هاريس » أن جزءا واحدا من عشرين (١/٢٠) من كمية الحبوب التى تطعمها الدول المتقدمة لمواشيها تكفى لإنقاذ أولئك الذين يموتون جوعا فى بلدان العالم الثالث »[٢] .

---

(١) مجلة الأمة ؛ فرانسيس مولابيى ، (صناعة الجوع) ، ص ٢٩٨ .

(٢) مجلة الأمة ؛ ن . هاريس ، (الخبز والمدافع ... وأزمة الاقتصاد العالمى) .

« الأرض وكمية الإنتاج » :

« بالرغم مما قيل عن مشكلة التزايد البشرى السكانى وأزمة الجوع ، فإن الأرض تبقى فى مقدورها أن تنتج الغذاء الكافى لجميع سكان العالم ، بل إنها حسب الإمكانات المتوفرة يمكن أن تنتج الغذاء لـ (١٠) ملايين من البشر ، إن الطاقة الغذائية المنتجة حاليا على الصعيد العالمى ليست هينة فالعالم ينتج من الحبوب يوميا ما يكفى لتوفير (٣٠٠) سعر حرارى لكل مخلوق ، هذا بالإضافة إلى الكمية الوفيرة من البروتينات والخضروات والفواكه » .

« إنه مؤسف حقا أن يطفو الجوع فى عالم تتوفر فيه مثل هذه الإمكانات ، وتكون فيه نسبة مهمة من الأراضى غير مستغلة استغلالا ملائما ، أو معطلة عن العمل ، ففى معظم البلدان النامية والتى تعانى أكثر من غيرها من أزمة الجوع ، لا تتجاوز نسبة الأراضى المزروعة من مجموع الأراضى الصالحة للزراعة نسبة ٢٠٪ ، وعلى المستوى العالمى ، وبالرغم من اتساع مستوى الاستغلال الذى تقوم به الدول المتقدمة بفضل الإمكانات المالية والتكنولوجية المتاحة لها ، نجد أن نسبة ٦٥٪ من الأراضى الصالحة للزراعة معطلة عن العمل » .

« هذه الأرقام تفيد بأن العالم بمقدوره أن يحل مشكلة الجوع ، وفى البلدان التى تشهد هجرة جماعية بحثا عن الأكل – كما هو الحال فى بلدان الساحل الأفريقى – يمكن للأرض هناك أن ترفع من مستوى المنتجات الأساسية كالحبوب إلى عدة أضعاف[١] . وفى بنغلاديش حيث يجرى الحديث كثيرا عن رداءة الأحوال الطبيعية ، وعن سوء التغذية ، فإن الكونغرس الأمريكى أصدر تقريرا سنة ١٩٧٦ م عن الأحوال الغذائية هناك جاء فيه : أن البلاد تتوفر فيها أراض خصبة وتربة غرينية جيدة ومياه وفيرة ، إضافة إلى المناخ الاستوائى السخى والأيدى العاملة الوفيرة[٢] ، وهذا ما يجعلها قادرة على تجاوز حدود الاكتفاء

---

(١) La marche du desert, Jeune Ofigue ivo 849, p. 65,

(٢) ف . مورلابيى ، صناعة الجوع ، ص ٢٧ (مرجع ورد فى مجلة الأمة ، العدد ٥٢) .

الذاتى ، إلى مستوى تغطية جزء من العجز الغذائى الحاصل فى بلدان أخرى . إن مشكلة استغلال مجموع الأراضى ليست هى العقبة الوحيدة ، بل إن الأراضى المستغلة فعلا لا تعتبر مستغلة على النحو اللازم » .

« **إيجابية العنصر البشرى** » :

« لقد حذر « مالتس » وأصدقاؤه من خطورة تزايد عدد السكان وآثاره السلبية على مستقبل التغذية فى العالم ، بحجة أن الأراضى تعرف اكتظاظا أكثر مما يجب ، وأنها غير قادرة على توفير الغذاء الضرورى والكافى لبقاء الأعداد الوفيرة من البشر على قيد الحياة » .

« وكيفما كانت دوافع هذا الادعاء فإن الواقع يثبت عكس ذلك تماما . إن معدل التزايد السكانى فى العالم هو فى حدود ٢,٦٪ سنويا ، بينما نجد نسبة تزايد الغذاء تفوق هذه النسبة ، فبين سنة ١٩٧٠ م ، ١٩٨٠ م نجد أن إنتاج القمح قد تزايد سنويا بمعدل ٣,٢٪ ، كما تزايد إنتاج الأرز والذرة والحمضيات بنسبة ٤,٧٢٪ ، والفول السودانى بنسبة ١٠٪ ، والشعير بنسبة ٢,٣٥٪ ، والشاى بنسبة ٣,٨٤٪ ، والسكر بنسبة ١,٢٪ ، وهذا يعنى بأن العالم كان ينتج سنويا أكثر مما يكفى لتغطية الزيادة فى سكان العالم » .

« بالإضافة إلى هذا فإن العنصر البشرى وعلى عكس ما قال « مالتس » هو طاقة إيجابية لو تم استغلالها استغلالا حسنا ، فالحقيقة التى نلمسها إلى الآن هى أن النجاح الزراعى يتحقق بصورة واضحة فى المزارع التى تستعمل أيد عاملة أكثر . بينما يبدو الفشل واضحا فى المزارع التى تستعمل يداً عاملة قليلة » .

« ففى اليابان وتايوان هناك نجاح زراعى ملحوظ مقارنة مع الفلبين والهند ، وإذا أخذنا فى الاعتبار تماثل نوعية البذور والأسمدة المستعملة فى هذه الدول الأربع فإن الفارق يتمثل فى كون اليابان وتايوان تستعملان أيد عاملة فى كل فدان ضعف نسبة الأيدى العاملة المستعملة فى كل من الهند والفلبين » .

« وطبقا لتقرير من البنك الدولى فإن بلدانا مثل الهند إذا تمكنت من تحقيق مستوى كثافة عمل فى مستوى الكثافة نفسها المستعملة فى اليابان فإن زراعتها

يمكن أن تستوعب كل قوة العمل المتوقعة حتى عام ١٩٨٥ م . من هنا نستطيع أن نكتشف السلبيات الناجمة عن الاعتماد الواسع على تربية المواشي ، فهذا التوجه يتطلب مساحة كبيرة وأيدى عاملة قليلة » .

« إن أغلب المجاعات التى عرفتها أوروبا فى القرون الماضية جاءت نتيجة للتحول من الزراعة إلى تربية المواشي ، حيث وجد عدد من العمال الزراعيين أنفسهم مضطرين للخروج من المزارع التى كانت تنتج الغذاء للبشر ، لأنها أصبحت مجرد مراع لإنتاج العشب والعلف » .

« لقد ساهمت مسألة إحلال الآلة محل الإنسان كذلك فى تهميش العنصر البشرى ، فالجرار يحيل ثلاثة أو أربعة عمال إلى التقاعد ، والمشكلة هنا ليست دعوة إلى مقاطعة التكنولوجيا ، وإنما هناك استعمال عشوائى لها يضر بالبلدان النامية أكثر مما يفيدها ، فالبرنامج البريطانى الذى كان يهدف إلى تحويل الزراعة فى « زمبابوى » إلى زراعة آلية قد فشل لأنه مكلف ماديا ، كما أن تلك الأعمال يمكن للعنصر البشرى أن يقوم بها بإتقان » .

« إن اتساع قاعدة المواليد فى القرية مقارنة مع المدينة ، يجب أن لا تثير كثيرا من القلق ، فالإنسان البدوى لا يستطيع السيطرة على الأرض ، إلا إذا توفرت لديه وفرة فى العنصر البشرى ، بحيث أن الأسرة التى تتكون من فردين أو ثلاثة تجد صعوبة فى استغلال الأرض ، وهذا ما يدفعها إلى أن تؤجرها للعائلات الكثيرة الأفراد ، وهنا تكمن أهمية العنصر البشرى » .

« البلدان النامية ومسألة الاكتفاء الذاتى » :

« من العجيب حقا أن يقول أحد الخبراء مثل الدكتور « مارسيل غانزين » بأن بلدان الساحل الأفريقى قد أنتجت فعلا خلال سنوات الجفاف ما كان يكفى لإطعام سكانها » .

« ومن العجيب أيضا أن يتكلم أحد عن الجوع فى البلاد النامية فى وقت

تحمل فيه البواخر والطائرات آلاف الأطنان من المنتجات الزراعية من هذه البلدان إلى عالم الشمال المتقدم فى أمريكا وأوروبا والاتحاد السوفيتى » .

« ففى السنغال كانت إحدى الطائرات العملاقة تقلع ثلاث مرات فى الأسبوع من مطار العاصمة « دكار » ، محملة بأنواع الخضروات فى اتجاه أوروبا ، فى الوقت الذى ارتفعت فيه دعوات الإغاثة ، بل إن البواخر التى كانت تحمل الإغاثة إلى هذا البلد كانت تعود ممتلئة بمنتجات الغذاء التجارى إلى أوروبا[1] . وأما فى أثيوبيا فإن منتجات التصدير لا تزال تصل بكيفية منتظمة إلى الأسواق الغربية فى الوقت الذى تتحدث فيه وكالات الأنباء عن قطار الموت الزاحف هناك »

« إن بلدان الساحل الأفريقى — وفى الوقت الذى ارتفعت فيه حمى الجفاف — كان يظهر بجلاء أن صادراتها من الماشية فى نمو مستمر ، حيث سجلت زيادة وصلت إلى ٤١٪ ، أما المنتجات الزراعية فقد وصلت قيمتها (١,٥) مليار دولار . ومن خلال دراسة لمنظمة « الفاو » على (٤٠) دولة أفريقية فإن الزيادة السنوية للإنتاج الفلاحى خلال العقد الأخير فى سبع دول كانت مهمة مثل : رواندا ، والملايو ، وليبريا ، وكينيا ، وساحل العاج ، والكاميرون » :

« قد يبدو الكلام عن الاكتفاء الذاتى فى هذه البلدان مجرد أساطير ، ولكن الأمر غير ذلك ، فليست هناك دولة تستطيع الاعتماد على نفسها فى الغذاء ، وجوهر المشاكل هنا هو أن البلدان النامية المنتجة للغذاء ، لا تنتج المواد الغذائية الأساسية كالقمح والأرز والذرة والفول ... إلا بشكل محدود ، فى حين تركز أغلب طاقتها على إنتاج منتجات التصدير كالفواكه والخضروات ، لأنها تجلب أموالا إضافية لكبار المزارعين ، لقد تزايد اعتماد الدول النامية على استيراد القمح من السوق الدولية فى الوقت الذى ما فتئت ترفع صادراتها من المنتجات

---

(1) Sengal, La recolte est excellente (J.A.E.) November 82, p. 35.

مرجع ورد ذكره فى مجلة الأمة لعدد ٥٢)

التجارية ، وهكذا بين سنوات ١٩٧٠ م و ١٩٨٠ م ارتفعت كمية القمح من (٣٠) مليون إلى (١٠٠) مليون طن »[١] .

« فى بعض البلدان مثل « غانا » جرى التركيز على زراعة الكاكاو التى اكتسحت معظم الأراضى وبالمقابل فإن « غانا » تعتمد على الأسواق الأجنبية سنويا لاستيراد (٢٠٠) ألف طن من القمح و (٨٠) ألف طن من الأرز و (٢٠) ألف طن من الذرة . وفى كينيا تحظى تربية الماشية بأهمية خاصة ، فحوالى (٢٥٠) ألف طن من اللحوم المنتجة هناك تتجاوز حدود الاكتفاء الذاتى ، حيث تصدر الكمية الزائدة إلى الخارج ، وبالمقابل فإن البلد يستورد حاليا (١٠٠) ألف طن من القمح وحوالى (٤٥) ألف طن من الأرز[٢] . وفى منطقة الكاريبى نرى الصورة نفسها تماما ، حيث نجد أكثر من نصف الأراضى الزراعية مخصصة لمنتجات التصدير ، ففى المارتنيك ، مثلا حوالى ٧٠٪ من الأراضى المزروعة مخصصة للبن وقصب السكر والموز أما المكسيك حيث يعصف الجوع بجزء من السكان فإن المزارع هناك تزدهر لتغطية احتياجات الولايات المتحدة من البصل والطماطم والفواكه خلال فترة الشتاء » .

« لقد أدت زراعة منتجات التصدير إلى إحداث تغييرات مدهشة ، ففى كولومبيا وإكوادور وجواتيمالا تحولت مزارع القمح والذرة إلى مزارع لإنتاج الأزهار ، ذلك أن زراعة الأزهار تحقق للمزارعين أرباحا تفوق الأرباح المستفادة من زراعة الحبوب وفى مالى والنيجر وأفريقيا الوسطى تم تحويل مزارع إنتاج المواد الأساسية إلى إنتاج القطن ، بعد ارتفاع ثمنه هذا المنتوج خلال الستينات ، ولكن الانخفاض فى الأثمان بعد ذلك كان بمثابة الكارثة لهذه الدول . والمشكلة نفسها عانت منها الدول المنتجة للسكر كالهند وتايلاند والفلبين والبرازيل وكوبا بعد الانخفاض المهول للأسعار (٣٢٪) سنة ١٩٨٢ م ، حيث أكد مسئول الأمم

---

(١) الأهرام الاقتصادى ، العدد ٦٩٧ ، ص ٩ (مرجع ورد فى مجلة الأمة ، العدد ٥٢) .

(٢) Jacques Vignes, L'auta Suficane (J.A.E.) p, 86.

(مرجع ورد فى مجلة الأمة العدد ٥٢)

المتحدة « ماكنتاير » : « أن الحالة الراهنة ليست فى صالح أى من البلدان المنتجة للسكر » .

« لقد لوحظ فى كثير من الدول بأن التوسع العشوائى فى زراعة التصدير كان على حساب البناء الأكولوجى للتربة حيث يجرى تدمير الأشجار والمزروعات التقليدية ، وهذا التدمير يفقد التربة فعالية المقاومة ويجعلها تفتقر إلى المواد العضوية التى تعتبر أساس الإنتاج » .

« لا داعى للتشاؤم واليأس أمام مشكلة الاكتفاء الذاتى فى البلدان النامية ما دامت هذه البلدان لم تستغل حتى الآن سوى الخمس من الأراضى الصالحة للزراعة بينما تعانى أربعة أخماس الأراضى من الإهمال . لقد ذكر تقرير لمنظمة « الفاو » سنة١٩٨١ م حول أفريقيا أن (٢٥) دولة فى القارة تعانى أراضيها من الإهمال المفرط ، والكاميرون إحدى الدول التى تشكو أراضيها من ضعف الاستغلال ، إلا أن العمليات التى استهدفت إنتاج الأرز فى المنطقة الشمالية بهذا البلد أظهرت أن الإنتاج كان مرتفعا بحيث تجاوز توقعات المسئولين[١] . وحاليا إن المنطقة الشمالية تنتج حوالى (٨٠) ألف طن من الأرز وتغطى أغلب حاجات الاستهلاك الداخلى البالغ (٩٠) ألف طن » .

« **بعـض الحلـول** » :

« من خلال المعطيات السابقة يبدو بأن مسألة الجوع تطفو فى عالم الوفرة ، ولما كان الجوع ينتج عن ضعف المحاصيل الأساسية أو عن ضعف القوة الشرائية ، فإن الحلول يجب أن تنبثق من عنصرى الإنتاج والتشغيل » .

١ - « يجب إعادة الاعتبار إلى زراعة المنتجات الأساسية اللازمة للاستهلاك المحلى ، بدل التركيز على زراعة التصدير التى تلبى رغبات المضاربين » .

---

(١) M.urranda, Pravince du maral de vient ungrenier (J.A.E.) p. 46.

(مرجع ورد فى مجلة الأمة ، العدد ٥٢) .

٢ – « يجب اعتماد الزراعات الكثيفة والمتنوعة بدل زراعة النوع الواحد ، فمعظم المزارع التى تعتمد نظام المزروع الواحد تنتج غلة واحدة فى السنة ، ونتيجة لذلك تبقى المزرعة معطلة مما يجعل الدورة الزراعية جوفاء وناقصة » .

٣ – « بالنظر إلى الطلب العالمى المتزايد على الغذاء فإنه يجب الاتساع فى استغلال الأراضى الصالحة للزراعة ، كما يجب الاعتناء بمشاريع الرى » .

٤ – « العنصر البشرى عنصر إيجابى ، لذا يجب استغلاله ، وذلك من خلال إيجاد فرص العمل فى إطار الزراعة الكثيفة العمل ، وهنا تطرح مسألة التكنولوجيا الملائمة التى تخفف من أعباء العمل الزراعى ، وتجعله فى متناول المزارعين ، بدل أن تبعثهم فى إجازة للراحة » .

٥ – « يجب المحافظة على النظام الأكولوجى للأرض ، فالإخلال بهذا النظام يسبب نقصا فى إنتاجية الأرض ، فمادة النتروجين أساسية لجودة التربة ، ونفادها يسبب عقما أكيدا ، لهذا يجب الاعتناء بالأسمدة ، وبالنسبة للبلدان النامية فإن استعمال الروث يعتبر حلا ناجعا ، فهو من جهة اقتصادى بالنظر إلى ارتفاع أثمان الأسمدة ، ومن جهة ثانية فهو يحفظ الأرض من الأضرار التى تسببها النتائج السلبية للأسمدة » .

٦ – « يجب التفكير فى إنشاء زراعة تكاملية بين عدد من البلدان على غرار السوق الأوروبية المشتركة ، والواقع أن مثل هذا المشروع سيكون له وقع طيب وناجح لو تم إنشاؤه بين بلدان العالم الإسلامى ، نظرا لما يتميز به هذا العالم من وحدة الأواصر والمشاعر ، وتنوع فى المناخ ، وجودة فى التربة ، ووفرة فى المياه والأيدى العاملة والأموال » .

الفصل السادس

الجزء الأول

ماهو الحل لخروج أفريقية من أزمتها

الجزء الثانى

واجب المسلمين حيال إخوانهم فى أفريقية حتى تستطيع الخروج من أزمتها

* كيف تستطيع أفريقية أن تحل مشاكلها الاقتصادية ؟
* كيف تستطيع أفريقية أن تتحرر من التبعية السياسية والاقتصادية والفكرية ؟
* كيف تستطيع أن ترفع يديها إلى السماء ، فيستجيب الله عز وجل ويقيها ذلّ السؤال ؛ ويفتح عليها بركات من السماء والأرض ؟



الفصل السادس

الجزء الأول

ما هو الحــل ؟

كيف تستطيع أفريقية أن تحل مشاكلها الاقتصادية ؟ كيف تستطيع أفريقية أن تتحرر من التبعية السياسية والفكرية والاقتصادية لغيرها من الأمم الأخرى ؟؟ كيف تستطيع أفريقية أن ترفع يديها إلى السماء ، فيستحيب الله عز وجل ، ويقيها ذل السؤال ؟

يقول الله عز وجل ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقَوْا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسِبُون ﴾[١] .

﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾[٢] .

﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا ﴾[٣] .

﴿ فقلت استغفروا ربكم إنَّه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويُمْدِدكُمْ بأموال وبنين ويجعلْ لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾[٤] .

---

(١) الأعراف : ٩٦ .
﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سَمِّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين ﴾ .
(٢) المائدة : ٧٤ .
(٣) هود : ٣ .
(٤) نوح : ١٠ – ١٢ .

فالحل إذن يكمن فى عودة أفريقية إلى الله

والعودة إلى الله تستلزم الإيمان بالله عز وجل ، وإفراده وحده بالعبادة الخالصة لوجهه الكريم ، وانضباط الحياة مع أوامره ، ونظامه وشرعه ، والتوبة المتجددة الدائمة ، والاستغفار من الصغيرة والكبيرة ، هذا هو الحل ، ولا حل سواه .

ومن هنا تعلم محمد ﷺ وصحبه ، حينما يحبس الله القطر عنهم ، يلجئون إلى الله يصلون ، ويستغفرون فيما يسمى بصلاة الاستسقاء[1] . وهى ركعتان يصلى فيها الإمام بالمأمومين ركعتين فى أى وقت غير وقت الكراهة . يجهر فى الأولى بالفاتحة و « سبح اسم ربك الأعلى »، والثانية بالغاشية بعد الفاتحة ، ثم خطبة بعد الصلاة أو قبلها . فإذا انتهى من الخطبة حول المصلون جميعا أرديتهم : بأن يجعلوا ما على أيمانهم على شمائلهم ، ويجعلون ما على شمائلهم على أيمانهم ، ويستقبلوا القبلة ، ويدعوا الله عز وجل رافعى أيديهم مبالغين فى ذلك . فعن ابن عباس : خرج النبى ﷺ متواضعا ، مبكرا ، متخشعا ، مترسلا ».

وقد روى البخارى ومسلم عن شريك عن أنس أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل، فادع الله إلينا يغثنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا » . قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء سحابة ولا قزعة ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار ، فطلعت من ورائه سحابة مثل

---

(١) ومعناها هنا : طلب الماء من الله تعالى عند حصول الجدب وانقطاع المطر ؛ فقه السنة ٢١٥ – ٢١٨ .

الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، فوالله ما رأينا الشمس سبعا ، ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائما فقال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ، ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب ، وبطون الأودية ومنابت الشجر ، فأقلعت ، وخرجنا نمشى فى الشمس »[1] .

إن القرآن الكريم قد ذكر لنا نماذج لأمم عديدة ، على مدار آلاف السنين ، قد أصابها القحط ، وأصابها الجفاف ، وأصابها المرض لعلها ترجع إلى الله عز وجل ، تسكب دموع الندم ، وتطلب العفو والسماح والمغفرة ، فإذا فعلت ذلك سامحها الله ، وفتح عليها أبواب رحمته .

أى أن الإيمان الحقيقى بالله عز وجل ، وإفراده وحده بالعبادة ، وتوحيده حق التوحيد ، هو مفتاح النجاة لأفريقية .

والدليل على ذلك مبسوط فى القرآن الكريم ، الذى يعطينا نماذج للأمم التى أصابها ضيق فى الأرزاق ، فيتقدم إليها الرسل ببرامج إصلاحية ، تؤدى إلى فتح أبواب الرزق على مصراعيها . مثال ذلك :

أمة نـوح عليه السـلام :

لقد بعث نوح عليه السلام ، فى قوم كان الشيطان قد تمكن منهم ، فأشركوا بالله عز وجل ، فضيق الله عليهم الأرزاق ، وحرمهم من نعمة المياه الجارية .

بدأ نوح – عليه السلام – دعوته ، وبرنامجه الإصلاحى ، الذى يتضمن إعادة الناس إلى ربهم ودينهم وهو الإسلام : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾[2] .

---

(١) فقه السنة ، جـ ١ ، ص ٢١٥ – ٢١٧ .
(٢) الأعراف : ٥٩ .

ثم بين لهم أن توحيدهم لله عز وجل ، يؤدى بهم إلى مغفرة ذنوبهم ، وتأخيرهم إلى أجل مسمى : ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾(١) .

وبعد أن قام نوح - عليه السلام - بتقديم برنامجه لإصلاح أرواح الناس ، تقدم ببرنامج ربانى للإصلاح أحوالهم الاقتصادية : ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويُمْدِدكُمْ بأموال وبنين ويجعلْ لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾(٢) .

فتوحيد الله عز وجل ، وعبادته ، وطلب المغفرة منه ، يؤدى إلى فتح أبواب السماء فياضة بالخير والبركة ، فينزل المطر ، وتجرى الأنهار ، وتموج الأرض بالجنات ، ويرزق الناس بمزيد من الأموال والبنين .

هذا العرض الربانى لسيرة نوح - عليه السلام وخبره مع قومه يبين لنا :

أن القوم أصابهم القحط ، والجفاف ، وضيق الأرزاق ، وقلة الأبناء ، فلجئوا إلى حلها بطرق غير مشروعة متمثلة فى طلب الإعانة أو القوت أو الرزق من غير الله عز وجل ، ولذلك فقد ظلوا يعانون من هذه المشاكل ، حتى قبض الله نوحا يدلهم على الطريق الأوحد لحل مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية .

وهذا ما بينه الله سبحانه وتعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ .

وهذا هو السبيل ، ولا سبيل سواه .

مثال ثان : **أمة عاد العربية :**

لقد وقع القحط والجفاف مرة أخرى فى حياة القبائل العادية العربية ، وبدلا من أن يستفيدوا مما وقع للأمم قبلهم ، نجدهم يدعون غير الله ، ويطلبون

---

(١) نوح : ٤ .
(٢) نوح : ١٠ - ١٢ .

الغوث والرزق من عند غير الله ، أى أنهم كانوا يتوجهون بالعبادة إلى غير الله عز وجل .

فأرسل الله سبحانه وتعالى هودا عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام : ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾[١] .

ويذكرهم بأخبار السابقين ، وأنهم مستخلفون بعدهم ابتلاء وامتحانا : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة ﴾[٢] .

ثم دلهم على الطريق لحل مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها : ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴾ [٣] .

إنه طلب المغفرة من الله ، والتوبة من الذنوب والآثام ، وإذا فعلوا ذلك : أنزل الله الغيث ، وزادهم قوة إلى قوتهم .

مثال ثالث : أمة ثمود العربية :

وفى زمن موغل فى القدم نزل القحط والجفاف بقبائل ثمود العربية ، جفاف روحى ، وجفاف مادى فأرسل الله إليهم صالحا ، يرسم لهم نفس المنهج ، الذى رسمه الرسل من قبله للأقوام السابقين : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب ﴾ [٤] .

وضرب الله لنا نماذج لأكثر من عشرين أمة فى القرآن الكريم ، واجهت ما تواجهه أفريقية اليوم ، فأرسل إليهم الرسل يعرفونهم بالطريق الصحيح لصلاح دنياهم وأخراهم .

---

(١) الأعراف : ٦٥ .

(٢) الأعراف : ٦٩ .

(٣) هود : ٥٢ .

(٤) هود : ٦١ .

وقد يتصور القارىء ، أن هذا تكرار ، وحاشى لله عز وجل أن يكرر شيئا بدون فائدة ، إن الهدف هو بيان واضح المعالم للمسلمين ، بل للبشرية كلها فى كل زمان ومكان ، أنهم قد يواجهون نفس المشكلة ، وهى القحط والجفاف وضيق الأرزاق وأن الحل واحد ، ولا حل سواه .

هذا الحل

يتمثل فى إفراد الله عز وجل بالعبادة وعدم الشرك به ، والتوبة والاستغفار الدائمين من الذنوب والآثام .

إن الحل لمشاكل الناس فى كل زمان ومكان كما علمنا رب العالمين ، هو طلب المغفرة من الله والتوبة الدائمة ، ومن هنا تبدو الحكمة من تكرار هذين اللفظين فى القرآن الكريم : ﴿ فاستغفروه ثم توبوا إليه ﴾ .

وهنا قد تبدو عقبة

هل يسمح أعداء الإسلام ؟ وأعداء البشرية أن تعود أفريقية إلى ربها ؟؟ وهم أصلا الذين خططوا لها لكى تتمرد على ربها ، وتلفظ إسلامها ؟

والإجابة

أنهم لا يسمعون ، والدليل على ذلك أن أفريقية لا تملك من أمرها شيئا ، لا تملك قرارها بعد أن أثقلتها الديون الربوية ، وهى مجبرة إجباراً على الدوران إما فى الفلك الشيوعى الماركسى ، أو الفلك الرأسمالى ، ولم يكن ليحدث ذلك ، لولا أن القوى الإسلامية على أرض أفريقية قد كبلت بالأغلال ، وحيل بينها وبين إنقاذ أمتها ، ويجرى تصفيتها أولا بأول لحساب أعداء الإسلام : اليهودية والصليبية والشيوعية العالمية .

الجـــزء الثانى

واجب المسلمين حيال إخوانهم فى أفريقية حتى تَسْتَطِيع الخروج من أزمتها

يقول الله تعالى : ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين . ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾[1] .

فنحن ، والمبتلون بالقحط والجفاف ، والآخرون الذين عافاهم الله من هذا الابتلاء ، قد استخلفنا الله فى الأرض ، امتحانا وابتلاء .

وإذا كان إخواننا فى أفريقية قد ابتلوا بالجفاف والقحط ، فنحن قد ابتلينا ابتلاء آخر أشد قسوة ، لقد ابتلينا بالدنيا وقد أقبلت علينا ، كما ابتلينا بهم ، لأن الله سيسألنا عنهم .

والله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا ، وأوجب علينا شكر نعمته ، وشكر النعمة يستلزم معرفة حق المنعم – سبحانه وتعالى – على العباد ، ويستلزم أيضا تصريف النعمة فى مصارفها التى شرعها الله عز وجل ، ومنها إخراج الزكاة لذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والسائلين ، وفى الرقاب ، وإذا لم تكف الزكاة أخرج المسلمون من أموالهم عملا بقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

---

(١) يونس : ١٣ – ١٤ .

وروى فى الحديث عن رسول الله ﷺ : « إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ، ما لم يملوهم ، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم »[1] .

وقد حض الله سبحانه وتعالى على النفقة فى سبيل الله ، فقال عز من قائل :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾[2] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد ﴾[3] .

﴿ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظْلَمون ﴾[4] .

وفى الحديث :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى مجهود (الجهد : وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع) ، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ، ما عندى إلا ماء . ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ، ما عندى إلا ماء فقال النبى ﷺ : من يضيف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله . فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته : هل عندك شىء ؟ قالت : لا إلا قوت صبيانى . قال : فعلليهن بشىء ، وإذا أرادوا العشاء فنوميهم ، وإذا دخل ضيفنا فاطفئى السراج وأريه أنا نأكل . فقعدوا ، وأكل الضيف وباتا

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) البقرة : ٢٦١ .
(٣) البقرة : ٢٦٧ .
(٤) البقرة : ٢٧٢ .

طاويين ، فلما أصبح غدا على النبى ﷺ ، فقال : لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة »[1] .

وفى حديث عن أبى كبشة عمرو بن سعد الأنمارى رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ثلاثة أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر - أو كلمة نحوها - وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، فقال : إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ، ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ، فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ، ولم يرزقه علما ، فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا أخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما ، فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته ، فوزرهما سواء »[2] .

إن من حق إخواننا فى أفريقية أن نكره مضرتهم ، وأن نبادر إلى دفعها ، ولما كان قد مسهم ما يتأذون به ، فيجب علينا أن نشاركهم آلامهم ، وأن نحس معهم بالحزن ، ولا نكون ميتى العاطفة ، قليلى الاكتراث ، لأن المصيبة قد وقعت بعيدا عنا - كما نتخيل - فالأمر لا يعنينا ، فهذا تصرف لئيم ، وهو مبتوت الصلة بمشاعر الأخوة الغامرة التى تمزج بين نفوس المسلمين ، فتجعل الرجل يتأوه للألم ينزل بأخيه مصداق قول الرسول ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم ، وتعاطفهم ، وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى »[3]

والتألم الحق ، هو الذى يدفع المسلم دفعا إلى كشف ضوائق إخوانه ،

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه البخارى .

ولا يهدأ حتى تزول غمتها ، وتدبر ظلمتها . قال رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »[1]

إن أعباء الدنيا جسام ، والمتاعب تنزل بالناس ، كما يهطل المطر ، فيغمر الخصب والجدب ، والإنسان وحده أضعف من أن يقف طويلا تجاه هذه الشدائد ، ولئن وقف أنّه لبازل من الجهد ما كان فى غنى عنه لو أن إخوانه أهرعوا إلى نجدته ، وظاهروه فى إنجاح قصده ، وقد قيل : المرء قليل بنفسه ، كثير بإخوانه .

ومن حق الأخوة أن يشعر المسلم بأن إخوانه ظهر له فى السراء والضراء ، وأن قوته لا تتحرك فى الحياة وحدها ، بل إن قوى المؤمنين تساندها وتشد أزرها .

قال رسول الله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[2] وأخوة الدين تفرض التناصر .

انطلاقا من هذه التوجيهات الربانية وتوجيهات رسول الله ﷺ يجب على العالم الإسلامى الذى حباه الله سبحانه وتعالى من الثروات بالشىء الكثير[3]

أولا : أن يسارع بمد يد العون والغوث لإخواننا فى الإسلام الذين ضربهم الجفاف ، ولو أخرجت زكاة الأموال وزكاة الركاز[4] ، ما كان هنالك محروما ولا فقيرا فى بلاد الإسلام ، لذلك يجب أن يحرص المسلمون على أن يقوموا بهذه المسئولية التى أوجبها الله عليهم وحدهم ، وألا يعطوا الفرصة للصليبية العالمية

---

(١) البخارى ومسلم .

(٢) رواه البخارى .

(٣) خلق المسلم ، محمد الغزالى ، ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٤) إن الدخل العالمى للبترول (٥٠٠) بليون دولار ، وفيه الخمس لحديث رسول الله ﷺ « فى الركاز الخمس » . ولو وزع هذا المبلغ على مسلمى العالم لكفاهم حاجتهم (انظر :

أو اليهودية العالمية أو الشيوعية أن تقدم يد المساعدة إلى إخواننا فى الإسلام ، لأنهم يعطونهم بيد ، بينما اليد الأخرى تغتال أعز ما لديهم ، وهو دينهم .

ولنتذكر قول رسول الله ﷺ : « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع ، فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى »[1]

وعلى العالم الإسلامى أن يَسعى إلى التحرر السياسى والاقتصادى والفكرى ، بل وليعمل أيضا على تحرير كل أفريقية من التبعية السياسية والاقتصادية والفكرية .

وليعمل العالم الإسلامى أيضا على وحدة الدول الأفريقية وتصفية المشاكل السياسية فيما بينها ، مع عمل كل ما من شأنه أن يزيد من ترابط سكان أفريقية بعضهم ببعض ، ويدخل فى ذلك تيسير سبل المواصلات عن طريق مد شبكات الطرق ، وخطوط السكك الحديدة .

إن على العالم العربى الإسلامى بصفة خاصة مسئولية تربية أبناء إخواننا فى أفريقية تربية إسلامية ، مع تعليمهم اللسان العربى ليكونوا نواة صالحة للدعوة داخل أفريقية فى مواجهة حملات التبشير ، مع الحرص على أن يحتفظ إخواننا فى أفريقية بكتابة لغتهم الأصلية بالحروف العربية بدلا من استبدالها بالحروف اللاتينية ، لئلا يخسروا ونخسر نحن وسيلة من وسائل التفاهم والتقارب معهم كما حدث مع تركيا .

إن هذا ليس مطلبا ترفيهيا ، إنما هو الفقه الإسلامى الذى أوجب تعلم اللسان العربى[2] ، للتفقه فى هذا الدين .

إن من يعرف اللغة العربية يصبح الطريق أمامه سهلا للتفقه فى دينه . ومن فقه دينه عرف ربه ، وعرف الحلال والحرام ، وعرف عدوه من صديقه ، وعرف ما له وما عليه .

تقديم المعونات المالية العاجلة لدول الساحل مالى ، وموريتانيا ، والرأس

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٨٨٠ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٢٠٧ .

الأخضر ، والنيجر ، والتشاد ، وفولتا العليا ، والسنغال ، وهى دول أعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى ، وتقطنها أغلبية إسلامية ساحقة (باستثناء جمهورية الرأس الأخضر ، ولو على سبيل القرض الحسن ، لتنفيذ المشروعات المقترحة التى تتمثل فى بناء السدود وتحلية مياه البحر ، وحفر الآبار ، وعدم إعطاء الفرصة لها لتقترض بالفوائد الربوية ، فتقع فى حبائل الصهيونية العالمية . وما تطلبه هذه الدول ليس بكثير مليارين وثلاثمائة مليون دولار أمريكى ، وهو ما يقابل نصف ما تتكلفه وجبات الكلاب والقطط فى الولايات المتحدة الأمريكية سنويا .

تعاون دول العالم الإسلامى فى إنشاء مدارس وجامعات ومساجد بالدول الأفريقية ، لإعداد الدعاة والقادة المسلمين الذين يعملون على ربط القارة الأفريقية برباط الوحدة الإسلامية وتحريرها من التبعية .

معاونة الدول الأفريقية المحتلة حتى الآن على التحرر من العدو الأجنبى الذى جثم على أرضها ، ولم يكفه ما استلبه من خيراتها منذ قرن ونصف من الزمان .

يجب على الحكومات والمؤسسات الإسلامية أن تسارع إلى تبنى الأطفال اليتامى من أبناء المسلمين ، الذين فقدوا أقاربهم وذويهم فى هذه المجاعات .

لئلا يستمر العالم غير الإسلامى فى لعبته التبشيرية ، حيث أخذ المبشرون أبناء الشهداء فى لبنان ، وأفريقية لكى يتبنوهم ويربوهم على المسيحية[1] ، بل إن الاتحاد السوفيتى قد أخذ - كما نشرت الصحف مؤخرا ، حوالى عشرة آلاف طفل من أبناء أفغانستان ، لتربيتهم منذ نعومة أظفارهم على الإلحاد والكفر ، ليكونوا قاعدة للنظام الشيوعى فى بلادهم فى المستقبل ، ولنتذكر الموقف المخزى بين يدى الله عز وجل ، لمن سمحوا للفتيات المسلمات أن يتربين بين أحضان المسيحية ، لينكحهن فى النهاية مشرك أو كافر .

وحيث إن هذا العمل تقصر عنه جهود الحكومات نظرا لاتساع مساحة

---

(١) لقد تبنى قسيس بلجيكى ثلاثة آلاف طفل ، صومالى ، كلهم من أبناء المسلمين ، ماذا سيكون مصيرهم ؟ وماذا يقول المسلمون أصحاب الثروات لله عز وجل ، حينما يسألهم يوم القيامة عن هذه الواقعة التى وقفوا منها موقف المتفرج ؟؟

المناطق التى ضربتها المجاعة والجفاف ، فعلى الحكومات أن تعطى الفرصة للهيئات والمؤسسات الخيرية الإسلامية بالعمل على أرض أفريقية ، مع تقديم التسهيلات اللازمة التى تعينها على أداء مهمتها . ولنا أسوة حسنة فى ما تقوم به الهيئة الخيرية الإسلامية بالكويت ، من بناء المساجد والمستوصفات والمدارس وتقديم للمعونات ، مع تأهيل الشباب الأفريقى المسلم تأهيلا يعينه على خدمة دينه ووطنه .

واجب آخر ، ويأتى فى المرتبة الأولى ، هـو أهمـية الدعوة إلى الله داخل أفريقية ، لتعبيد أفريقية لله رب العالمين ، ولكى تعرف أن مقتضيات العبودية لله :

(أ) الانقياد والطوع لمنهجه الثابت ، وصراطه المستقيم .

(ب) حمل الأمانة التى عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها .

(ج) العمل المستمر فى إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان والمبادئ الاشتراكية والشيوعية وغيرها إلى عدل الإسلام .

(د) إعطاء الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين .

(هـ) رفض المبادىء والأفكار التى لا تنبثق من شريعة الله .

هذه هى مهمة المسلم فى الأرض وغايته فى الحياة التى يجب أن نعلمها لأفريقيا بل للبشرية كلها وهو واجب فى رقاب أصحاب الدعوات .

فحين يعطى المسلم ولاءه لله ولرسوله وللمؤمنين يكون عبداً لله ، وحين يحمل الأمانة بنفس مؤمنة وعزيمة صادقة يكون عبداً لله . وحين لا يقبل هدياً إلا هديه ، ولا تشريعا إلا تشريع دينه يكون عبداً لله ، وحين يستمر فى حركة دائمة وجهاد دائب ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام يكون عبداً لله وإلا ... فإنه يكون هملا من سقط المتاع ، عبداً للهوى ، وعبداً للطاغوت ، وعبداً لليأس والقنوط والجحود ... يسير بلا غاية ، ويتخبط بلا هدى ، ويتعثر بلا دليل .. ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارة منها كذلك زين للكافرين ما كانوا

يعملون﴾[1] .

إذن فليعلم المسلمون من أبناء أفريقية طبيعة دينهم وليتحرروا من حب الدنيا وكراهية الموت .

وليعرفوا الغاية التى من أجلها خلقوا ، وعلى أساسها وجدوا حتى ينهضوا بالإسلام من جديد ، ويستعيدوا مجدهم الداثر ، وعزيمتهم المنيعة ، وقوتهم الهائلة ، ووحدتهم الشاملة ، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) الأنعام : ١٢٢ .

الخلاصة

خلصنا فى بحثنا إلى أن الشعوب التى تعيش على أرض أفريقية ، مثل بقية شعوب الأرض ينتسبون إلى آدم عليه السلام ، وأن أول دين دانت به البشرية ومنها أجداد شعوب القارة الأفريقية ، هو دين الإسلام الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره[1] .

ومن الرسل الذين كان لهم شرف الدعوة إلى الإسلام على أرض أفريقية ، يوسف[2] وموسى[3] عليهما السلام (على أرض مصر) .

ومنذ زمن بعيد ، وقبل بعثة محمد ﷺ ، تعرضت بلاد الشمال الأفريقى مصر وتونس والجزائر وغيرها للاغتصاب ، من قبل الدولة الرومية ، وذلك بسبب ما تمتعت به تلك البلاد من الثروات والخيرات الوفيرة ، والموقع الجغرافى الهام .

وعاشت مصر ، وغيرها من البلاد بقرة حلوبا يستنزف خيراتها أبناء الدولة الرومية ، على مدار سبعة قرون من الزمان ، إلى أن قيض الله لأبناء أفريقية محمداً وصحبه الذين حرّروها من قبضة ذلك المغتصب ، وأقاموا على أرضها حكم الإسلام ، فأصبحت كلمة الله هى العليا .

---

(١) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة .

(٢) ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض أنت ولىّ فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ﴾ (يوسف : ١٠١) .

(٣) ﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ (يونس : ٨٤) .

وبعدها استمر الإسلام فى زحفه من شمال وشرق القارة الأفريقية ، إلى جنوبها ووسطها وغربها ، لكى يرد الأمم إلى ربّها بعد أن كان الشيطان قد نجح فى إجتيالها عن دينها .

ومن شمال القارة الأفريقية ، عبر المسلمون إلى الأندلس ، لكى يحرروها من ظلم الطواغيت ، ويقيموا على أرضها حكم الله سبحانه وتعالى ، منذ عام ٩٢ هـ .

وظلت أفريقية آمنة على نفسها ، ودينها ، وثرواتها ، فى ظل الدولة الإسلامية على عهد الخلفاء الراشدين ، وعلى عهد دولة بنى أمية وعلى عهد دولة بنى العباس وعلى عهد دولة آل عثمان وحينما ضعفت الدولة العباسية ، قفز إلى موقع السلطة فى مصر وبقية الشمال الأفريقى حكام ، منهم الصالح ومنهم الطالح ، وقامت دول منها ، دولة الأدارسة بالمغرب ، والدولة الطولونية بمصر ، وبعدها الإخشيدية والفاطمية والأيوبية (٥٦٤ هـ - ٦١٨ هـ) والمماليك فى مصر والشام (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ) .

ولقد تعرضت دول القارة الأفريقية لغزوات همجية ، كغيرها من بلاد العالم الإسلامى ، بين الحين والآخر ، ولكن الأمة كانت فى عافية من دينها ، فسرعان ما كانت تأخذ زمام المبادرة ، فتطرد الغاصِب الدخيل ، وتسترد حُرِّيَتَها ، وتنقذ دينها وإسلامها .

واستمر الحال هكذا طوال عهد الدولة العثمانية ، التى كما قلنا ، كانت تشكل الدرع الواقى لشعوب العالم الإسلامى ، وخاصة بلاد الشام والجزيرة العربية ومصر والشمال والشرق الأفريقى .

إلا أنه مع وجود الخلافة العثمانية ، نشطت حركة الغزو الأوربى التى تسترت بستار الدين ورفعت شعار الصليب، لاسترداد ما أسمته بمقدسات عيسى عليه السلام ، وإن كان عيسى عليه السلام يبرأ إلى الله منهم فى الدنيا والآخرة .

فأوروبا لم تكن فى يوم من الأيام من أتباع عيسى عليه السلام الرسول

المسلم[1] ، بل على العكس لقد وقفت أوروبا « الدولة الرومية » موقف العداء من دعوة عيسى عليه السلام ، واعتبرته ثائرا متمرداً يستحق القتل ، وأهدرت دمه وهذا الذى دفع اليهود إلى البحث عنه لقتله وإن كان الله قد نجاه منهم : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم ﴾[1]

كما أن حكام رومية ، كانوا ينظرون إلى أتباع هذا الرسول الكريم ، على أنّها طائفة ينذِر نُموُّها بالخطر ، وهذا الذى دفع نيرون أن يفتعل حريق رومية ويلصقه بأتباع عيسى عليه السلام فى العاصمة ، ثم أنزل بهم أسوأ أنواع النكال[2] !

بل بات الاعتراف باعتناق دين عيسى عليه السلام . جَريمة تؤدى بصاحبها إلى الموت أى أن أوروبا التى تسترت فى غزوها . واغتصابها لبلاد العالم الإسلامى ، بستار الدين ، لم تكن فى يوم من الأيام تحب الدين أو دعاته أو أنصاره ؛ وإنما جعلت ذلك وسيلة لتحقيق أطماعها فى اغتصاب بلاد العالم الإسلامى ومنه أفريقية .

وقد تبين لنا أيضا ، أن أوروبا قد تسترت فى اغتصابها لبلاد العالم الإسلامى ، بستار الكشوف الجغرافية ، وترقية شُعُوب وأمم القارة الأفريقية وغيرها :

ولقد تبين لنا أن ما أسمته كتب التاريخ والجغرافية باسم الكشوف الجغرافية ، هى حملات أوروبية تسترت بالدين وكان هدفها تطويق العالم الإسلامى واغتصابه مع ردّ أهله كفاراً ، أو استئصال شأفتهم ، .. لامكنهم الله من ذلك والدليل :

---

(١) النساء : ١٥٧ ؛ م . ب تشارلزورث (تعريب رمزى عبده جرجس ومراجعة الدكتور محمد صقر خفاجة ، الامبراطورية الرومانية ، القاهرة ، ص ١٧٥ - ١٧٩) .

(٢) ول . ديورانت (ترجمة محمد بدران) ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى من المجلد الأول ، قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ، الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية ، ط ٢ القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٣٥ - ١٣٧ ؛ دونالد ر . ددلى (ترجمة جميل بواقيم الذهبى ، فاروق فريد ، راجعه د . محمد صقر خفاجة ، حضارة روما ، دار نهضة مصر ، سنة ١٩٦٤ ، ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

أولا : أن البلاد التى زعمت أوروبا أنها قد اكتشفتها ومنها أفريقية وآسيا وغيرها . كانت مَعْرُوفَةً لدى الرحالة والمؤرخين والجغرافيين والتجار المسلمين قبل أوروبا بقرون طويلة كما إن البحَّارة والقباطنة الذين كانوا يعملون على السفن البرتغالية والأسبانية كانوا مسلمين ، بل إن ابن ماجد العربى النجدى ، كان فى مالندى حينما إلتقى به فاسكودى جاما فدلّه على طريق الهند .

ثانيا : ضرب فاسكودى جَامَا كالكوتا بالقنابل حينما تبين له أن أهلها كانوا مسلمين ، كما أمر بإحراق مجموعة من السفن التجارية الإسلامية كانت محملة بالأرز وقطع أيدى وآذان وأنوف بَحَّارتها(١) .

ثالثا : أغرق فاسكودى جاما سفينة فى خليج عُمان تنقل الحجاج من الهند إلى مكة وعلى ظهرها مائة حاج حيث أعدمهم جميعا بعد أن فعل بهم الأفاعيل .

رابعا : دمّر البرتغاليون فى مدينة كيلوا فى شرق أفريقية حوالى ثلاثمائة مسجد .

خامسا : مشروعات « البوكرك » وأقواله وهو الذى خلف فاسكودى جاما فقد كان يقول إنه يريد إنجاز مشروعين من مشروعاته قبل موته وهما :

(أ) تحويل مياه نهر النيل إلى البحر الأحمر ليحرم مصر من رى أراضيها ، وتخريب شبكة الرى التى كانت قائمة فيها آنذاك . ومن المعلوم أن مصر كانت أهم دولة إسلامية وقتذاك .

(ب) تهديم المدينة المنورة فى شبه جزيرة العرب ، ونبش قبر الرسول ﷺ .

سادسا : ما ألقاه البوكرك فى خطابه الذى ألقاه قبل هجومه الثانى على مدينة مالاقا فى شبه جزيرة الملايو عام ٩١٧ هـ - ١٥١١ م حيث يقول : « الأمر الأول هو الخدمة التى سنُقدمها للربّ عندما نطرد المسلمين من هذه البلاد ، ونُخْمدُ نار هذه الطائفة المحمدية حتى لا تعود للظهور بعد ذلك أبداً ،

---

(١) الكشوف الجغرافية دوافعها - حقيقتها ، ص ٢٧ .

وأنا شديد الحماس لهذه النتيجة .. إذا استطعنا تخليص مالاقا من أيديهم فستنهار القاهرة ، وستنهار بعدها مكة .

سابعا : الرسائل المتبادلة بين ملك البرتغال عمانوئيل وملكة الحبشة الينى ، حيث جاء فى رسالة للملكة تقول فيها : « بسم الله والسلام على عمانوئيل سيد البحر وقاهر المسلمين القساة الكفرة . تحياتى إليكم ودعواتى لكم ، لقد وصل إلى مسامعنا أن سلطان مصر جهّز جيشا ضخما ليضرب قواتكم ويثأر من الهزائم التى ألحقها به قوادكم فى الهند ، ونحن على استعداد لمقاومة هجمات الكفرة بإرسال أكبر عدد من جنودنا فى البحر الأحمر إلى مكة أو جزيرة باب المندب ، وإذا أردتم نسيرها إلى جدة أو الطور ، وذلك لنقضى قضاء تاما على جرثومة الكفر ، ولعله قد آن الوقت لإبادة الشعوب الإسلامية المتبربرة » .

ثامنا : ما أعلنه الأسبان صراحة فى رحلاتهم :

(أ) أنهم يهدفون إلى توسيع رقعة الممالك الأسبانية .

(ب) تنصير سكان البلاد التى يحتلونها .

(ج) إن مهمتهم تطويق العالم الإسلامى من ناحية الشرق

والعجيب أن رحلات كولمب ، حينما فشلت فى تحقيق أغراضها قبض عليه واتهم بالتواطىء .

تاسعا : حينما وصلت الحملة بقيادة أمريكوس فيسبونشى الفُلُورنسى ، إلى الأرض الجديدة بالنسبة لأوروبا ، بدأ حرب إبادة ضد السكان الأصليين ولاسيما أن وجد بينهم مسلمين .

عاشرا : حاول ماجيلان (٩٢٦ هـ/ ١٥١٩ م) تنصير أهل الجزر من المسلمين ، وحينما فشل فى مهمته نظرا لتمسك المسلمين بإسلامهم أحرق مساكنهم ، ومَثّل بَهِمْ وقد أطلق على هذه الجزر التى أشهرها مندناوا ، اسم

---

(١) الكشوف الجغرافية ، حقيقتها ، دوافعها ، ص ٣١ ؛ وهكذا نرى عداء حكام الحبشة وحقدهم على الإسلام وأهله ، ليس وليد عصر هيلاسلاسى ، أو منجستو ، ولكنه يرجع إلى زمن بعيد .

فيليب الثانى ملك أسبانيا (وهى التى تعرف الآن بالفلبين) .

هذه هى الدوافع الحقيقية لما أسمت كتب التاريخ اكتشافات أوروبا الجغرافية . إنها الروح الأوربية الحاقدة التى تسترت بستار الدين ، لتتمم ما بدأته الحروب الصليبية .

* وقد قدّمنا عرضا يثبتُ أن :

* المسلمين كانوا يعرفون أفريقية قبل أوروبا بعشرات القرون ، والدليل ما خلفه المسعودى من كتابات وما ذكره البيرونى (٣٦٢ هـ) فى كتاباته أن اتصال المحيط الجنوبى (الهندى) بالكبير (الأطلسى) عن طريق جنوب أفريقية قائم .

* أن ابن ماجد العربى هو الذى أرشد أسطول فاسكودى جاما فى المحيط الهندى ، ورسم له طريق الوصول إلى الهند .

* كشف قبر فى مقاطعة روديسيا على مقربة من نهر الزامبيز يرجع إلى السنة الخامسة والتسعين من الهجرة ، لرجل مسلم . وذلك يعنى أن المسلمين كانوا قد وصلوا بالإسلام إلى جنوب أفريقية فى الوقت الذى عبروا فيه مضيق جبل طارق ليصلوا بالإسلام إلى الأندلس (أسبانيا والبرتغال) .

* ما أثبته المقريزى فى خططه أن المسلمين كانوا يعرفون سواحل أفريقية الشمالية والشرقية والجنوبية ويترددون عليها ، وأنهم قد وصلوا إلى أقصى جنوب أفريقية منذ زمن بعيد وأن الصومال وممباسا وزنجبار وموزامبيق وجزر القمر كانت مراكز تجارية إسلامية .

وقد لاحظنا من خلال الدراسة التى قدمناها أيضا حرص أوروبا على :

* **تنحية الإسلام عن حياة الشعوب الأفريقية .**
* **ربط هذه الشعوب برباط التبعية الفكرية والاقتصادية والسياسة**

وحينما اغتصب الأوربيون ديار أفريقية ، كانوا حريصين على الإجهاز على كل صوت يرتفع بتوحيد الله عز وجل ، إن لم يفلحوا فى ردّ الناس كفاراً

أو حملهم على اعتناق المسيحية . ومن هنا كان الحرص على تنحية شريعة الله فى كل البلاد التى اغتصبوها ، والحيلولة بين الناس وبين تعلم دينهم . وبالإضافة إلى ما سبق ، كان المغتصب يصدر مجموعة من القوانين ، تقنن الظلم ، وتبيح الرذيلة ، وتكبل الناس بالأغلال التى تحول بينهم وبين إسلامهم ، سبب عزهم وقيام مجدهم .

فالحاكم أجنبى ، أو حاكم من أبناء الأمة يأتمر بأمر الأعداء ، والمحتل الأجنبى مواطن من الدرجة الأولى ، له الامتيازات ، وكل الحقوق المدنية والسياسية ، وأصحاب البلاد مواطنون من الدرجة الثانية أو الثالثة ، أو عبيد ليس لهم من حقوق المواطنة شيء ، بل وليس لهم من الحقوق الآدمية شيء ، فلا سكن صحى ، ولا عناية ولا تعليم ، ولا عناية صحية ، بل ولا غذاء كاف . وما يجرى الآن فى جنوب أفريقية تحت سمع وبصر ما يسمى بالعالم الحر والمتمدن ، وتحت سمع وبصر ما تسمى بالمنظمات الدولية خير شاهد على الحياة اللا إنسانية التى يعيشها إخوة لنا فى الإنسانية لقد شاهدنا كيف كان المحتل يصدر قوانينا يعتبر البلاد المغتصبة جزءا لا يتجزأ من الدولة المُحْتلّة ، كما فعلت البرتغال ، وأسبانيا ، وفرنسا التى كانت تعتبر الجزائر جزءاً من الوطن الفرنسى .

وبموجب القوانين الظالمة ، أصبح المغتصب المالك الوحيد للأراضى الزراعية الممتازة ، يوزّعها على من يشاء بما فى ذلك الشركات الاحتكارية التى ترتدى مسوح الأعمال الاقتصادية كما كان المغتصب يملك الشركات التجارية الكبرى ، والمصانع ، والمناجم ، كما كان يسيطر على جميع الوظائف الحيوية التى تمكن المغتصب من تحقيق أهدافه .

كما قام المحتل ، باستبدال الحروف العربية التى تكتب بها الأمم الأفريقية لغاتها ، بحروف لاتينية حتى تفقد صلتها بأمة العرب ، وفى مقابل ذلك فرض المغتصب لغته على الأمة وجعلها لغة المصالح والدواوين ، كما حرص على الرفع من المستوى الاجتماعى للذين يتعلمونها ، بل كان تعلم اللغة الأجنبية وإتقانها شرطا للحصول على الجنسية الفرنسية أو البرتغالية مثلا.

وحرص المغتصب على سياسة الإدماج ، إدماج البلاد المغتصبة فأصدر القوانين التى تقضى بمنح الأفريقى الذى يتعلم اللغة البرتغالية مثلا ويعتنق الكاثوليكية حق المواطن البرتغالى .

كما حرص المغتصب على تقييد الحريات ، وتكبيل المواطنين بالأغلال ، فلا تعبير يكفل حرية الرأى للناس ، الذين فرض عليهم أن يعيشوا فى ظل القوانين الاستثنائية ، ووصل بهم الحد إلى فقدان حرية التنقل داخل أقاليم الوطن الواحد بدون إذن خاص وسابق من شرطة المنطقة[١] .

والعجيب أن احتلال واغتصاب الكثير من الوطن الأفريقى جرى بموافقة ما تسمى بعصبة الأمم والواقع يؤكد أنها عصابة ؛ مثال ذلك حكومة جنوب أفريقية العنصرية التى أنتدبت !!! لتغتصب جنوب أفريقية بعد الحرب العالمية الأولى ، وبعد الحرب العالمية الثانية تحولَّ الانتداب إلى نظام وصاية بقرار أيضا من الأمم المتحدة . إنها وصاية الذئب الجائع على الغنم الوديعة ، ولكن من الذى يدرك ؟ ومن الذى يدفع الذئب العادى عن الغنم الوديعة[٢] ؟

* وكان يدير شئون البلاد المحتلة (التى سميت مستعمرات) حاكم عام تعينه وزارة المستعمرات وله السلطة المطلقة على الإقليم . ومنحت امتيازات استغلال موارد البلاد المحتلة لعدة شركات منها شركة موزمبيق وشركة « نياسا » وزمبيزيا التى كان النصيب الأكبر من رؤوس أموالها للإنجليز .

وكانت الإدارة ، تحافظ على مصالح هذه الشركات وتوفر لها العمال بسن قوانين العمل الإجبارى (السخرة) .

وكان للمحتل ، ولا زال فى جنوب أفريقية أماكن خاصة به لا يجوز لأصحاب البلاد دخولها ، كالمدارس والمستشفيات والمصالح الحكومية وغيرها[٣] .

---

(١) أفريقية ، ص ٥٠٥ .
(٢) أفريقية ، ص ٥٣٩ .
(٣) أفريقية ، ص ٥٢٩ - ٥٣٠

ومن أخطر ما تعرضت له أفريقية الهجمة التبشيرية ، التى استهدفت تحويل الشعوب الأفريقية إلى نصارى ؛ ليس حُبًّا فى النصرانية ، ولكن رغبة فى إعطاء بديل عن الإسلام للقلوب الخاوية ، وحرصا على ربط هذه الشعوب بعجلة الاستعمار الغربى .

وقد نشر د . عبدالحليم عويس إحصائية حديثة عن جهود التبشير فى أفريقية ، يعطى الإنسان المسلم شعوراً بالتقصير وبالذنب وهو يرى إخوة له يتعرضون للفتنة فى دينهم دون أن يستطيع مدّ يد المعونة إليهم .

إن حصيلة أربعة قرون من التبشير ، كما تقول الإحصائية : مائة وسبعون مليون مسيحى من مجموع السكان البالغ عددهم أربعمائة وأربعون مليونا . ويأتى ذلك نتيجة للتدعيم المادى الدولى الذى لا حدّ له للبعثات الذى تتلقاه البعثات التبشيرية . فالولايات المتحدة الأمريكية تنفق سنويا حوالى ستمائة مليون دولار على الإرساليات التبشيرية ؛ وذلك غير ما ينفقه الفاتيكان والدول الأوروبية الأخرى .

ولقد ترتب على رصد هذه الأموال ، إعداد ١٠٤,٠٠٠ من المُنَصِّرين ؛ ٩٣,٠٠٠ رجل وامرأة لتوزيع الإنجيل ، وافتتاح ٤٨٩ مدرسة لاهوتية ، ٢٥٩٤ مدرسة ثانوية ، ٨٣,٩٠٠ مدرسة ابتدائية . وتملك الكنيسة فى أفريقيا حوالى ستمائة مستشفى و ٩٣ جمعية للمرضى ذوى العاهات ، و ٢٦٥ ملجأ للأيتام ، و ٨٥ ملجأ للأرامل ، وكلُّها تعمل فى خدمة أهداف التنصير . وهنالك ست ملايين طالب مسلم يتعلمون فى مدارس تابعة للكنيسة . فعن طريق الخدمة التعليمية يُنَصَّر الناس ، وعن طريق الخدمة الصحية يُنصَر الناس ، وعن طريق الأنشطة الاجتماعية ينصر الناس ، وعن طريق تقديم الطعام والكساء ينصر الناس إن هذا كله يحدث فى وقت خلت فيه الساحة الأفريقية من أية جهود إسلامية تواجه هذه الهجمة الصليبية اليهودية الشرسة التى تهدف إلى رد المسلمين كفاراً ﴿ ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾[1] .

---

(١) يشير إلى ذلك قول الله تعالى : ﴿ وقال الملك إنِّى أرى سبع بقرات سمانٍ يأكلهنَّ سبعٌ عجافٌ وسبع سنبلاتٍ خضرٍ وأخرَ يابساتٍ يأيها الملأُ أفتونى فى رُؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ (يوسف ٤٣)

* **أهمية التخطيط لمواجهة المؤامرة**

يقول المحللون الاقتصاديون إن نذر المجاعة قد بدت منذ ثلاثة عشر عاما ، فأين كان المسئولون عن هذه الدول ، لماذا لم يدرسوا المشكلة فى ضوء التصور الإسلامى ؟ لماذا لم يخططوا لمواجهة الأمر ؟ لماذا اكتفوا بتسول المعونات والحلول من على موائد الغرب والشرق ؟ لماذا لم يرجعوا إلى كتاب الله وسنة النبى محمد ﷺ ، ليتعرفوا على الحلول ؟

لقد علمنا الإسلام كيف يواجه الناس مشكلة الحصول على الطعام عند التعرض لأية أزمة اقتصادية . نرى ذلك فى القرآن الكريم الذى حفظ لنا قصة شعب من شعوب أفريقية هو شعب مصر على عهد يوسف عليه السلام . لقد أدرك حاكم مصر فى ذلك الوقت أن البلاد ستتعرض - والبلاد المجاورة - لأزمة اقتصادية نتيجة نقص فى الحبوب ، تمتد لأربع عشرة سنة فطرح الأمر على أهل الاختصاص . وكان التخطيط ، وكان التنفيذ . اعتماداً على الأقوياء الأمناء على أقوات الأمة وأموالها ، وعلى العلماء ذوى البصائر وذوى القدرة على مواجهة هذه الأزمات .

وأسند ملك مصر دفة الأمور إلى نبى الله يوسف عليه السلام الذى وضع الخطة التالية التى نتبينها من قوله تعالى :

﴿ قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴾[1]

أى يأتيكم الخصب والمطر ، سبع سنين خصبة متواليات ، فإذا حصدتم فادخروه فى سنبله ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه إلا المقدار الذى تأكلونه ، وليكن قليلا قليلا لا تسرفوا فيه لتنتفعوا فى السبع الشداد ، وهن السبع السنين الجرداء .

---

(١) يوسف : ٤٧ - ٤٩ .

وبهذه الخطة استطاعت مصر بفضل الله ، ثم بفضل الرجال الأمناء . أن تخرج والبلاد المجاورة من محنة نقص الحبوب والثمار على مدار أربعة عشر عاما .

ومن خلال هذا العرض نخلص إلى ما يأتى :

١ - إنّ أهل مصر كانوا يزرعون المحاصيل التى كانوا يقتاتون منها ، وذلك يعنى أن الأولوية فى الزراعة للحبوب التى يأكلها الناس ، بدلا من زراعة المحاصيل النقدية التى لا تجدى بنفسها أو بثمنها فى مواجهة الحصول على رغيف الخبز ، الذى يجعل الأمة تحت رحمة - أعدائها - ، إن كان عندهم رحمة .

٢ - عدم الاعتماد على المعونات ، لأنها غالبا ما تكون معونات مشبوهة ومشروطة ، وتعرض حرية الأمة للضياع ، لأنه لا يستطيع أن يملك قراره ، من يمد يده لغيره !

٣ - الادخار ، فالناس يدّخرون فى وقت رخائهم ، لوقت الشدة .

٤ - أهمية الصيام ، وتعويد النفس ، الامتناع عن المباح ، والاكتفاء بالقدر اليسير من الطعام : حسب ابن آدم من طعامه لقيمات يقمن صلبه ، فمثل هذه الطاعة تعود الإنسان على مواجهة الشدائد وقد استعد لها ، دون أن يمد يده للآخرين .

٥ - عدم الاعتماد على الغير ، وخاصة الأعداء ، فى حل مشاكل الأمة ، وضرورة الاعتماد على الله ثم على النفس ، فالقرآن لم يقل لشعب مصر فى مواجهة المجاعة ، اقترض ، أو اطلب معونة ، ولكن قال لهم اعتمدوا على الله ، ثم على أنفسكم وخططوا لمستقبلكم .

ولا يفوتنا هنا أن نوجه نصيحة للاقتصاديين من أبناء المسلمين ، حينما يبحثون عن الحلول لمشاكل أمتهم وغيرها من الأمم ، أن يبحثوها فى ضوء كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ ، لأن بحث هذه المشاكل بمعزل من الكتاب والسنة ، وبمعزل من دين الله عز وجل ، لن يؤدى إلى إيجاد الحلول الصحيحة ، والدليل أن الاقتصاديين الذين يحملون أعلى الدرجات العلمية ، لم يستطيعوا ولن يستطيعوا حل مشاكل العالم مثل التضخم

وارتفاع الأسعار المتزايد ، والحصول على رغيف الخبز ، بل على العكس ، لقد زادوا المريض مرضا على مرضه .

تحذيــر :

تحذير من إعطاء الفرصة للصليبية[1] والصهيونية العالمية والشيوعية والإلحاد ، أن تتسلل إلى أفريقية لرد إخواننا فى الإسلام عن دينهم ، تحت شعار إنقاذهم من الموت جوعاً ، وتحت ستار أنها منظمات دولية .

من هذه المنظمات :

منظمة كاريتاس Karitas وهى هيئة نصرانية عالمية لها فروع فى كل بلد فيه نصارى ، وتزعم أنها تعمل من أجل إسعاف ضحايا الكوارث الطبيعية فى كل بلاد العالم ، وقد عقدت هذه الهيئة حديثا اجتماعا بمدينة داكار ، عاصمة جمهورية السنغال فى ١٠ مارس (آذار) ١٩٨٤ خصص لدراسة احتياجات المنكوبين فى هذا البلد الذى تبلغ فيه نسبة المسلمين ٩٥٪ وما يمكن أن تقدمه هى من مساعدات . وتجدر الإشارة إلى أن كاريتاس هذه تختار عينات من القرى النائية يهيىء فيها ظروفا لقابلية التنصير بين سكانها مقابل علبة السردين وبعض الكيلوغرامات من الأرز والدقيق .

لم تكن كاريتاس هذه هى المنظمة الوحيدة فى الميدان ، بل وجد إلى جانبها ، نادى « روترى » يقوم بدور لا يستهان به إذ يقوم بتقديم معونات إلى ضحايا الجفاف ، وهو كما هو معروف ، منظمة ماسونية تحقد كثيرا على الإسلام .

يضاف إليها نادى ليونس ، ومنظمة (S.O.S.) س . و . س

---

(١) الأمة العدد الخمسون ، السنة الخامسة ، صفر ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٩ .

وهكذا كانت إصابة بلدان إسلامية بهذه الآفة (المجاعة) فرصة أهتبلتها منظمات مشبوهة فى حقيقة هويتها التسلل باسم التضامن الإنسانى إلى عقر دار الإسلام ناشرة دعواتها التخريبية .

هذه لمحة خاطفة عن تاريخ القارة الأفريقية التى تبلغ مساحتها ثلاثين مليونا من الكيلومترات المربعة . والتى قامت على أرضها دول كانت ملء سمع الدنيا وبصرها ، تدين غالب شعوبها بالإسلام . هذه القارة من أغنى القارات بما أودعه الله فى باطن أرضها من ثروات ضخمة ، وبما أودعه الله سبحانه وتعالى فى تربتها من خصوبة .

هذه القارة تتعرض الآن للموت جوعا نتيجة المؤامرة العالمية التى تقوم على أكتاف اليهودية والصليبية والشيوعية العالمية ، والتى يقوم على تنفيذها ما تسمى بالدول الكبرى الأوروبية فهى التى اغتصبت أفريقية ، وهى التى خرجت بعد أن كبلت أفريقية بالأغلال ، وربطتها برباط التبعية العقدية والثقافية والفكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية والعسكرية .. إلى غير ذلك . فمن أبناء أفريقية من يتبع الفاتيكان ، ومنهم من يتبع الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية ، وغير ذلك .

وثقافة الشعوب الأفريقية فى غالبها امتداد للثقافات الفرنسية والإنجليزية وغيرها . ومناهج التعليم فى بلاد أفريقية هى المناهج التى وضعها المغتصب قبل أن يخرج ، ليضمن صبغ الأمم بالصبغة التى تضمن له دوران تلك الدول فى فلكه ، حقيقة هنالك بعض التغييرات قد طرأت على تلك المناهج ، ولكنها لم تخرج بها عن الإطار العام الذى وضَعه المحتل الأوروبى قبل أن يخرج .

فمناهج الدين الإسلامى لا وجود لها فى مناهج التعليم فى بلاد أفريقية إلا فى بعض الجامعات التي خصصوها لدراسة العلوم الشرعية كجامعة الزيتونة فى تونس ، والأزهر فى مصر ، ولكنها أيضا لم تسلم من المسخ والتشويه . أما فى المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعات الأخرى فلا وجود لمناهج الدين الإسلامى . فالطالب المسلم

ينشأ وليس لديه فكرة عن التوحيد أو الفقه أو القرآن أو الحديث ... إلى غير ذلك من العلوم الشرعية التي يجب فى حقه تعلمها ، والهدف مقصود وهو تربية أجيال لا تعرف لها ربًّا ولا ترتضى لها دينا .

وبالإضافة إلى ما سبق فقد حرص المغتصب على إضعاف دراسة وتدريس اللغة العربية حتى يضعفوا صلة الأمة بكتاب ربها وسنة نبيها محمد ﷺ . كما حرص أيضا على تشويه وتزييف أحداث التاريخ الإسلامى ، كما حرص على التجهيل به ، حتى لا تتعرف الأمة على حقيقة دورها فى الماضى ودورها فى الحاضر والمستقبل على أساس أنها خير أمة أخرجت للناس ، وأنه فى رقبتها مسئولية قيادة البشرية بكتاب ربها وسنة نبيها محمد ﷺ .

وهنالك مناهج أخرى تفسد الأمة أكثر مما تصلحها ، حرص المغتصب على زرعها قبل خروجه كمناهج ما يسمى بعلم الاجتماع ، والفلسفة وعلم النفس [1] . وكلها - فى معظمها - يفسد أكثر مما يصلح لأنه مبنى على نظريات معادية لدين الأمة وعقيدتها .

أما التبعية السياسية ، فكثير من دول أفريقية تدور فى فلك النظام الشيوعى ، وكثير منها يدور فى فلك الدول الأوروبية ، وكثير منها يدور فى فلك الولايات المتحدة الأمريكية ، بل إن الكثير من هذه الأنظمة هو من صناعة تلك الدول الأوروبية التى زرعت مشاكل الحدود والأقليات داخل أرض أفريقية لإثارة الفتن والقلاقل ، وتضمن إمساكها بزمام الأمر فى تلك البلاد ، وهذا الذى يمكن أن يفسر كثرة الانقلابات العسكرية داخل القارة الأفريقية التى تسعى لاستبدال سيدبسيد ونادراً ما تكون للتحرر من التبعية .

أما التبعية الاقتصادية فقد أشرنا إلى بعض ملامحها فى بداية كتابنا ، وكلها أدت إلى إغراق الدول الأفريقية بالديون الربوية ، وجعلت اقتصادها تحت سيطرة الدول الخارجية ، وأدت بها فى النهاية إلى تسولها رغيف الخبز من على موائد الأعداء . عجيب أمر هذه الأمم التى تحتاج إلى القمح والأرز والذرة لقوتها فتزرع

---

(١) ومثال ذلك أيضا مناهج الرقص والموسيقى والتمثيل والنحت وغير ذلك .

بدلا منه القطن والخضروات والزهور للتصدير (لأنها محاصيل نقدية) ثم تبحث بعد ذلك عن من يعطيها رغيف الخبز !!!

أما التبعية الاجتماعية ، فتتمثل فى أنماط الحياة الاجتماعية ، إنها امتداد لأنماط الحياة الأوروبية فاللباس تصنعه بيوت الأزياء فى أوروبا ، وعلى نمطها يجرى التقليد فى بلاد المسلمين والشراب يعتمد على احتشاء الخمر ، ولذلك تصنع الخمر فى بلاد المسلمين .

وفى أوروبا النوادى الليلية ونوادى القمار ، ونوادى العراة ، ومن هناك امتدت العدوى إلى بلاد المسلمين .

والتبعية العسكرية تتمثل فى أن أسلحة الجيوش وأنماط دراستها وتخطيطها هو امتداد للعسكرية الشيوعية أو الأمريكية أو الفرنسية أو الإنجليزية ، فماذا يرجى من خير بعد كل ذلك ؟؟

إنه لابد من التحرر ، ولن يكون ذلك إلا بالرجوع إلى الإسلام ، لا يكون إلا بتربية الفرد المسلم لبنة المجتمع المسلم .

إن العرض الذى قدمناه يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الأمم التى احتلت أفريقية وخرجت بعد أن كرّست الظلم وخلفت الجوع والفقر والمرض والجهل ، هى المجرم الحقيقى الذى يجب أن يعرفه كل أبناء أفريقية ، ولا يغتروا بما يقدمه من مساعدات محدودة ، ولا يغتروا بابتسامته العريضة ، فإنها تخفى وجها كالحاً ، ونية خبيثة لامتصاص ثروة أفريقية لآخر قطرة بعد الإجهاز على شعوبها .

وعلى الأقليات غير المسلمة فى أفريقية أن لا تصيخ السمع لتوجيهات المحتل الأوروبى فإنها غير سديدة ، بل أنها قد تؤدى بها إلى الهلاك ، وتدمير نفسها وغيرها . فالبشرية لم تعرف سماحة مثل سماحة الإسلام ، ولم تعرف عدالة مثل عدالة الإسلام ، بل إن المسيحيين فى كل مكان كثيراً ما كانوا يهربون من الحكام الأوروبيين واضطهادهم لهم ، لأن أوروبا لم تكن فى يوم من الأيام متدينة أو تحب الدين . ولكنه الستار الذى تخفى وراءه أطماعها .

إن أفريقية مطالبة ، بأن تعيد إلى أذهان أبنائها تاريخ هؤلاء الذين اغتصبوا أرضها ونساءها وثرواتها ، وأيّموا نساءها وأطفالها ، لأن هؤلاء المغتصبين لازالوا ضالعين فى تنفيذ مخططهم ، حتى نحذرهم ونبطل مخططهم .

إن العالم الغربى يريد لأفريقية أن تظل متخلفة ، فقيرة ، محرومة ، متناحرة ، متنازعة ، يحارب بعضها البعض ، ويقتل بعضها البعض ، ويقدم لها أدوات التدمير بسخاء بدلا من أن يقدم لها رغيف الخبز الذى تحتاجه !!

إن العالم الغربى ، يريد لأفريقية أن تموت جوعاً ، بل إنَّه قد خطط لذلك لو أراد ذلك العالم أن ينقذ إخواننا فى أفريقية من الموت جوعاً لفعل ، وما أعجزته الإمكانيات ، فالولايات المتحدة الأمريكية تنفق سنويا أربعة ونصف مليار دولار سنويا فى صناعة أطعمة الكلاب والقطط ، وهذا المبلغ يتجاوز مجموع الدخل القومى للقارة الأفريقية باستثناء الدول المنتجة للبترول .

ولكن حياة الحيوانات أهم لدى الولايات المتحدة من حياة الناس المسلمين !!! وإيطاليا تقتل آلاف من رؤوس البقر سنويا ، وتدفع عن كل رأس ٦٠٠ دولار لأصحابها ، للحفاظ على أسعار اللحوم ومنتجات الألبان . كما أن الدول الأوروبية تلقى كل عام بأطنان من محاصيل التفاح فى البحر أو تدفنها فى الأرض للحفاظ على أسعاره . كما أن بعض الدول الأوروبية بدلا من تقديم لقمة الخبز للشعوب الأفريقية ، تقدم السلاح الوفير للأنظمة للدفاع عن نفسها .

إننا فى الوقت الذى نسمع فيه أن خطر المجاعة يهدد مالى وساحل العاج والسنغال والصومال وأثيوبيا ، لا تزال المشكلة الأساسية أمام المزارعين الأمريكيين هى التخلص من الفائض الكبير من القمح .

فهل بعد ذلك من دليل على أن العالم غير الإسلامى يريد لأفريقية المسلمة أن تموت جوعا ، بل إنه قد خطط لذلك[١] .

وحينما نقول أن الإسلام هو المستهدف ، فالدليل واضح ، إن العالم غير

---

(١) الأمة ، العدد ٥٢ ، السنة الخامسة ، ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ ، ص ١٦ .

الإسلامى قد تداعى إلى مساندة دولة مثل أثيوبيا ، التى تشكل معقلا للصليبية والشيوعية واليهودية العالمية ، ولم يتداع لمساندة دولة مثل السودان .

فبريطانيا رصدت ٢٢٠ مليون جنيه استرلينى لنقل المعونات ، كما قدمت ١/٢ مليون كيسا من الحبوب على سبيل الإعانة العاجلة ، كما أرسلت ٤٧ طائرة نقل عسكرية فى مطار الحبشة لنقل المعونات .

ولكن لماذا تسلط الأعداء على أفريقية ، لماذا أقفرت الأرض ؟ لماذا قلت المحاصيل ؟ لماذا نضب معين الماء ؟ لماذا لا تنتفع أفريقية بثرواتها ، فى الوقت الذى ينعم بها الأعداء ؟؟ السبب كما بيّنا ، ما يوضحه قول الله تعالى : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديداً وعذّبناها عذاباً نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً ﴾[١] .

والحـل الذى لا حـل سـواه

ما بينه قول الله تعالــى

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾[٢] صدق الله العظيم .

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) الطلاق : ٨ - ٩ .

(٢) الأعراف : ٩٦ .



ملحقـات

(أ)

هذه هي حقيقة ما تسمى الكشوف الجغرافية كما يصورها الأستاذ محمود شاكر في مقالته : الكشوف الجغرافية حقيقتها ودوافعها :

أما في جبهة الأندلس فقد رأى البرتغاليون ضرورة تطويق المسلمين لإمكانية إحراز النصر ، فقام ملك البرتغال حنا الأول بحملة على المسلمين في مراكش ، واحتل سبتة، وجعل ابنه هنرى حاكماً عليها ، لكنهم وجدوا أن التطويق يجب أن يكون عن طريق الوصول إلى بلاد لا يسكنها مسلمون ، حتى لا يساعدوا سكان الأندلس بثورات يقومون بها ، فكان الانتقال على السواحل الأفريقية الغربية ، فكلما وصلوا مكاناً وجدوا فيه مسلمين تركوه واتجهوا نحو الجنوب ، بعد أن يؤسسوا فيه قاعدة ، وأخيراً وصلوا إلى الرأس الأخضر ، ولما وجدوا فيه مسلمين كانت خطوتهم أوسع ، فوصلوا الكونغو ، وتجاوزوا خط الاستواء ، ثم دفعت العواصف بارتلمي دياز نحو الجنوب حتى وصل أقصى الجنوب من القارة الأفريقية ، وتجاوزها حتى وصل إلى السواحل المطلة على المحيط الهندى ، ولما عاد سمى الطرف الجنوبي من القارة برأس العواصف ، ولكن ملك البرتغال أطلق عليه اسم رأس الرجاء الصالح حيث شعر بأمل في إمكانية تطويق المسلمين ، كان هذا والمسلمون لا يزالون مرابطين في الأندلس .

ضَعُفَ أمر المسلمين في الأندلس كثيراً ، واستطاع أخيراً الأسبان والبرتغاليون أن يخرجوهم منها نهائياً ، ولم يكتف الأسبان والبرتغاليون بهذا الإخراج بل أرادوا ملاحقة المسلمين في المغرب ، وإخراجهم منها ، وقد تمكنوا من السيطرة على بعض المراكز على شواطىء البحر الأبيض المتوسط شمال المغرب مثل مليلة ووهران ، كما استولوا على مناطق على شواطىء المحيط الأطلسى فى غرب

بلاد المغرب ، وبعد أن استقروا فى هذه المراكز شعروا بعدم إمكانية التوغل نحو الداخل لتمكن المسلمين ، وبعد أن ذهبت نشوة النصر الموقت ببعض حقدهم رأوا أن الاندفاع فى الحروب ، والمغامرات فى القتال لا تجدى شيئاً بلا تخطيط .

بدأ التخطيط ورأوا أن عليهم :

١ - معرفة طرق تجارية غير الطرق التى يسيطر عليها المسلمون ، وبهذا يصل الأوربيون إلى الشرق ، وينافسون المسلمين الذين يفقدون ما يجنون من أرباح من تجارة يسيطرون على طرقها .

٢ - عند الوصول إلى الشرق يجب السيطرة على تلك المناطق لإمكانية التطويق والاستعداد التام لقتال المسلمين .

٣ - يجب العمل على نشر النصرانية فى البلاد التى يدخلونها وحث النصارى على محاربة الإسلام حرباً لا هوادة فيها .

٤ - الاتصال بنصارى الشرق وحضهم على العمل معهم لاجتثاث جذور الإسلام .

٥ - الاستفادة من كل خلاف بين المسلمين .

كانت البرتغال تتبنى هذه الآراء وتعد لها وتسعى إلى تنفيذها ، وكانت قد أرسلت بعض اليهود الذين يجيدون العربية إلى مصر حيث أظهروا هناك الإسلام ، وتقربوا من الحكام مستفيدين من أوضاعهم المادية الحسنة ، فاستطاعوا أن يعرفوا أحوال جيش دولة المماليك أقوى الدول الإسلامية آنذاك ، والتى تسيطر على شرق أفريقية وتساعد المسلمين فى حربهم ضد الأحباش والنصارى ، كما تعرفوا على أوضاع البلاد الداخلية ، وسرقوا خرائط البحار ، والمعلومات عن الملاحة ، وكيفية التخلص من منطقة الهدوء الاستوائى التى بقيت لغزاً يصعب حله لدى الأوربيين حتى تلك الساعة ، حيث تهدأ الرياح فى المنطقة الاستوائية ولا تتحرك السفن التى تسير على الشراع ، وهى المعروفة فقط آنذاك ، ولا يمكن التنقل إلا فى الربيع شمالاً مع حركة الشمس الظاهرية ، وفى الخريف جنوباً مع تلك الحركة . وعندما أخذ اليهود كل ما يريدون انسلوا من مصر عائدين إلى البرتغال ، وقدموا ما لديهم للحكومة ، وبهذا حصلت البرتغال على ما تريد .

وما أن خرج المسلمون من الأندلس ، حتى كانت البرتغال قد أرسلت بعثة مؤلفة من ثلاثة مراكب برئاسة فاسكودى غاما - وكانت قد توافرت لديها كل المعلومات عن المنطقة - فوصل رأس الرجاء الصالح ٩٠٣ هـ - ١٤٩٧ ، والتف حول أفريقية ، وسارت سفنه مع تيار موزامبيق شمالاً ، وطلع على المراكز الإسلامية فى شرق القارة الأفريقية ، فدخل زنجبار عام ٩٠٧ هـ - ١٥٠٣ م واستولى على مدينة كيلوا عام ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م ، والتقى فى مالندى بالرحالة المسلم ابن ماجد الذى دله على طريق الهند . وهكذا يتأكد لنا أن البرتغاليين يريدون الوصول إلى نهاية بلاد الإسلام ليستطيعوا تطويقهم فإن فاسكودى غاما لم يقترب من سواحل بلاد العرب أو إيران أو سجستان ، وإنما اتجه مباشرة إلى الهند ، وتمكن من الوصول إلى كالكوتا ، ولكنه وجد فيها مسلمين ، واستقبل من قبل حاكمها استقبالاً سيئاً ، فأضمر الحقد ، وعاد إلى البرتغال ، ولكنه عاد بعد مدة على رأس حملة جديدة ، فاتجه مباشرة نحو كالكوتا ، وضربها بالقنابل انتقاماً لزيارته الأولى لها .

كان البرتغاليون يرغبون فى الوصول إلى آخر ديار الإسلام ، ولكنهم يئسوا من ذلك ، فما وصلوا إلى منطقة إلا وجدوا فيها مسلمين حيث كان المحيط الهندى آنذاك بحراً إسلاميا خالصاً ، لذلك فكروا فى الانتقام من المسلمين وغزوهم فى عقر دارهم فى أرض العرب . ويمكن أن نستشعر الروح الصليبية عند البرتغاليين فى كل الأعمال التى قاموا بها . فإضافة إلى ما قام به فاسكودى جاما من ضرب كالوتا بالقنابل ، فقد أغرق سفينة فى خليج عُمان تنقل الحجاج من الهند إلى مكة وعلى ظهرها مائة حاج حيث أعدمهم جميعا بعد أن فعل بهم الأفاعيل ، ثم عاد إلى كالكوتا فأحرق مجموعة من المراكب كانت محملة بالأرز ، وقطع أيدى وآذان وأنوف بحارتها . وكان فى مدينة كيلوا فى شرق أفريقية ثلاثمائة مسجد ، دُمّر معظمها على أيدى البرتغاليين بمجرد دخولهم المدينة ، وأعلن البرتغاليون بعد انتصارهم على المماليك فى معركة ديو البحرية أنهم سيهدمون الأماكن المقدسة الإسلامية فى مكة والمدينة ، وأنهم سيزيلون معها آخر آثار الإسلام ، وهذا ما جعل العثمانيين يتجهون نحو بلاد العرب يضمونها إلى دولتهم ليقفوا فى وجه البرتغاليين .

ونستطيع أن نحكم على الروح الصليبية التى سادت تلك الاكتشافات بل كانت الدافع الأساسى لها من مشروعات « البوكرك » وأقواله وهو الذى خلف فاسكودى غاما والذى يعود إليه الفضل فى توطيد دعائم الإمبراطورية البرتغالية ، فقد كان يقول : إنه يريد إنجاز مشروعين من مشروعاته قبل موته وهما :

١ - تحويل مياه نهر النيل إلى البحر الأحمر ليحرم مصر من رى أراضيها ، ويخرب شبكة الرى التى كانت قائمة فيها آنذاك . ومن المعلوم أن مصر كانت أهم دولة إسلامية وقتذاك من حيث موقعها وعدد سكانها وامتلاكها رقعة كبيرة من الأرض حيث كان يتبعها بلاد الشام وبلاد الحجاز .

٢ - تهديم المدينة المنورة فى شبه جزيرة العرب ، ونبش قبر الرسول ﷺ ، وأخذ كنوزه حيث كان يتصور أن ضريحه مليءٌ باللآلىء والمجوهرات شأن الفاتيكان ، وسرق رفاة الرسول ﷺ ، ويجعلها رهينة حتى يتخلى المسلمون عن الأماكن المقدسة فى فلسطين .

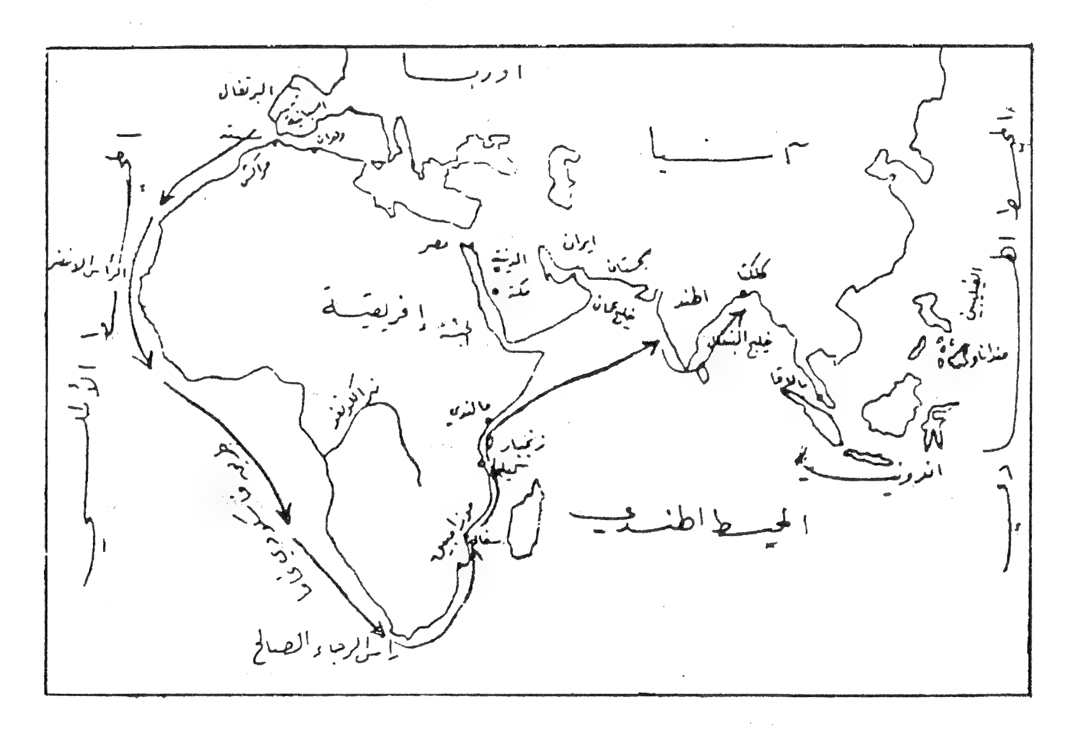
ولننظر إلى خطابه الذى ألقاه قبل هجومه الثانى على مدينة مالاقا فى شبه جزيرة الملايو عام ٩١٧ هـ - ١٥١١ م حيث يقول « الأمر الأول هو الخدمة الكبرى التى سنقدمها للرب عندما نطرد المسلمين من هذه البلاد ، ونخمد نار هذه الطائفة المحمدية حتى لا تعود للظهور بعد ذلك أبداً ، وأنا شديد الحماسة لمثل هذه النتيجة .... إذا استطعنا تخليص مالاقا من أيديهم فستنهار القاهرة ... وستنهار بعدها مكة »(١) .

وإن انتصار البرتغاليين على مالاقا قد هز أوروبا طرباً ، فقد استدعى ذلك إقامة قداس شكر فى عام ٩٢١ هـ - ١٥١٥ م ، وقد قال أحد الخطباء فى هذا القداس وهو « كاميلوبورتيون » وأمام ليو العاشر : إن هذا سيسهل استعادة القدس ، وفسر كيف أن الصليب وصل إلى أماكن بعيدة ، واتهم سلطان مالاقا بأنه مسلم متعصب يكره النصارى ، ونادى بحرب صليبية جديدة لاحتلال القدس(٢) .

---

(١) « الإسلام فى الشرق الأقصى » تعريف الدكتور نبيل الطويل .

(٢) نفس المصدر .



ونشم روائح الحقد من الرسائل المتبادلة بين ملك البرتغال عمانوئيل وملكة الحبشة إلينى حيث جاء فى رسالة للملكة تقول فيها « بسم الله والسلام على عمانوئيل سيد البحر وقاهر المسلمين القساة الكفرة ، وتحياتى إليكم ودعواتى لكم ، لقد وصل إلى مسامعنا أن سلطان مصر [illegible] جيشاً ضخماً ليضرب قواتكم ويثأر من الهزائم التى ألحقها به قوادكم فى الهند[1] ، ونحن على استعداد لمقاومة هجمات الكفرة بإرسال أكبر عدد من جنود فى البحر الأحمر وإلى مكة أوجزيرة باب المندب ، وإذا أردتم نسيرها إلى جدة أو الطور[2] ، وذلك لنقضى

(١) تعتبر الملكة المسلمين فى مصر والهند أمة واحدة وهذا شىء طبيعى، فرباط العقيدة هو الرابط الطبيعى بين المسلمين .

(٢) الطور يقصد بها طور سيناء والمقصود هنا السويس .

قضاء تاماً على جرثومة الكفر ، ولعله قد آن الوقت لتحقيق النبوءة القائلة بظهور ملك مسيحى يستطيع فى وقت قصير أن يبيد الشعوب الإسلامية المتبربرة ، ولما كانت قواتنا متوغلة فى الداخل وبعيدة عن البحر الذى ليس لنا فيه قوة أو سلطان فإن الاتفاق معكم ضرورى ، إذ أنكم أهل بأس شديد فى الحرب البحرية »[1] .

يتضح مما سبق أن دوافع الاكتشافات البرتغالية لم تكن وراء المعرفة فمن سار وراء المعرفة كان يمتاز بالصفات الإنسانية وهذا لم نلمسه أبداً خلال دراستنا ، كما لم تكن وراء التجارة والحصول على التوابل ، فمن كان تاجراً أو غريباً اتصف بالتودد إلى أهل البلاد وحسن الصلة بهم ، وهذا لم نشعر به أبداً من خلال ما ذكرنا ، كما لم تكن وراء الحصول على الذهب والمال لأن هذا لا يبحث عنه فى مكان مجهول . إن كل ما قامت به البرتغال لم يكن يدفعها إليه إلا الحقد الصليبى الأعمى فى محاولة لتطويق المسلمين والقضاء عليهم قضاء تاماً وهذا ما كنا نشعر به ونتوقع نتيجته قبل الانتهاء من عرض الأفكار .

أما أسبانيا وهى الدولة الأقوى والأكثر سكاناً ، بل عندما نقول أسبانيا فكأننا نقصد البرتغال أيضا ، ونتيجة لهذا كانت تتلقى مساعدات من أوروبا أكبر حيث نجد معظم ملاحيها ليسوا من الأسبان ، وإنما من باقى دول أوروبا التى كانت ترفد هذه المنطقة بكامل إمكاناتها حيث كانت على تماس مباشر مع المسلمين وفى حرب دائمة معهم وإلا لماذا لم تتلق بقية الدول مثل هذه المساعدات ؟ ولماذا لم تقم بمثل هذه الكشوف وكانت أقوى من أسبانيا والبرتغال اللتين كانتامن دول الدرجة الثانية أو الثالثة .

كانت مهمة أسبانيا الالتفاف على المسلمين من ناحية الشرق بينما كلفت البرتغال بالتحرك من الجنوب لإتمام عملية التطويق ، وكانت قد وصلت إلى مسامع الأسبان فكرة كروية الأرض ، وإمكانية الوصول إلى الشرق عن طريق

---

(١) علاقة الدولة المملوكية بالدول الأفريقية لحامد عمار .

الاتجاه نحو الغرب كما كانوا على علم أن سفناً مسلمة قد تحركت نحو الغرب ولم تعد ، بل تكررت هذه العملية .

أعطت أسبانيا المعلومات اللازمة لبحارتها القادمين إليها من بقية الدول الأوروبية ، والمدربين على القتال فى مدارس خاصة ، وقد شحنوا حقداً ضد المسلمين ، وملئوا غيظاً من خلال معلومات التاريخ التى ألقيت عليهم مشوهة مغلوطة .

غادر كولومب الجنوى الأصل أسبانيا ومعه ثلاث سفن فى ٣ آب ٨٩٨ هـ - ١٤٩٢ م ، ووصل جزر كناريا (الخالدات) ، ومنها تابع رحلته نحو الغرب ، وقد أظهر البحارة قلقهم من طول الرحلة ، وثاروا على كولومب ، وطلبوا إليه الرجوع ، ولكنه تمكن بما أثاره فى نفوسهم من حماسة ضد المسلمين أن يهدئهم ، وأخيراً وصل إلى جزر الآنتيل فى أميركا الوسطى فى ١٠ تشرين الأول من نفس العام .

وتكررت رحلات كولومب حتى بلغت أربعاً ، ولكنه لم يستطع خلالها من الوصول إلى الغاية المطلوبة وهى تطويقُ المسلمين ، لذا ألقى عليه القبض ، وأرسل مقيداً إلى أسبانيا ، واتهم بالتواطؤ ، وأخيراً عفى عنه .

ثم قام أمريكوس فيسبوشى الفلورنسى الأصل برحلة ، وعرف أن ما وصل إليه كولومب إنما هى أرض جديدة بالنسبة إلى أوروبا ، وبدأت حرب الإبادة بالنسبة إلى سكان أميركا الأصليين ، ولا سيما إن وجد بينهم أحد من المسلمين ، ونحن نتوقع أن عدداً من المسلمين كان يقيم هناك - كما سنوضح - ولكن طمست الحقائق ، وأخفيت المعلومات .

ثم غادر ماجلان أشبيلية فى أيلول ٩٢٦ هـ - ١٥١٩ م ، وطاف حول أميركا الجنوبية ، ومرَّ من أقصى جنوبها من ممر أرض النار الذى عرف فيما بعد باسم مضيق ماجلان ، ودخل المحيط الهادى ، وسار فيه ثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، ولم ير خلالها عاصفة ولا يابسة عدا جزيرتين غير مأهولتين ، وقد نقصت منهم المؤن ، وفتك بهم المرض ، وأخيراً وصلوا إلى تلك الجزر التى عرفت فيما

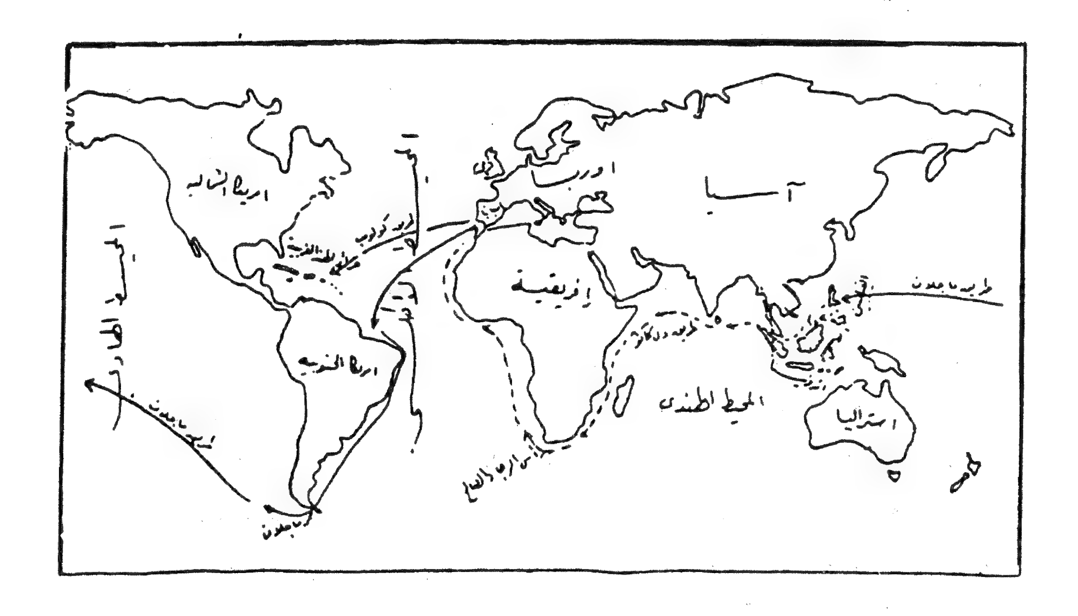
بعد باسم جزر الفلبين تخليدا لملك أسبانيا آنذاك فيليب الثانى وقبل قدوم الأسبان إلى تلك الجزر كان أهلها منتظمين فى كيانات سياسية صغيرة على رأس كل منها حاكم يدعى « داتو » ويندمج بعضها فى كيانات أكبر يحكمها « راجا » .

منذ أن وصل ماجلان إلى تلك الجزر فاحت رائحة الصليبية حتى ملأت الجو بحقدها البغيض الذى يحمل معه روائح جثث الموتى الكثيرة التى لاقى أصحابها حتفهم بأيدى الصليبية . فقد اتفق ماجلان مع ملك جزيرة سيبو وكان يدعى « هومابون » على أن يدخل فى الديانة الكاثوليكية ، مقابل أن يجعله ملكاً على جميع الجزر تحت التاج الأسبانى ، ورضى « هومابون » بذلك ، وظن أن ماجلان يستطيع ذلك ما دام يملك بعض الأسلحة النارية التى جعلته يتكلم من مركز القوة ، ويظن بنفسه أنه ملك الثقلين .

أخذ ماجلان يعمل على تمكين صديقه من السيطرة على بقية الجزر ، وانتقل الأسبان من جزيرة سيبو إلى جزيرة صغيرة بالقرب منها ، وكان عليها سلطان مسلم يدعى « لابو لابو » وبمجرد أن علم الأسبان أن الحاكم مسلم ثار حقدهم وصبوا جام غضبهم على السكان حيث طاردوا النساء ، وسطوا على الطعام ، فقاومهم الأهالى ، فأضرم الأسبان النار فى أكواخ السكان ، وفروا هاربين .

رفض « لابو لابو » المسلم الخضوع لماجلان ، وحرض سكان الجزر الأخرى عليه ، ورأى ماجلان الفرصة مناسبة لإظهار قوته وأسلحته الحديثة حتى يرهب بقية الأمراء والسلاطين ، وذهب مع فرقة من جنوده مزودين بأسلحتهم لقتال « لابو لابو » وتأديبه . طلب ماجلان من « لابو لابو » قائلاً : « إننى باسم المسيح أطلب إليك التسليم ، ونحن العرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى منكم بحكم هذه البلاد » ، فأجابه السلطان المسلم « لابو لابو » : « إن الدين كله لله ، وإن الإله الذى أعبده هو إله جميع البشر على اختلاف ألوانهم » . ثم هجم على ماجلان وقتله بيده ، وشتت شمل فرقته ، ورفض تسليم جثته للأسبان ، ولا يزال قبره هناك فى جزيرة سيبو شاهداً على ذلك .

تابع نائب ماجلان « دل كانو » الطريق ، وعاد إلى أسبانيا عن طريق أندونيسيا – رأس الرجاء الصالح ، فوصلها فى ١٦ أيلول ٩٢٩ هـ – ١٥٢٢ م



على ظهر سفينة واحدة ، وهى التى بقيت من أصل خمس سفن تألف منها أسطول ماجلان عند بدء الرحلة ، وصلت وعليها ١٨ راكباً من أصل ٢٦٥ راكبا انطلقوا من أشبيلية .

بعثت أسبانيا أربع حملات أخرى متتابعة ، ومن سوء حظ هذه الحملات أنها نزلت على شواطىء جزيرة مندناو جنوب الفلبين حيث يكثر المسلمون ، فقتل أفراد الحملات جميعاً لما أبدوا من حقد وروح صليبية ، إذ أعلن الأسبان صراحة أنهم جاءوا لتطبيق سياسه هدفها :

١ – توسيع رقعة الممتلكات الأسبانية .
٢ – تنصير سكان البلاد التى يحتلونها .

ولا يخفى على إنسان ما فى هذه السياسة من أحقاد وضغائن ، وخاصة على المسلمين الموجودين هناك حيث لا يوجد أمامهم أمام تطبيق هذه السياسة

إلا الارتداد وإعلان النصرانية أو الموت الذى لا يزال يلاحقهم حتى الآن .

وهكذا نرى أن الروح الصليبية لم تكن أقل ظهوراً عند الأسبان منها عند إخوانهم البرتغاليين . وهكذا كانت الدوافع الحقيقية لاكتشافات أوروبا الجغرافية هى الروح الصليبية الحاقدة كذلك يمكن أن نجعلها تتمة للحروب الصليبية أو فاتحة للحروب الصليبية الجديدة التى عرفت باسم الاستعمار .

حقيقة الاكتشافات الجغرافية

عرفنا الدوافع التى دفعت أوروبا للقيام بما أسمته الاكتشافات الجغرافية ، ولكن يجب أن نعرف الآن ما حقيقة هذه الاكتشافات الجغرافية ، هل أول مرة عرف العالم هذه المناطق التى وصل إليها الصليبيون أم كانت معروفة من قبل ؟ وإنما وصلها الأوروبيون بعد أن نفضوا عن أعينهم غبار الجهل لأول مرة فاعتبروها اكتشافات خالدة لم يسبقهم إليها أحد ، وسيطروا بعدها على العالم ، فأملوا عليه ما اعتقدوا ، وأخذ الناس منهم هذا الكلام على أنه حقيقة واقعة ، وقلدهم من سار على نهجهم حتى ساد هذا الكلام وتناقلته المدارس ودور العلم ، وقد آن الأوان لإظهار الحقيقة واملاء الواقع وتعليم الناس الحق .

إن الاكتشافات التى نريد معرفة حقيقتها هى التى تمت على أيدى البرتغاليين والأسبان فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى مطلع القرن العاشر الهجرى ، وهى الوصول إلى رأس الرجاء الصالح فى أقصى جنوب قارة أفريقية ، والوصول إلى القارة الأمريكية .

١ - الوصول إلى رأس الرجاء الصالح :

دفعت الرياح بسفن بارتلمى دياز نحو الجنوب عام ٨٩١ هـ - ١٤٨٦ م ، وهو يسير ويتنقل نحو الجنوب لإمكانية تطويق المسلمين ، وأسمى أقصى جنوب أفريقية رأس العواصف ، ثم وصله فاسكودى غاما عام ٩٠٤ هـ - ١٤٩٧ م ، والتف حول أفريقية ، وساير شواطئها الشرقية متجهاً نحو الشمال ، فكان أكثر

شجاعة من سلفه حيث كان المسلمون قد خرجوا من الأندلس والجولة للأسبان والبرتغال .

ظن البرتغاليون – أو هكذا أرادوا – أن أقدامهم أول أقدام تطأ تلك المنطقة ، ولكن كان المسملون قد ارتادوا تلك الأصقاع أثناء تنقلهم جنوباً على سواحل أفريقية الشرقية التى عرفوها من القديم ، والتى أقاموا على طولها مراكز تجارية لهم ، وكانت مدينة سفالة آخر مركز لهم ، وتقع فى موزامبيق اليوم جنوب خط العرض ٢٠° جنوباً ، وليس من المعقول أن يكون هذا المركز آخر مكان وصلوا إليه ، بل لا يكون المركز التجارى عادة آخر مكان معروف بل فى مكان متوسط ، فلابد أن يكون المسلمون قد تنقلوا جنوبا ، ووصلوا إلى أقصى جنوب أفريقية ، خاصة وهم سادة البحر فى تلك الأيام ، وبيدهم مقاليد التجارة فى تلك الجهات ، كما يذكر البيرونى الذى عاش فى القرنين الرابع والخامس الهجريين (٣٦٢ – ٤٤٠ هـ) أن اتصال المحيط الجنوبى (الهندى) بالكبير (الأطلسى) عن طريق جنوب أفريقية قائم مما يدل على معرفة المسلمين بذلك ، ولم يكن هذا الكلام وتلك المعرفة دون القيام برحلة أو زيارة ، أو نقل عمن زار . ومن المعلوم وكما ذكرنا أن ابن ماجد هو الذى أرشد أسطول فاسكودى غاما فى المحيط الهندى ، ورسم له طريق الوصول إلى الهند ، إذ ليس من الممكن أن يكون هذا البحار قد توقف عند سفالة ولا يعرف شيئا عن المناطق التى تقع جنوبها ، وقد قرأ عن اتصال البحرين فى كتب من سبقه إضافة إلى أنه ليس هناك من موانع تحول دون وصول المسلمين إلى أقصى القارة فالموانع تكون عادة عدم اتصال فى البر مع وجود مسطحات مائية مجهولة أو اختلاف فى المناخ لا يسمح بإقامة البشر ، أو تكون هناك موانع بشرية ، وهذا كله غير موجود ، فالاتصال البرى قائم والسفن الإسلامية تمخر عباب المحيط قادمة وآيبة ، والمناخ جيد بل يميل نحو الاعتدال كلما اتجهنا جنوباً ، وليست هناك تجمعات بشرية تحول دون ذلك ، بل إن الفراغ قائم وسكان تلك المنطقة كانوا على درجة كبيرة من القلة ، وهذا ما جعل المسلمين لا يصلون إلى هناك بتجارتهم إلا نادراً ، مما حدا بالكثير أن يقولوا بعدم معرفة المسلمين لتلك الأرجاء ، ويحسن فى هذا المجال أن نذكر ما استدل عليه الدكتور ستانلى تيمور بعد أن اكتشف قبرا فى مقاطعة روديسيا

على مقربة من نهر الزامبيز يعود إلى ما قبل ثلاثة عشر قرناً وقد نقش عليه ما يلى : « بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله . هذا قبر سلام بن صالح الذى انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة فى السنة الخامسة والتسعين من هجرة النبى العربى ﷺ » .

وقد استدل ستانلى تيمبور من ذلك أن المسلمين قد وصلوا تلك الأصقاع فى جنوب أفريقية ، وأنهم قد استثمروا مناجم الذهب ، واستدل من آثار عربية أخرى وجدها فى تلك البقاع على أن المسلمين قد استثمروا تلك البلاد زمناً طويلاً قبل أن يصل إليها البرتغاليون .

وقد أثبت أصحاب الخطط – وبينهم المقريزى – أن كل سواحل أفريقية الشمالية والشرقية والجنوبية ، قد كشفها العرب بعد الفتح الإسلامى بزمن وجيز ، على عهد الخلفاء الأمويين والعباسيين ، فى إبان مجد العرب وسعة سلطانهم ، ثم توغلوا فى مجاهل النيل والنيجر والكونغو .

وفى بدء الفتوح الإسلامية اجتازت مراكبهم سواحل أفريقية كلها ، وملكوا الصومال وممباسا وزنجبار وموزامبيق ، وجزائر القمر ، ووسعوا تجارتهم فى تلك الجهات ، فاتجروا فى الذهب وريش النعام والعاج والتوابل والطيوب[١] .

وإضافة إلى هذا كله فإن المصريين القدماء قد التفوا حول أفريقية من البحر الأحمر وعادوا عن طريق جبل طارق الذى كان القدماء يسمونه عمود هرقل ، وذلك فى القرن السابع قبل الميلاد أيام الملك نخاو الذى كان عظيم الاهتمام بنشر تجارة مصر فى العالم الخارجى[٢] .

إذن عرف المسلمون أقصى جنوب أفريقية قبل أن يعرفه البرتغاليون بمدة طويلة ، وادعاء البرتغال بأنها أول من عرف رأس الرجاء الصالح هو ادعاء باطل تماماً ، وإنما جاءت معرفتها تلك لأول مرة بالنسبة لها ولأوروبا ، وكانت قبل

---

(١) الجغرافيون العرب : مصطفى الشهابى ص ٣١ .
(٢) الجغرافيون العرب : مصطفى الشهابى ص ١٦ – ١٧ – ١٨ بتصرف .

معرفة بقية الدول الأوروبية الأخرى التى كانت لا تزال على حالة من الجهل وإن كانت فى أواخر مراحلها .

٢ - الوصول إلى أميركا :

عندما رست بواخر أمريكوس فيسبوشى على شواطى القارة الأمريكية التى حملت اسمه عرف أنها أرض جديدة ، لم تطأها بعد أقدام الأوروبيين ، ولم يعلموا بها ، وأنها ليست جزائر الهند الغربية كما ظنها كريستوف كولومب الذى سبقه إليها .

ظن الأسبان - أو هكذا أرادوا - أن بواخرهم أول بواخر وصلت إلى تلك الأرض ، وأن رجالهم أول رجال عرفوا تلك المنطقة ، ولكن الحقيقة تدحض رأيهم وتكذب ما أرادوا نشره .

١ - عندما وصل الأسبان إلى تلك الأرض وجدوا أناساً يقيمون عليها ، كما وجدوا حضارات قائمة وتعتبر الآن من جملة الحضارات القديمة المعروفة ، ألا وهى حضارة الآزتك فى المكسيك ، فمن أين جاء هؤلاء الناس ؟ أليسوا من البشر ؟ ألا يعود البشر إلى أصل واحد وهو آدم ؟ إذن وصل الإنسان إلى أميركا قبل وصول الأسبان بمدة طويلة ولا يزال تاريخها مجهولاً ؟؟

٢ - يروى لنا المسعودى خبراً من أخبار مغامرات كثيرة جرت لركوب مياه المحيط الأطلسى إلى آخره فيقول « ويذهب قوم إلى أن هذا البحر أصل ماء سائر البحار، وله أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا فى أخبار الزمان وفى أخبار من غرر بهم ، وخاطر بنفسه ، ومن نجا منهم ، ومن تلف ، وما شاهدوا منه ، وما رأوا . وإذ برجل منهم من أهل الأندلس يقال له خشخاش ، وكان من فتيان قرطبة وأحداثهم، فجمع جماعة من أحداثها ، وركب بهم فى مراكب أعدها فى هذا البحر المحيط ، فغاب مدة ، ثم انثنى بغنائم واسعة ، وخبره مشهور عند أهل الأندلس » .

٣ - ويروى لنا الإدريسى خبر الفتية المغرورين وهم ثمانية شبان أبناء عمومة ركبوا المحيط مخاطرين بأنفسهم فيقول « ومن مدينة لشبونة كان خروج

المغرورين فى ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه ... ولهم بمدينة لشبونة بموضع من قرب الحمة درب منسوب إليهم يعرف بدرب المغرورين إلى آخر الأبد . وذلك أنهم اجتمعوا ثمانية رجال كلهم أبناء عم ، فأنشئوا مركباً حمالاً وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ، ثم دخلوا فى البحر فى أول طاروس الريح الشرقية (أى هبوبها) ، فجروا بها نحواً من أحد عشر يوماً ، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج ، كدر الروائح ، كثير التروش (أى الصخور التى لا يكاد يسترها الماء) ، قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم باليد الأخرى ، « وجروا فى البحر من ناحية الجنوب اثنى عشر يوماً ، فخرجوا إلى جزيرة الغنم ، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل ، وهى سارحة لا راعى لها ، ولا ناظر إليها ، فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها ، فوجدوا عين ماء جارية ، وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها ، وساروا مع الجنوب اثنى عشر يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة ، فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوا إليها ، لينظروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم فى زوارق هناك ، فأخذوا ، وحملوا فى مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر ، فأنزلوا فى دار ، فرأوا بها رجالاً شقراً ، زعروا شعور رؤوسهم ، شعورهم سبطة ، وهم طوال القدود ، ولنسائهم جمال عجيب . فاعتقلوا فيها فى بيت ثلاثة أيام . ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى ، فسألهم عن حالهم ، وفيم جاءوا، وأين بلدهم . فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيراً ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك . فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك اليوم أحضروا بين يدى الملك فسألهم عما سألهم الترجمان عنه فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالأمس من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والعجائب ، ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ضحك ، وقال للترجمان : خبر القوم أن أبى أمر قوماً من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا فى عرضه شهراً ، إلى أن انقطع عنهم الضوء ، وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة تجدى . ثم أمر الملك الترجمان أن يعدهم خيراً ، وأن يحسن ظنهم بالملك ، ففعل ، ثم صرفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدا جرى الرياح الغربية ، فعمر بهم زورق ، وعصبت أعينهم ، وجرى بهم فى البحر برهة من الدهر . قال القوم : قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها ، حتى جىء بنا إلى البر ، فأخرجنا ،

وكتفنا إلى خلف ، وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار ، وطلعت الشمس ، ونحن فى ضنك وسوء حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بأجمعنا ، فأقبل القوم إلينا ، فوجدونا بتلك الحال السيئة ، فحلوا من وثاقنا ، وسألونا ، فأخبرناهم بخبرنا ، وكانوا برابر ، فقال لنا أحدهم : أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم ؟ فقلنا : لا ، فقال : إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم : واأسفى . فسمى المكان إلى اليوم « آسفى » وهو المرسى الذى فى أقصى المغرب » .

يعتقد بعضهم أن الفتية المغامرين قد وصلوا إلى جزر آصور التى يرجح أنها كانت مجهولة عند العرب ، ومنها انتقلوا إلى جزر ماديرا ، وقبض عليهم فى جزر كنارى (الخالدات) .

ولا يستبعد بعضهم الآخر أن يكون الشاطىء الذى رسوا فيه أحدى جزر أميركا الجنوبية فى البحر الكاريبى أو الآنتيل لأن مثل هذه المدة التى قطعوها تحملهم إلى هذه المنطقة ، وأنا من أنصار هذا الرأى لأن :

١ – الأرض التى وصل إليها هؤلاء الفتية سواء كانت أميركا أو جزر كنارى ، فإن المسلمين قد عرفوها من قبل ، وكانوا فيها كثرة بدليل وجود الترجمان الذى يتقن اللغة العربية ، ولا يوضع ترجمان للملك فى بلاد لا يوجد فيها من يجيد هذه اللغة إلا الترجمان نفسه ، وهذا يؤكد معرفة المسلمين لأميركا قبل هؤلاء الفتية لمن يعتقد أن وصولهم كان إليها ، ولكن هذه المعرفة كانت بالوصول دون العودة حيث يصعب الإياب بعد أن يلاقى الذاهبون المخاطر والأهوال فى ركوب المحيط فيفضلون البقاء .

٢ – رؤية الفتية للرجال الشقر ذوى الشعر السبط والقدود الطويلة وجمال النساء العجيب تلقى ضوءاً إلى أن الوصول كان لأميركا الشمالية ، وليس إلى أمريكا الجنوبية أو جزر كنارى ، فإن هذه الصفات التى وصفوها إنما تنطبق على سكان المناطق الشمالية من الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين .

٣ – رواية الملك عن فعل أبيه تدل أن المسافة طويلة والاحتمال الأقوى أن تكون البلاد التى وصلوا إليها أميركا وليست جزر كنارى .

٤ - تصرف الملك فى سجن الفتية ووضع العصائب على أعينهم يدل على معرفة الملك بجهل الآخرين بمكان بلاده ، وصعوبة العودة لطول المسافة والتى دونها لجج البحار ولو كانت المسافة قصيرة مثل جزر كنارى ووصلها المسلمون بدليل وجود الترجمان ، لمخرت السفن الإسلامية اليم ذاهبة وآيبة دون مبالاة بالبحر والمسافة .

٥ - تقدير الفتية لمسيرهم من المكان الذى وصلوا إليه إلى سواحل المغرب تقدير ليس بصحيح .

٦ - الرواية فى نهايتها غير صحيحة ، فلا يمكن أن يتخذ الملك هذه الاحتياطات الكبيرة للتعمية عن بلاده ، ثم يأمر بتوصيلهم إلى الساحل المغربى على ظهر زورق يعود إلى بلاده ، فلربما رآه أحد ، وهذا ما يفسد كل ما وضعه الملك من خطة فى سجنهم ووضع العصائب على أعينهم ، بل لربما استدعى ذلك ملاحقة الزورق أثناء عودته . كما ويبدو أن الفتية أثناء ذهابهم لم يعرفوا اتجاه سيرهم تماماً فقالوا : إنه جنوب وهو غير ذلك .

وأخيراً نقول : ليست هذه المغامرة أو هذه المحاولة هى الوحيدة بل جرت عدة محاولات بعضها بشكل انفرادى وبعضها بشكل جماعى ، بعضها بصورة شخصية والآخر بشكل رسمى بعلم الدولة وترتيبها وتخطيطها وإشرافها كما حدث فى القرن الرابع الهجرى حيث انطلقت مائة سفينة ولم تعد . بعض هذه الرحلات كان بأفراد محدودين وبعضها الآخر بجماعات عديدة ، فلابد أن يكون قد وصل بعضها واستقر هناك ، وأثر فى المجتمع الذى عاش فيه سواء من ناحية العقيدة والدين أم من ناحية البناء والمدنية ، وهذا ما تشير إليه بعض الملاحظات وتؤكده ، ولكن الأسبان الذين انطلقوا بروح صليبية قد أزالوا كل أثر لهذا ، وقضوا على المسلمين وآثارهم قبل كل شىء ، وكتموا الخبر ، حتى نسى تماما ، ومن بعض ما يؤكد ذلك :

١ – جاء فى مجلة المقتطف ١٣٤٥ هـ شهر آب ١٩٢٦ مقالة ملخصة عن مقالة لبرتن كلين فى مجلة العالم اليوم World to day ١٣٤٥ هـ شهر شباط ١٩٢٦ ويتكلم فيها عن كتاب عنوانه (إفريقية وكشف أميركا لمؤلفه ليوفينر ، ويذكر فيها أن كلمات عربية موجودة فى لغاتِ هنود أميركا ، ويقول المؤلف : إن قدم هذه الكلمات يعود لعام ٦٨٩ هـ – ١٢٩٠ م أى قبل قرنين من وصول كولومب إلى أميركا ، وقال أيضاً : إن هناك بعض العمران العربى مثل بناء الأزد وبناء المساية .

٢ – جاء فى مجلة المقتطف أيضاً عام ١٣٦٥ هـ عدد شباط١٩٤٥م مقال لانستاس الكرمى يقول فيه : « وقد اتجهت بعض الأبحاث العلمية الحديثة إلى القول بأن المسلمين عرفوا أميركا قبل كولومب ، وأشار أصحاب هذه النظرية إلى وجود كلمات عربية فى لغات هنود أميركا ، وإلى أن كولومب وجد فى رحلته الثالثة زنوجاً وذهباً إفريقياً فى جزر الهند الغربية (أميركا) ، وأن مدنية بعض الجماعات الهندية فى أميركا تشبه المدنية الإسلامية إلى حد كبير » ولربما كان هذا الذى جعله يظن أنه وصل إلى جزر الهند .

٣ – حاول عرب السودان الغربى فى أوائل القرن الثامن الهجرى أن يبلغوا الشاطىء الغربى من المحيط الأطلسى ، فقد كانت هناك مملكة إسلامية عظمى فى بلاد مالى تعرف باسم بلاد التكرور وهو أحد أقاليم تلك المملكة الواسعة . وقد حكمها فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ملك يدعى (منسى موسى) وحدث أن أراد ذلك الملك الحج عام ٧٢٤ هـ – ١٣٢٤ م فمر بمصر وقابل الملك الناصر ، وقدم له ولأتباعه هدايا فاخرة [١]

وقد روى مؤلف (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) شهاب الدين بن فضل الله العمرى المتوفى ٧٤٨ هـ ، روى هذا أن أحد حجاب الملك الناصر سأل هذا الملك عن سبب انتقال الملك إليه فقال : « إن الذى قبلى كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك ، فجهز مائتى سفينة ، وشحنها بالرجال والأزواد التى

(١) الجغرافيون العرب مصطفى الشهابى ، ص ٣٥ .

تكفيهم سنين ، وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا غايته ، أو تنفد أزوادهم ، وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم ، فقال : سارت السفن زمناً طويلاً حتى عرض لها فى البحر فى وسط اللجة واد له بحرية عظيمة ، فابتلع تلك المراكب ، وكنت آخر القوم ، فرجعت بسفينتى . فلم يصدقه ، فجهز ألفى سفينة : ألفاً للرجال وألفاً للأزواد ، واستخلفنى وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك ، فكان آخر العهد به وبمن معه » .

٤ - أكد الدكتور (هوى لزلى) أستاذ علم النبات بجامعة بنسلفانيا وهو من أصل صينى ، أكد فى محاضرة ألقاها فى الجمعية الشرقية الأمريكية فى مدينة (فيلادلفيا) وقد استند فى بحثه إلى وثائق محفوظة فى الصين ، ويعود عهدها إلى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين ، أن المسلمين قد وصلوا إلى السواحل الشمالية لأميركا الجنوبية من الطرف الغربى للعالم الإسلامى وبالتحديد من الدار البيضاء ، وقد وصل الدكتور (هوى لزلى) إلى هذا الرأى بعد أن أنفق ثمانية أعوام فى تتبع انتشار المحاصيل الزراعية والحيوانات فى شتى أنحاء العالم .

وقد أيد هذه النظرية كل من (الدكتور لين شبخ يانج) أستاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد ، والدكتور (ريتشارد رودلف) رئيس المؤتمر المذكور وقال : « والآن ينبغى على الأساتذة العرب أن يتابعوا دراسة تاريخهم ، وليبدأوا من هذه المنطقة » .

٥ - عثر مدير متحف البرازيل قبل نهاية القرن التاسع عشر على صخرة إلى جوار مدينة ريودى جانيروا عليها نقوش قريبة الشكل من الحروف العربية القديمة .

٦ - ذكر رفيق العظم فى خطبه ما يلى : « وصل المسلمون إلى أميركا قبل معرفتها من قبل الأوربيين بأزمنة طويلة فقد أخبرنى ثقة أنه بينما كان جالساً يوماً مع جماعة من الأفاضل عند الدكتور فانديك الشهير فى بيروت ، جاءه البريد ففتحه ، وأخذ يتصفح الكتب ، فأظهر من واحد منها اندهاشاً عظيماً ، ثم أبرز للجماعة صورة فوتوغرافية وردت ضمن ذلك الكتاب ، فإذا بها رسم محراب

اكتشف فى إحدى الخرائب فى أميركا وعليه آيات قرآنية مكتوبة بالخط الكوفى القديم » .

كل هذا يدل على أن المسلمين قد وصلوا إلى أميركا قبل معرفة الأوربيين لها بفترة طويلة ، وأنهم قد أثروا فيها ، ونشروا دينهم وحضارتهم ، وأن الصليبيين الأوائل قد أبادوا المسلمين ، وطمسوا كل آثارهم تقريباً ، وما اكتشف منها الآن فهو ضمن خرائب فعلتها أيديهم .

وأمام هذا علينا أن نطلق كلمة التوسع الأوربى فى أميركا وجنوب إفريقية بدلاً من كلمة الكشوف الجغرافية ، وآثار ذلك التوسع بدلاً من آثار الكشوف .

علينا أن نعيد النظر فى كل ما كتب فى التاريخ والجغرافية سواء ما كتبه الأجانب أم ما نقله عنهم كتاب مسلمون . وعلينا أن نهتم بالبحث والتحقيق فى مبادىء الحضارات وأصولها وأن نوضح للأجيال القادمة أثر حضارتنا فى البناء والعطاء ، وحضارة أوربا فى الطمس والإخفاء .

وإذا كان ما قلته محاولة لتوضيح حقيقة وتحتاج إلى براهين أكثر وأدلة أوضح ، ولربما يأتى بها الزمن إلا أنى قد سلكت الطريق وطرقت الباب وعلى الآخرين المتابعة والبحث للوصول إلى الحق وهذا ما نبغى .

وأخيراً أرجو أن نكون متجردين فى أحكامنا هذه وفى متابعتنا للموضوع .



المصادر والمراجع

أولا المصادر :

- القرآن الكريم
- الحديث الشريف
- المسالك والممالك تأليف الاصطخرى (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى) تحقيق محمد جابر عبدالعال الحسينى ، ١٣٨١ هـ .
- المسالك والممالك ، تأليف ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله المعروف بابن خرداذبة) ، مكتبة المثنى ، طهران ، ١٩٦٣ م .
- المغرب العربى فى العصر الوسيط (مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى المغرب والأندلس) ، تأليف ابن الخطيب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ م .
- الفتوحات الإسلامية ، تأليف ابن دحلان (السيد أحمد بن زينى دحلان) ، الفتوحات الإسلامية ، القاهرة ١٣٤٥ هـ .
- الأعلاق النفيسة ، تأليف ابن رسته (أبو على أحمد بن عمر بن رسته ، لايدن ، ١٩٨١ م .
- المغرب فى حلى المغرب ، ابن سعيد الأندلسى ، القاهرة ١٩٥٣ .
- البيان المغرب فى أخبار المغرب تأليف ابن عذارى (أبو عبدالله محمد بن عذارى المراكشى ، بيروت .
- التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ، تأليف ابن غلبون ، ونشر الطاهر أحمد الزواوى ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .
- المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ، تأليف ابن أبى دينار (محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى) ، تونس ، ١٢٨٠ هـ.

- الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تأليف ابن أبى زرع ، فاس ،
- الكامل فى التاريخ ، تأليف ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن الأثير الجزرى الملقب بعز الدين) ، القاهرة ١٣٠٣ هـ .
- المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، تأليف أبو عبيدالله بن عبدالعزيز البكرى ، طبع دى سلان ، الجزائر ، ١٩١١ م .
- المسالك والممالك (تذكرة النسيان من أخبار ملوك السودان) لنفس المؤلف .
- النجوم الزاهرة ، تأليف ابن تغربردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغربردى الأتابكى) . القاهرة ١٣٤٨ هـ .
- المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، تأليف ابن حيَّان (حيان بن خلف ، باريس ، ١٩٣٧ م .
- البداية والنهاية فى التاريخ ، تأليف ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشى الدمشقى ، القاهرة .
- الخلاصة النقية فى أمراء أفريقية تأليف الباجى (أبو عبدالله محمد الباجى المسعودى) ، تونس ، ١٣٢٣ هـ .
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تأليف المقدسى المعروف بالبشارى ، لايدن ، ١٩٤٦ م .
- الروض المعطار فى أخبار الأقطار تأليف الحميرى (أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم الحميرى) ، لايدن ، ١٩٣٦ م .
- الأخبار الطوال ، تأليف أبو حنيفة الدينورى، القاهرة ، ١٣٣٠ هـ .
- الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، (تأليف أحمد بن خالد الناصرى السلاوى) ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ م .
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تأليف عبدالواحد المراكشى ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .

- المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، تأليف تقى الدين أحمد بن على المقريزى ، القاهرة ، ١٩٠٦ م .
- الكامل فى التاريخ تأليف أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى ، ت ٦٣٠ هـ ، دار الكتاب العربى ، بيروت .
- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار تأليف أبو عبدالله بن محمد ابن إبراهيم اللواتى الطنجى الشهير بابن بطوطة .
- تاريخ ووصف أفريقية ، تأليف حسن بن الوزان (ليو الأفريقى) .
- تاريخ الحكماء ، تأليف جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالواحد الشهير بابن القفطى (ولد ٥٦٨ هـ) .
- تاريخ الخلفاء ، تأليف الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٧١ هـ .
- رحلة ابن جبير ، تأليف ابن جبير (محمد بن أحمد بن جبير) ، القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، تأليف الإدريسى (محمد بن عبدالله) .
- صورة الأرض ، تأليف ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى الموصلى) ، لايدن ، ١٩٣٨ م .
- فتوح مصر وأقاليمها ، تأليف ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار بن جبار ابن كونان) ، القاهرة ، ١٢٧٥ هـ .
- فتوح مصر وأخبارها ، تأليف ابن عبدالحكم (أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم ، لايدن ، ١٩٢٠ م .
- فتوح مصر والمغرب ، لنفس المؤلف ، القاهرة .
- فتوح مصر والمغرب ، والأندلس ، نشر شارل تورى ، لايدن ، ١٩٢٠ م .
- فتوح البلدان ، تأليف أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ، القاهرة ١٩٥٩ م .

- كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، تأليف قدامة بن جعفر (أبو الفرج لايدن ، ١٨٨٩ م .
- كتاب الخراج تأليف يحيى بن آدم القرشي ، تحقيق أحمد شاكر ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- معجم البلدان ، تأليف شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تأليف أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، تأليف الشريف الإدريسى نشره دوزى ودى جوجه ، لايدن، ١٨٦٦ م .
- مختصر كتاب البلدان ، تأليف ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمزانى ، لايدن ، ١٨٨٥ م .
- وصف أفريقيا ، تأليف جان ليو الأفريقى ولد عام ٨٩٤ هـ (الحسن على محمد الوزان الزيانى) ، ترجمة من الفرنسية إلى العربية د . عبدالرحمن حميدة ، د . على عبدالواحد ، جامعة الإمام محمد بن سعود ؛ شهد له أبناء أوروبا ومنهم توماس ديكين : « المرجع العمدة طيلة قرنين من الزمان فى اوروبا فى كل ما يختص بالأقطار العربية الأفريقية ودول شعوب أقطار الساحل أى الواقعة إلى الجنوب من الصحراء الكبرى »، (صفحة ج من تقديم الكتاب) .

ثانيا المراجع :

- أفريقية ، دراسة عامة وإقليمية ، تأليف د . أحمد نجم الدين فليجة ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٧٨ .
- أفريقية دراسة لمقومات القارة ، تأليف محمد رياض وكوثر عبدالرسول ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٨ .
- استعمار أفريقية تأليف زاهر رياض ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ .
- استعمار القارة الأفريقية وإستقلالها ، تأليف زاهر رياض ، دار المعرفة القاهرة ١٩٦٦ .
- استراتيجية الاستعمار والتحرير ، تأليف جمال حمدان ، القاهرة ١٩٦٩ .
- أفريقية ، أفريقية – قارة تقف على قدميها تأليف كارتن ، درك ؛ ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، القاهرة ١٩٦٥ .
- أفريقية وراء الصحراء ، تأليف صلاح صبرى ، القاهرة ١٩٦٠ .
- أفريقية بين الدول الأوروبية ، تأليف محمد صفى الدين ، القاهرة ١٩٥٩ .
- الاقتصاد الأفريقى ، تأليف محمد رياض وكوثر عبدالرسول ، بيروت ١٩٦٣ .
- الاقتصاد الأفريقى والتجارة الدولية ، تأليف محمد عبدالغنى سعودى ، القاهرة ١٩٧٢ .
- الموارد الاقتصادية تأليف محمد عبدالعزيز عجمية ومحمد فاتح عقيل ، القاهرة ١٩٦٧ .
- النقل ، تأليف صلاح الدين الشامى ، الإسكندرية – منشأة المعارف ١٩٧٦ .
- الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، تأليف محمد عوض ، القاهرة ١٩٥٧ .
- التنافس الاستعمارى فى المغرب ، تأليف حسن صبحى ، القاهرة ١٩٦٠ .
- التوسع الإيطالى فى شرق أفريقية ، تأليف السيد محمد رجب حراز ، ١٩٦٠ .

- الثورة الجزائرية ، تأليف أحمد الخطيب ، بيروت ١٩٥٨ .
- الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى، تأليف عبدالرحمن الرافعى ، القاهرة .
- الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى ، تأليف جلال الفاسى ، القاهرة ١٩٤٨ .
- السياسة الفرنسية فى الجزائر ، تأليف د . جلال يحيى .
- السياسة والحكم فى أفريقية تأليف عبد الملك عوده ، القاهرة ١٩٥٩ .
- السياسة الدولية وفلسطين تأليف د . محمد كمال الدسوقى ، القاهرة ١٩٧٦ .
- الكشوف الجغرافية تأليف د . برى الجوهرى ، دار المعارف الإسكندرية ، ١٩٦٥ .
- بين الحبشة والعرب ، تأليف عبد المجيد عابدين ، القاهرة .
- تاريخ كشف أفريقية واستعمارها ، تأليف د . شوقى الجمل ، القاهرة ١٩٧١ .
- تاريخ المغرب ، تأليف محمد بن عبدالسلام بن عبود ، المغرب ١٩٥٧ .
- جذور الثورة الأفريقية ، تأليف ووديس جاك، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، القاهرة ١٩٧١ .
- جغرافية أفريقية تأليف د . فتحى أبو عيانة ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٣ .
- جغرافية الجوع ، تأليف دى كاسترو جوزيه،وترجمة زكى الرشيدى ، الألف كتاب ، القاهرة .
- جغرافية الموارد والإنتاج ، تأليف محمد فاتح عقيل ، وفؤاد الصفار ، الإسكندرية ١٩٦٤ .
- جغرافية النقل تأليف محمد السيد نصر ، القاهرة ١٩٥٩ .
- جغرافية النقل والمواصلات ، تأليف صلاح الدين على الشامى ، القاهرة .
- مأساة الكونغو ، تأليف مير مام ألان ترجمة حسن التميمى ، القاهرة ١٩٦٩ .
- مجلة الأمة القطرية .
- نحو تحرر المستعمرات ، تأليف نكرو ماكوامى ترجمة عبد العزيز عتيق ، القاهرة ١٩٥٨ .

- Ady, P.H. Oxford Regional Econemic Atlas, Oxford 1965.
- A.M.O. Common : The Geography of Tropicol African Development, oxford, 1977.
- Fitz herald, W. Africa, Lendon 1957.
– ترجمة عبدالعليم سيد منسى ، د. زاهر رياض بعنوان أفريقية الأقاليم .
- Kimble, G.H.T. : Tropicel Afica (N.Y.).
– ترجمة مصطفى كمال منير ، داود حلمى السيد ، فؤاد إسكندر بعنوان افريقية المدارية .
- xMemeth, P:s. The Geagraphy of Air transport, 1987.
- Oxford World Economic Atlas, Oxford 1965.
- Production Year Book, E.A.O. 1976.
- United Nationo statistical year book, New york, 1955, 1974.



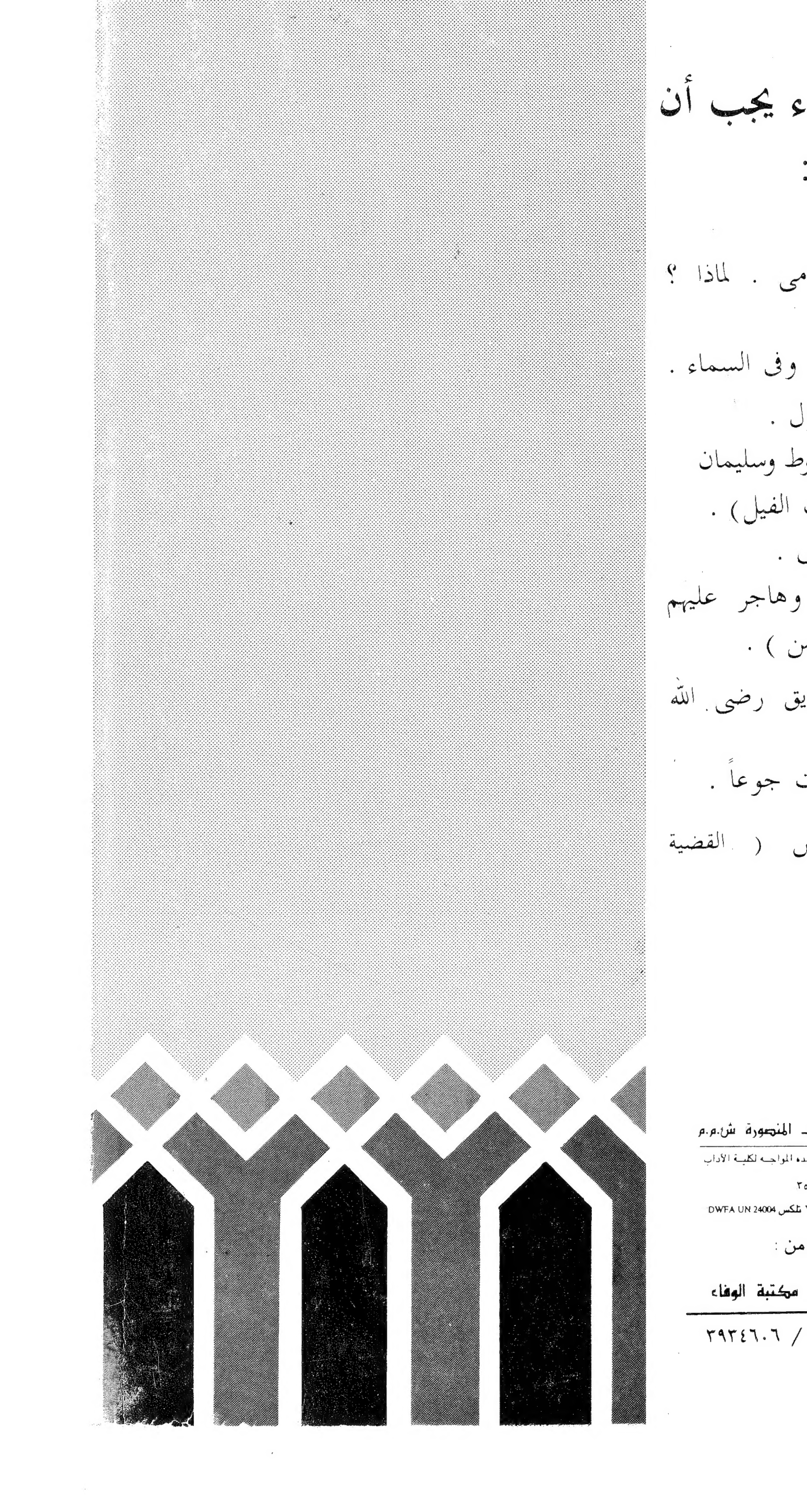
فهرست الموضوعات

الموضـــوع الصفحة

الفصل الأول

رقم الإيداع بدارالكتب ٢٦٢٣ / ١٩٨٦
الترقيم الدولى ٤ — ٥٣ — ١٤٢٠ — ٩٧٧

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN


ء يجب أن
مى . لماذا ؟
وفى السماء .
ل .
رط وسليمان
الفيل) .
وهاجر عليهم
ن) .
يق رضى الله
ت جوعاً .
(القضية
المنصورة ش.م.م
DWFA UN 24004 تلكس
من :
مكتبة الوفاء
٢٩٣٤٦٠٦ /